

مذكرات شاه إيران

محمد رضا بهلوي

حياته - زوجاته - وفاته

الدار العربية للموسوعات

مذكرات شاه إيران

محمد رضا بهلوي

حياته-زوجاته-وفاته

اسم الكتاب: مذكرات شاه إيران محمد رضا بهلوي/ حياته - زوجاته - وفاته
المؤلف: مركز الخليج العربي بجامعة البصرة
الطبعة الأولى: ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ

ISBN 978-614-424-221-6



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني - KHALED AL ANI

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مذكرات شاه إيران

محمد رضا بهلوي

حياته - زوجاته - وفاته

ترجمة

مركز الخليج العربي بجامعة البصرة

الدار العربية للموسوعات

بيروت

المقدمة

نشرت الصحافة العربية والعالمية حلقات مختارة ومراجعات ونقد للمذكرات التي أصدرها شاه إيران السابق محمد رضا بهلوي بعد سقوطه باللغة الإنكليزية عام ١٩٧٩م وكان قد كتبها بعد سقوطه ومكوثه في المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية.

ولا شك أن مذكرات الشاه تحتوي على مغالطات ومبالغات وتناقضات دفاع عن الذات وفهم خاطئ لمنطلقات الشعوب حيث عاش طيلة سنوات حكمه في عزلة فرضتها عليه طبيعة حكمه البعيدة عن آمال الجماهير فلم يحدث أن تحسس آلامها ومعاناتها وقد ارتضى الارتماء في أحضان أمريكا وتوهم أنها ستقف إلى جانبه وتسنده في تنفيذ خططها في المنطقة فبلغ من الكبرياء والغرور ما أفقده صوابه في كثير من مواقفه السياسية وعلاقاته الدولية ولا سيما مع العرب وقد فرض على منطقة الخليج العربي وضعاً شاذًّا وجعل من نفسه شرطيًّا لحماية المنطقة من الأوهام التي اختلقتها الأمبريالية الأمريكية له.

المذكرات هذه تعطينا صورة من تفكير أحد رجالات أمريكا في المنطقة وكيف يفهم المعادلات الصعبة في الحياة بمنظور بعيد عن الواقع وينظر إلى مجريات الأمور نظرة فوقية استعلائية ويفسر الأحداث تفسيراً أحادي الجانب فيشوّه الصورة مرة ويغالط الحقيقة مرة أخرى ويضفي بطولاته الشخصية على تاريخ إيران مرة ثالثة وهو في كل ما يذكر يحاول تبرير أعماله خلال فترة حكمه التي استمرّت قرابة الـ(٤٠) عاماً.

إن نشرنا لهذه المذكرات نتوخى أن تسلط الضوء على حقبة من تاريخ المنطقة، نحن العرب في أشد الحاجة إلى معرفتها، بمرارتها وسلبياتها وتحدياتها لنأخذ العبرة ونعيد النظر في استراتيجياتنا وتخطيطنا القومي، راجين أن نكون قد وفقنا في خدمة قضيتنا القومية.

شاه إيران
محمد رضا بهلوي

■ **حياته:**

محمد رضا بهلوي (٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩ إلى٢٧ تموز/ يوليو ١٩٨٠م) وُلد الشاه في مدينة طهران الإيرانية وكان آخر شاه يحكم إيران قبل الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م، واستمر حكمه من ١٩٤١ إلى ١٩٧٩م.

■ **نشأته:**

تلقى تعليمه في المدرسة الداخلية السويسرية «لا روسي»، ثم أكمل تعليمه في إيران في الكلية الحربية.

■ **بداية حكمه:**

خلف محمد رضا أباه شاها لإيران بعد أن أطاحت قوى التحالف برضا بهلوي خوفاً من جنوحه ناحية أدولف هتلر في الحرب العالمية الثانية وتزويده بالنفط. فقامت قوات التحالف باحتلال إيران والإطاحة برضا بهلوي وتنصيب ولده محمد رضا بهلوي بدلاً منه.

عانت إيران من اضطرابات سياسية بعد الحرب العالمية الثانية، أدت

برئيس الوزراء الإيراني محمد مصدّق إلى إرغام الشاه محمد رضا بهلوي على مغادرة إيران، حيث احتدم الصراع بين الشاه ومصدق بداية شهر أغسطس ١٩٥٣م، فتدهور الوضع السياسي تدهوراً لم يعرف من قبل، فالتجأ الشاه إلى بغداد يوم ١٦ آب/ أغسطس ١٩٥٣م بصحبته زوجته الملكة ثريا ومرافقه الخاص بطائرته الخاصة، واستقبل بحفاوة بالرغم من استنكار حكومة مصدق، وبعد أداء مراسيم الزيارة في الكاظمية وكربلاء والنجف غادر متوجهاً إلى إيطاليا وقبل أن يغادر وقع قرارين: الأول بعزل مصدق والثاني يعين الجنرال فضل الله زاهدي محله. لكنه عاد إلى إيران بانقلاب مضاد لانقلاب رئيس الوزراء بمساعدة المخابرات الأمريكية والبريطانية وأقال مصدّق من منصبه واستعاد عرش إيران. كان ذلك عام ١٩٥٣م.

■ إنجازاته:

عمل الشاه على تغييرات سياسية من أهمها إلغاء الأحزاب السياسية مع الإبقاء على الحزب الحاكم، وأعاد إلى الحياة مهمة الشرطة السرية «سافاك» التي اتهمت بمسؤوليتها عن أعمال منافية لحقوق الإنسان ضد الشعب الإيراني. كما أنه قد عمل على تقطيع الأراضي الزراعية الكبيرة واستحداث أراضي صغيرة كي يستفيد (٤) ملايين فلاح إيراني من تلك الأراضي، والسماح للمرأة بالتصويت. أثمرت الإصلاحات الزراعية بشكل إيجابي على الاقتصاد الإيراني وكانت فترة الستينات وسبعينات القرن العشرين فترة انتعاش الاقتصادي الإيراني الذي لم يسبق له مثيل.

■ نهاية حكمه:

في ١٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٩م، أُرْغِمَ الشاه على مغادرة إيران

للمرة الثانية ولكن هذه المرة بغير رجعة، إثر اضطرابات شعبية هائلة ومظاهرات عارمة في العاصمة طهران ضد الاضطهاد والظلم.

■ الثورة:

في ١٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٩م، أُرغم الشاه على مغادرة إيران للمرة الثانية ولكن هذه المرة بغير رجعة، إثر اضطرابات شعبية هائلة ضد سياسة منع الحجاب وتغيير التعاليم وكانت المظاهرات عارمة في العاصمة طهران ضد الاضطهاد والظلم. وبمغادرة الشاه للعاصمة طهران، تسلم الإمام الخميني الحكم بعد عودته من منفاه في فرنسا فيما غادر الشاه محمد رضا إلى مصر الذي استضافه الرئيس محمد أنور السادات حتى مماته في ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٨٠م.



الإمام الخميني عند وصوله الى طهران من المنفى في باريس بعد رحيل الشاه

زوجاته وأبناؤه

الزوجة الأولى الأميرة فوزية

تزوجها سنة ١٩٣٩م حتى ١٩٤٨م

الأميرة فوزية ابنة فؤاد الأول أميرة مصر وإمبراطورة إيران من (١٩٤١-١٩٤٥م).

ولدت في الإسكندرية بقصر رأس التين، في يوم ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٢١م. وهي ابنة الملك فؤاد الأول ملك مصر والملكة نازلي.

تزوجت من شاه إيران محمد رضا بهلوي في عام ١٩٣٩م، حيث تم الزفاف في القاهرة. ثم بعد سفرها إلى إيران تم الاحتفال بالزفاف مرة أخرى في طهران، وبعد عامين من زواجها تقلد محمد رضا بهلوي مقاليد الحكم في إيران.

بعد تنحي أبيه عن العرش. وأنجبت من محمد رضا طفلتهما الوحيدة الأميرة شاهيناز بهلوي. وقد تم الطلاق بينهما في عام ١٩٤٥م في القاهرة وبعدها تم الطلاق في إيران في عام ١٩٤٨م، حيث وقعت أزمة بين مصر وإيران بسبب هذا الطلاق بعد إصرار شقيقها الملك فاروق على الطلاق ورفضه عودتها إلى إيران. وقد قال عنها السفير الإنجليزي في مصر وقتها مايلز لامبسون رأيت فيها أجمل نساء الأرض.

وفي آذار/ مارس ١٩٤٩م تزوجت من العقيد إسماعيل شرين بك



صورة حفل زواج الشاه محمد رضا بهلوي على الأميرة فوزية أخت الملك فاروق



الملكة فوزية مع ابنتها الأميرة شاهيناز في القصر الملكي في طهران

وهو ابن عم بعيد للأسره، كما كان آخر وزير للحربيه والبحريه في مصر قبل ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٢م ورزقا من الأبناء:

الأميرة شاهيناز ابنة الأميرة فوزية

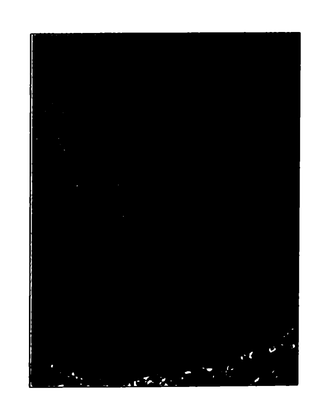
حياتها لم تخلوا من الفواجع آخرها فقدانها لابنتها.

الزوجة الثانية ثريا اسفندياري

تزوجها سنة ١٩٥١م حتى ١٩٥٨م

الأميرة ثريا إسفندياري بختياري ولدت في ٢٢ حزيران/ يونيو ١٩٣٢م في أصفهان، وتوفيت في ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١م في باريس بفرنسا وكانت ملكة سابقة لإيران بصفتها الزوجة الثانية لمحمد رضا بهلوي وآخر شاه لإيران.

ثريا هي الابنة الكبرى والوحيدة لأحد نبلاء بختياري والسفير الإيراني لألمانيا الغربية في الخمسينات، وأمها ألمانية روسية المولد تدعى إيفا كارل كان لها أخ واحد أصغر منها يدعى بيجان، وترعرعت بين برلين وأصفهان ولكنها تلقت تعليمها في لندن وسويسرا.



ثريا اسفندياري
ثاني زوجات
محمد رضا بهلوي



■ زواجها من الشاه:

في عام ١٩٤٨م تعرفت ثريا على الشاه محمد رضا بهلوي الذي طلق مؤخراً من الأميرة فوزية أميرة مصر، وفي الوقت نفسه أكملت دراستها الثانوية في مدرسة التشطيب السويسرية وكانت تدرس اللغة الإنجليزية في لندن ولكن سرعان ما تمت خطبتهما وأعطاها الشاه خاتم خطوبة من الألماس الثمين، وقد تم زواجهما في قصر الرخام في طهران يوم ١٢ شباط/ فبراير ١٩٥١م، وأقام لها حفل زفاف خيالي أسطوري وتألقت العروس بفستان زفاف من ماركة ديور العالميّة، ولكنهما انفصلا في عام ١٩٥٨م بسبب عدم الإنجاب ورغبة الشاه في وريث للعرش والزواج من أخرى، وقد حصلت ثريا على لقب أميرة إيران بعد طلاقها من الشاه والانتقال للعيش بفرنسا.

■ مهنتها:

بعد الطلاق بدأت ثريا بالعمل في مهنة التمثيل التي كانت تحبها حيث عملت به لفترة قصيرة حيث مثلت في فيلم trevolti عام ١٩٦٥م وظهرت أيضاً بنفس اسمها في فيلم She عام ١٩٦٥م ولكنها لم تستمر بالتمثيل طويلاً.

■ وفاتها:

توفيت الأميرة ثريا في ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١م لأسباب لم يكشف عنها بعد في شقتها بباريس - فرنسا عن عمر يناهز (٦٩) عاماً وقد توفي شقيقها بيجان بعد أسبوع واحد من وفاتها أيضاً.



مع زوجها شاه إيران في إحدى المناسبات



زفاف شاه إيران على الملكة ثريا زوجته الثانية سنة ١٩٥٢م

الزوجة الثالثة فرح ديبا

تزوجها سنة ١٩٥٩م حتى ١٩٨٠م

ثالث زيجات الشاه محمد رضا بهلوي وهي الأخيرة التي تزوجها عام ١٩٥٩م وهي ابنة ضابط في الجيش الإيراني وطالبة الهندسة المعمارية في باريس حيث التقت الشاه في حفل أقامته السفارة الإيرانية بباريس. ولها منه أربعة أبناء:

- ولي العهد **رضا بهلوي** الثاني (مولود ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٠م).
- الأميرة **فرحناز بهلوي** (مولود ١٢ آذار/ مارس ١٩٦٣م).
- الأمير **علي رضا بهلوي** (مولود ٢٨ نيسان/ أبريل ١٩٦٦ - ٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١١م) مات منتحراً.
- الأميرة **ليلى بهلوي** (٢٧ آذار/ مارس ١٩٧٠ - ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠١م) ماتت منتحرة.

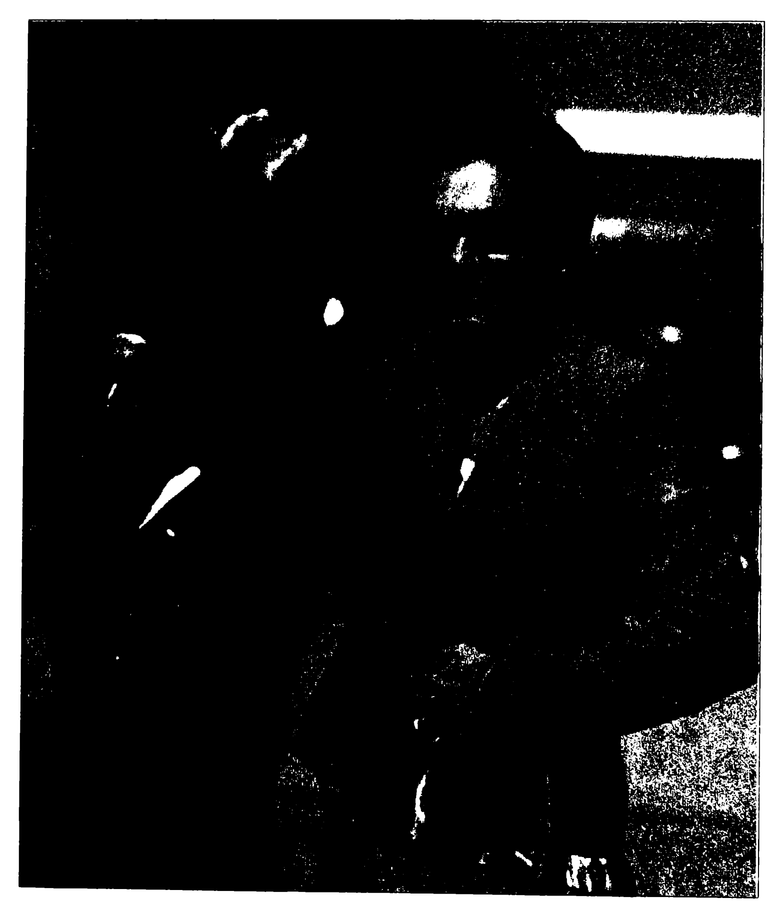


الزوجة الثالثة والأخيرة

الملكة فرح ديبا تقف مع زوجها محمد رضا بهلوي



فرح ديبا وأبناءها



الملكة فرح ديبا

■ رحيل فرح ديبا إمبراطورة إيران في باريس:

توفيت في باريس يوم الأحد الإمبراطورة فرح بهلوي (فرح ديبا) ثالث زوجات شاه إيران (محمد رضا بهلوي) وذلك عن عمر يناهز التاسعة والستين قبل أيام معدودة من احتفالها بعيد ميلادها السبعين في الرابع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر وفرح هي الوحيدة من بين أفراد عائلة زوجها التي ما زال يطلق عليها لقب الإمبراطورة فرح.

ولدت فرح ديبا في العاصمة الإيرانية طهران بتاريخ ١٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٨م وكانت الابنة الوحيدة لسوهراب ديبا وزوجته وقد توفي والدها حينما كانت صغيرة وقبل وفاته كان يعمل جندياً في الحرس الإمبراطوري وينحدر من أذربيجان الإيرانية.

درست فرح ديبا الفرنسية في طهران ثم انتقلت لدراسة العمارة في العاصمة الفرنسية باريس وأثناء دراستها تعرفت على الشاه الذي كان قد طلق ثاني زوجاته في ذلك الحين وتزوج الاثنان بتاريخ ٢١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٩م وأنجبا أربعة أطفال وهم رضا بهلوي وفرحناز باهلوي وعلي رضا بهلوي وليلى بهلوي والأخيرة عانت من مرض الأنوركسيا نرفوزا وهو مرض نفسي يتميز من يصاب به برفض التغذية ويظهر في سن المراهقة ويكون هاجس الحفاظ على الوزن هو الطاغي على هذه الشخصية وقد انتحرت ليلى بتناولها أربعين قرصاً دفعة واحدة من الكوكايين كانت قد سرقتها من طبيبها الخاص.

بعد نجاح الثورة الإيرانية في السيطرة على أقسام واسعة من البلاد رافقت فرح زوجها إلى المنفى حيث رحلت عن إيران في السادس عشر من كانون الثاني/ يناير ١٩٧٩م بعد أن كانت قد أرسلت أبنائها إلى الخارج بينما اختارت هي العيش في الولايات المتحدة الأميركية فيما بعد.



محمد رضا بهلوي مع أبنائه رضا وفرحناز وعلي رضا

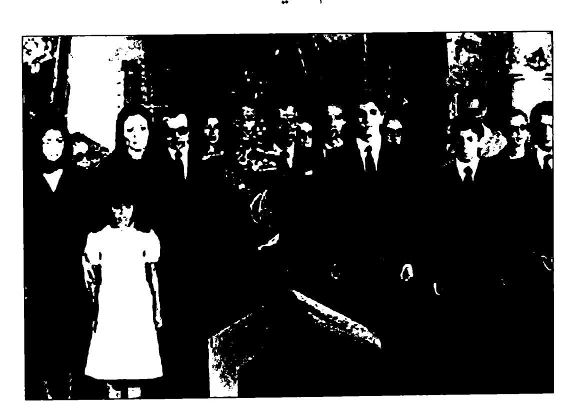
وصل الشاه وفرح إلى مصر ثم انتقلا للعيش في المغرب ثم الباهاماس ثم المكسيك والولايات المتحدة وبنما قبل أن يعودا من جديد إلى مصر حيث بقي الاثنين حتى وفاة الشاه بتاريخ ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٨٠م.

بعد ذلك اشترت فرح منزلاً في ولاية كونكتيكيت الأميركية وعاشت هناك منذ وفاة ابنتها ليلى في عام ٢٠٠١م وانتقلت فيما بعد إلى مشارف العاصمة الأميركية واشنطن حيث استقرت بقرب ابنها رضا بهلوي المعروف بنشاطه السياسي من أجل إعادة الديمقراطية إلى إيران ولكنها كانت تنتقل بين واشنطن ونيويورك وباريس والقاهرة حيث تملك قصراً في العاصمة المصرية.

في عام ٢٠٠٣م أصدرت فرح كتاباً تحدثت فيه عن زواجها من الشاه وقد حقق مبيعات كبيرة على صعيد أوروبا.

■ **وفاته:**

توفي شاه إيران سنة ١٩٨٠م في مصر.



صورة جنازة الشاه في المنفى في حضور الرئيس محمد أنور السادات وعائلته

المذكرات



الشاه في المنفى في مكتبه

الفصل الأول

البداية من أحلامه لإيران البهلوية

لماذا إيران وليس فارس؟(*)

■ **جوابي للتأريخ:**

ها قد مضت حوالى سنة واحدة على ظهور كتابي الأخير في طهران، وقد كان كتاباً مليئاً بالأمل قدمت فيه إلى شعبي أمنياتي ومشاريعي التي أعددتها لمستقبله، المستقبل الذي أتمناه: منتصراً وسعيداً ومحققاً للآمال، لقد أردت على عتبة الألف الثالث في التاريخ الإيراني أن أرى إيران المتمدنة والمتحضرة، إيران النامية. أردت أن أرى المجتمع الإيراني وقد تبلور وأصبح متمتعاً باقتصاد مستقر وبثقافة متقدمة وببناء ديمقراطي صلب. لقد كنت أرى مستقبل الأجيال الإيرانية وقد احتلت المكانة اللائقة بها بين أعظم الشعوب الإنسانية، لقد كنت آمل أن تفتح أمامنا آفاق واسعة حيث تستطيع إيران التي حصلت على استقلالها وسيادتها منذ خمسين عاماً أن تتوصل إلى المرحلة التي تصدر فيها الثقافة الإيرانية والحضارة إلى العالم. وخلال كل الفترة التي حكمت بها لم أكن أعيش سوى لتحقيق ذلك الحلم الذي أصبح حقيقة واقعة لقد عملت بدون انقطاع وبذلت كل الجهود الممكنة، وتصارعت بدون هوادة مع كل أنواع العقبات والصعوبات،

(*) المصدر صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨١٤، التاريخ ١٣/١/١٩٨٠م، ص١٦.

وواجهت مؤامرات مختلفة من داخل البلاد وخارجها وقاتلت كل القوى الاقتصادية والاحتكارات المتعددة الجنسيات. وبالتأكيد فقد ارتكبت بعض الأخطاء، ولكن نتيجة المعارك الطويلة التي خضتها كانت مشرفة وسأوضح الأسباب التي جعلتني عنيداً، ولماذا وكيف حاولت دون انقطاع أن ابني مجتمعاً مؤسساً على العدالة الاجتماعية، وليس على مبدأ الصراع الطبقي، كنت أسعى لقيام مجتمع تكون فيه كل الطبقات مرتبطة بعضها بالبعض الآخر ومتحدة وتسعى كلها لتحقيق هدف واحد، لقد أردت أن أبني لبلادي علاقات طيبة مع العالم الغربي والعالم الاشتراكي ودول العالم الثالث، لقد كنت أعتبر أن من أول واجباتي أن أوضح للعالم كله كيف يمكن بناء الأمة، وبذلك أكون قد قدمت جوابي للتاريخ.

■ **البداية:**

من الفارسية إلى الإيرانية لكي نستطيع أن نقدم الأجوبة الصحيحة إلى التاريخ يجب علينا في البداية أن نعرف أنفسنا وأن نفهم أنفسنا، أن إيران عاشت آلاف السنين، وخلال هذه الفترة الطويلة تعرّضت لمراحل عديدة من الضعف والقوة من النور والظلام، وخلال قرون عديدة كان وطننا يعيش دائماً بين المخاطر. إنني أعتقد أن شعبنا لا يستطيع أن يعيش دائماً في الماضي، ولكن هذا الشعب لا يستطيع أيضاً أن يعيش بدون ماضيه، وإذا لم يكن يوجد ما يربط هذا الشعب بالماضي فإنه لا بد أن ينمحي من الوجود.

إن ماضي الفرس، الذي أصبح في حكمنا إيران، قد عرف المصاعب وعرف الانتصارات، عرف الخيبة وعرف الأمل أن الدروس التي حصلنا عليها من الماضي كانت لنا خير دليل في حياتنا كانت دليلاً صالحاً للمواطن والإنسان.

■ المميزات والسيئات لموقعنا الجغرافي:

إننا شعب قديم جدًّا، والتاريخ الفارسي ضاع كما يبدو في ليالي التاريخ، إننا بوجودنا في منطقة الشرق الأوسط، حيث ولدت الحضارات الكبيرة في الغرب، كنا في المكان الذي تمرّ به كافة الطرقات التي تصل ما بين القارة الأوروبية، والقارة الأسيوية وشبه القارة الهندية والقارة الإفريقية، كما أننا نقع بين ثلاثة بحور في الشمال وفي الجنوب الغربي والجنوب، في حين أن البحر الأبيض المتوسط، مركز العالم المتمدّن خلال قرون عديدة، كان لا يبعد عنا إلّا قليلاً ولا يفصلنا عنه سوى العراق وسوريا، وهذه هي برأيي علامات القوة ومميزات الموقع الجغرافي (. . . .).

أما مساوئ هذا الموقع، التي كانت السبب في ضعفنا فقد كانت ترتكز على أن إيران ذات مساحة واسعة جدًّا تتركز على محور يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وفيها مناطق صحراوية كبيرة، ويحدّها في أطرافها سلاسل جبلية عملاقة، وما عدا المدن الكبيرة القليلة مثل أصفهان وكرمان، فإن مركز الأرض الإيرانية كان خالياً ومقفراً من السكان في حين أن التجمع السكاني والنشاط والثروة والزراعة كانت تتجمع في الأقاليم الجانبية ولهذا السبب فإن الفارسيين كانوا خلال القرون الطويلة الماضية يغيّرون عاصمة دولتهم بين الفترة والأخرى.

في العهود السابقة كنا نرى بلاد فارس وقد اجتاحتها الشعوب المجاورة - تحت مختلف الأسماء والألقاب والحكومات. وفي عهود سابقة أيضاً كنا نرى بلاد، فارس المليئة بالحيوية، الطموح والنشاط، وفي بعض الأحيان مليئة بالحكمة، ونستطيع إذا ألقينا نظرة سريعة على تطورات تاريخنا لكي نفهم بوضوح معنى وأسباب الأدوار التي مررنا بها خلال تاريخنا الذي بقي في بعض أوقاته مجهولاً.

■ الملوك الأبطال:

في البداية وتحت تأثير مجموعتين من الشعوب الهندية الأوروبية الميديين والفارسيين، وقبل حوالى ألفي سنة، استطعنا تحقيق انتصارات كبيرة بين الشعوب التي كانت تتنازع السيطرة على أرض الرافدين، وفي الفترة ما بين (٥٥٩-٣٣٠) ق.م. ولدت الإمبراطورية الأكثر اتساعاً من بين الدول التي عرفت في ذلك التاريخ من البحر الأسود إلى آسيا الوسطى ومن الهند إلى ليبيا، وفي نفس الوقت كانت أول إمبراطورية حقيقية في العالم حيث استطاع حاكم واحد أن يحكم شعوباً عديدة مختلفة الأصل والجذور، وبذلك استطاع الفرس أن يبرهنوا للعالم كيف يمكن أن يقوم حكم وإدارة ناجحة في الأراضي الواسعة للإمبراطورية، حتى الإمبراطورية الرومانية استمدّت وسائل الحكم من الوسائل التي سارت عليها الإمبراطورية الفارسية. وكان مؤسس هذه الإمبراطورية (سايروس) الذي لقب (الأكبر لأنه أسسها على مبادئ التلاحم والعدالة، وإذا أنصفنا ذلك الإمبراطور فإننا يجب أن نلقبه بمؤسس حقوق الإنسان، فقد أصدر (سايروس) شرعة جديدة في العالم القديم تقوم على مبادئ التحرير الشامل، لأنها أعطت كثيراً من المميزات للشعوب المقهورة فقد كانت هذه الشعوب تستطيع أن تحتفظ بأرضها وحقوقها، وعاداتها وتقاليدها وقوانينها وأديانها، بل أن سايروس كان يسمح لرؤساء هذه الشعوب بسلطات واسعة ويعطيهم مسؤوليات كبيرة، ونستطيع أن نعطيه بحق لقب محرّر الشعوب.

ولدينا بعد ذلك سايروس الثاني ثم داريوس وبعده كريرسه، الملوك العظام الأبطال الذين تابعوا المسيرة التي بدأها سايروس الأول حتى جاء الاسكندر المقدوني الذي استطاع أن يحتل أجزاء كبيرة من الإمبراطورية الفارسية وبعد موته عادت الإمبراطورية إلى النهوض مرة أخرى بعد أن استطاعت أن تحتفظ بقدرتها على العيش بكرامة مرة أخرى.

■ الفترة الذهبية الجديدة للفرس:

منذ عام ٦٥٢ بعد المسيح، خضعت إيران للعرب، وبقيت بلادنا بضعة قرون تحت حكم الخليفة في بغداد، وكما حدث مع اليونان فإن الإيرانيين الذين انهزموا ما لبثوا أن أصبحوا منتصرين. وقد أثبتوا أصالتهم واستقلالهم برفضهم السماح للمذهب السني بالتسلل إلى عقيدتهم الأساسية الشيعية[١] وبالتالي فإنهم كانوا يرفضون الخضوع إلى سلطة الخليفة في بغداد من الناحية الروحية على الأقل، فقد كان الشعب المغلوب لا يستطيع أمام المنتصرين سوى أن يعيش - حياته الخاصة الداخلية وفي ما يتعلق بالنواحي السياسية فقد كان العامل الحاسم في عودة استقلالنا هو الانتصار الذي حققه أحد زعماء العباسيين الذين ينحدرون إلى العباس عم النبي (ﷺ) ويدعي أبو مسلم الخرساني الذي عاش بين عامي (٧٥٤-٧٧٥م)، وبفضل القوات المؤلفة من أكثرية فارسية[٢] تم تحرير خراسان واحتل ما يدعى اليوم بالعراق، وبهذه القوات تمكن العباسيين من الوصول إلى الحكم بعد الانتصار على الحلفاء الأمويين وقد كانت العلوم والفنون الفارسية وصلت إلى الشرق عن طريق إقليم خراسان واحتلت مكانة عظيمة لم تعرفها من قبل، نيسابور وسمرقند وبخارى كانت في ذلك الوقت مركزا للإشعاع الفكري والثقافي الذي دعي بالفكر الإسلامي الإيراني[٣] وكان بحق العصر الذهبي للشعر الإيراني الذي عرف عمالقة الشعر مثل الفردوسي وجلال الدين الرومي وغيرهم.

---

(١) كان المذهب الشافعي هو السائد في إيران إلى أيام إسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤م) الذي فرض التشيع بحد السيف على بلاد فارس.

(٢) كان معظم الدعاة العباسيين عرب، للاستزادة يمكن مراجعة الدراسات الحديثة التي كتبها د. فاروق عمر فوزي، الدعوة العباسية...

(٣) الصحيح الفكر الإسلامي العربي.

وعادت أيام التراجع مع بداية المماليك ثم الغزو المغولي، وهذه كلها كانت ذات أخطار طفيفة لا تتركز بجانب الخطر الأكبر جنكيزخان وهولاكو اللذين دمراً معظم المدن العامرة وخاصة خراسان وذبحوا سكانها بحد السيوف، وقتل في هذه الفظائع عدة ملايين من الإيرانيين، كما دمرت مراكز الثقافة الإيرانية الإسلامية.

الفصل الثاني

الإمبراطورية من القوة إلى الضعف،

إمبراطورية تحتضر وتنتظر طلقة الرحمة(*)

لا شك أن العائلة الصفوية التي حكمت الإمبراطورية الفارسية في الفترة ما بين (١٥٠١-١٧٣٦م) كانت فترة حافلة شهدت فيها إيران مجداً عظيماً. ويعتبر الشاه اسماعيل من أكبر وأعظم القواد الصفويين، فقد أعاد إلى البلاد وحدتها ضد الأزبكيين في الشرق والعثمانيين في الغرب ورسَّخ وحدة البلاد الدينية باعتماد، المذهب الشيعي كدين رسمي للدولة.

إلّا أن الشاه إسماعيل ما لبث أن تراجع أمام البرتغاليين الذين ابتلعوا جزيرة هرمز والمناطق القريبة منها، ومنذ انهيار الإمبراطورية الرومانية، فإن هذه هي المرة الأولى التي يهجم بها الغرب على الفرس، ثم جاء حفيد الشاه إسماعيل[1] عباس الكبير (١٥٨٧-١٦٢٩م) لكي يعيد القوة للفرس، وهو وإن لم يستطع استعادة أرض الرافدين التي ضاعت عام ١٥٣٤م بعد استيلاء العثمانيين عليها إلّا أنه استطاع أن يعيد بناء أصفهان وأن يجذب إليها الفنيين والشعراء بحيث جعلها مدينة رائعة بلغ عدد سكانها حوالي

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨١٥، التاريخ ١٤/١/١٩٨٠م، ص١٦.

(١) لم يكن الشاه عباس الكبير حفيداً مباشراً للشاه إسماعيل وإنما كان أحد أحفاده لأن الشاه إسماعيل خلف الشاه طهماسب، هذا خلف محمد خرابنده والشاه عباس ابن هذا الأخير.

(٦٠٠) ألف نسمة، وكان ذلك عهداً ذهبيًّا للهندسة المعمارية الفارسية والرسم، وعباس الكبير نفسه هو الذي سمح لشركة الهند الشرقية الإنكليزية - الهولندية بفتح فروع لها في بلاد فارس، وقد ساعدت هذه الشركة الشاه عباس في طرد البرتغاليين من جزيرة هرمز.

في عام (١٦٢٩-١٧٢٦م) شاهدت الإمبراطورية الفارسية عهداً جديداً من التقهقر أمام الغزو والتوسع التركي والروسي.

وفي معاهدة ١٧٢٤م تقاسمت هاتان القوتان عدداً كبيراً من الأقاليم التابعة لنا، ومن جهة أخرى فقد نجح القائد الأفغاني أشرف باحتلال المناطق - الشرقية وتمكن من نهب أصفهان.

وكان الفرس في ذلك الوقت مزعزعي القوى منقسمين على أنفسهم.

ثم جاء الشاه نادر الذي أطلق عليه اسم **نابليون الفرس**، فأخضع العصاة في الشمال وأزاح القائد الأفغاني أشرف مستعيداً أصفهان عام ١٧٢٩م ثم طرد الأتراك مرتين من مواقعهم، لكي يلتفت بعد ذلك إلى الروس الذين اضطروا - إلى التراجع وترك المواقع التي احتلّوها سابقاً، وبعد ذلك تابع نادر فتوحاته فتوغل في الأراضي المجاورة محتلّاً إقليم كانداهار ثم كابول، وتابع سيره حتى احتلّ دلهي عام ١٧٣٩م.

بعد ذلك توالى على حكم الإمبراطورية الفارسية مجموعة من الحكام الضعفاء - الذين تسببوا في إضعاف البلاد، فاستطاعت الدول الأوروبية أن تحقق انتصارات كبيرة جدًّا في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية في أربعة أقطار الأراضي الفارسية، وهكذا ضاعت منا أقاليمنا في القوقاز ثم تركمانشاه من قبل روسيا، ثم أجبرتنا انكلترا على الاعتراف بالمملكة الأفغانية الجديدة واقتطعت إقليم (هيرات) لتعطيه لهذه المملكة، كما تنازلنا في النهاية عن نصف إقليم سيستان إلى الأفغانيين.

ثم جاء الشاه فاتح علي حاكم (حذجار) الذي تولى السلطة من عام ١٧٩٧ إلى ١٨٣٤م، الذي كان معجباً إلى حد بعيد بنابليون بونابرت، وأقام حفلة استقبال كبيرة لكونت دي غاردان رئيس البعثة الدبلوماسية الفرنسية عام ١٨٠٧م التي أرسلها نابليون إلى طهران وقد درست هذه البعثة الطرق وتجوّلت في مختلف الأقاليم محاولة دراسة إمكانية توجيه حملة فرنسية إلى الهند وفي مصر كان بونابرت يدرس بعناية الحملات العسكرية المظفرة للشاه نادر عام ١٧٢٩م، إلّا أن المراسلات التي جرت بين الشاه فاتح علي وابنه عباس ميرزا - والجنرال غاردان مع نابليون ووزير الخارجية الفرنسية شامانيه، كانت تدلنا على الهدف الحقيقي للإمبراطور الفرنسي فقد كان يعتبر بلاد فارس الامتداد - الطبيعي للدول الغربية في المنطقة والنقطة التي تلتقي فيها التيارات الغربية والتيارات الشرقية، وبشكل عام كان بونابرت ينظر إلى بلاد الفرس أنها نقطة حيوية واستراتيجية بالغة الأهمية، ويجب التعاون مع الفرس في ضرب روسيا في البداية بشرط أن يمدهم بالأسلحة والمعدات والذخائر وعلى أن يتم استغلال (١٤٤) ألف فارس أفغاني مدرب ومؤهل بصورة جيدة في إرسال حملة فرنسية إلى الهند.

إلّا أن الدولة الفرنسية كانت ترى رأياً آخر، لأنها كانت تعتقد أن الحملة على الهند ستستغرق وقتاً لا يقل عن سبعة أشهر تقريباً لأن الجيش الفرنسي كان سيقطع مسافة طويلة تبدأ من حلب إلى بغداد إلى البصرة إلى شيراز إلى يازد، أو كان عليه الوصول عن طريق البحر الأسود، وعلى العموم فإن التحالف الفرنسي لم يعط أية نتائج إيجابية للشاه فاتح علي، حيث قام الروس باجتياح الأراضي الفارسية في الشمال، وكتب الجنرال غاردان في ذلك الوقت إلى نابليون يقول: من «الخليج» تقوم الآن حملة انكليزية بقيادة السير هارفو رد جونز محملة بالذهب الوفير.

إلّا أن الإمبراطور نابليون كان مشغولاً في ذلك الوقت بحرب واسعة مع الانكليز في إسبانيا ساعياً لتنصيب أخيه ملكاً عليها، وقد اضطر للتخلّي عن حملته المقترحة في إيران عندما بدأت قواته العظيمة حملتها الكبرى في الدانوب ضد الروس في أوروبا.

■ طريق الهند والنفط:

تحت قيادة الحكام الذين خلفوا الشاه فاتح عليّ كان الضعف هو الصفة المميّزة للحكم الفارسي، وقد حاول الشاه محمد عام ١٨٣٨م أن يستعيد إقليم (هيرات) ونجح في ذلك إلّا أنه ما لبث أن عاد إلى أفغانستان واضطررنا إلى الاعتراف بضمّه نهائيًّا إليها تحت وطأة التهديد البريطاني، والسبب في ذلك أن حكومة صاحبة الجلالة كانت تعتبر محاولتنا إعادة الإقليم عملاً عدائيًّا موجهاً ضدها ومنذ معاهدة باريس عام ١٨٥٧ وحتى عام ١٩٢١م لم تستطع أية حكومة فارسية أن تحرك جنديًّا واحداً أو تضع قانوناً ما لا يهم سوى الإيرانيين فقط دون الحصول على موافقة المستشارين الأجانب الذين كانوا يعملون في سفارة بريطانيا العظمى وسفارة روسيا، وكانت سياستنا، إذا جاز لنا أن نقول ذلك، تنطلق من هاتين السفارتين، وكانت الحكومتان البريطانية والروسية تتقاسمان أراضينا وبالكاد تنظران إلينا على أننا من طبقة الخدم، وكانت الاتصالات الدبلوماسية بينهما عبارة عن أوامر قاطعة علينا أن ننفذها، وكانت بريطانيا تهدّدنا دائماً بتوجيه حملات تأديبية من الهند، وغالباً ما تكون هذه الحملات مؤلفة من بضع مئات من الجنود تدخل الأراضي الفارسية وتتجوّل فيها دون أن تلقي مقاومة إلّا من قبل بعض رجال القبائل الذين كانوا يسبّبون لهذه القوات مشاكل طفيفة ثم يهرعون إلى الجبال لكي يختبؤوا بها، وكان الهم الأكبر لبريطانيا أن تبقى طريق الهند مفتوحاً في وجه القوافل التجارية.

■ النفط:

في أحد الأيام سار على طريق الهند اثنان من العلماء الفرنسيين هما (كوت) و(جاك ديمورغان)، حيث شاهدا آثاراً تدل على وجود جيوب نفطية كبيرة، وقبل ذلك كانت هناك محاولات مختلفة للعثور على النفط في الأراضي الإيرانية إلّا أنها لم تتكلل بالنجاح، وفي ما يتعلق بالعالمين الفرنسيين فقد صادفا نجاحاً باهراً وكان من السهل عليها أن يجدا الأموال اللازمة لتنفيذ مشاريعها، فاتفقا مع أحد أصحاب رؤوس الأموال الاستراليين واسمه (وليام كنوكس ارسي) كان يعيش في لندن، وقد استطاع تكوين ثروة ضخمة من مناجم الذهب التي يملكها في استراليا، وجذبته طبيعة المغامرة في الأراضي الفارسية وأحب أن يضاعف أمواله باستثمارها في استخراج الذهب الأسود ولذلك فقد بدأ عام ١٩٠١م مفاوضات معقدة مع روسيا وتوصل إلى اتفاق مناسب معها وبعد ذلك حصل (ارسي) من الشاه الفارسي على امتياز بالتنقيب عن النفط وكانت مدة هذا الامتياز (٦٠) عاماً وتشمل النفط والغاز والإسفلت وكافة المشتقات النفطية وذلك في كافة أنحاء الأراضي الفارسية والواقع أن (ارسي) كما يبدو قد تجاوز حدوده واستطاعته المالية في ذلك الامتياز فاضطر أن يتخلى عنه إلى شركة الزيت البريطانية - الإيرانية وفي تاريخ ٢٦ مايو عام ١٩٠٨م بدا استخراج النفط الفارسي، ودخل اسم كنوكس ارسي تاريخ صناعة النفط في إيران بالرغم من أنه لم يعرف من البلاد سوى اسمها ولم يشاهد في حياته كلها برميلاً من النفط. وفي هذه الأثناء استمرّت - بريطانيا وروسيا عملية تقاسم الأراضي الإيرانية.

■ فارس: بلاد الكوابيس:

كان للثورة التي اندلعت في روسيا عام ١٩٠٥م أثر كبير على الوضع في

إيران، وقد دفع ذلك الشاه الضعيف مظفر الدين إلى وضع شرعة جديدة تشبه الدستور، ثم أجرى انتخابات صورية سيطرت عليهما الأقلية الإقطاعية وظهرت إلى الوجود جمعية تشبه البرلمان البدائيَ وحصل في البلد شيء من التغيير وما عدا ذلك فقد كانت الحكومة المركزية ضعيفة جدًّا إلى حد أن سلطتها لم تكن تشمل حتى جميع أطراف العاصمة، وكان الجيش والشرطة غير موجود تقريباً وبعض الأفراد من العسكريين الذين كادوا يتلقون أجوراً زهيدة أو يعملون بدون أجر يفتشون عن حرفة جانبية مساعدة يعملون بها وعلى العموم فقد كانت القوات الإيرانية تخضع في الشمال لسيطرة الروس وفي الجنوب لسيطرة الإنكليز وكان القانون الوحيد الذي يسيطر في البلاد قانون القوة وكانت بإيدي كبار الملاك ورؤساء القبائل والعشائر المحليين الذين كانت تكلفهم الحكومة بالسهر على الأمن.

وكانت إيران من البلاد الأكثر فقراً في العالم إلى حد أن الحكومة كانت تستعين بالتجار إذا أرادت استقبال أحد الضيوف الرسميين في حين كان الشعب يتضوّر جوعاً والحالة الصحية كانت سيئة إلى حد كبير بحيث كان متوسط الأعمار في إيران (٣٠) عاماً فقط وكانت نسبة الوفيات بين الأطفال من أكثر النسب في العالم وعانى الشعب الإيراني من الأوبئة والأمراض بسبب قلّة العناية الصحية فانتشر وباء التيفوئيد والملاريا والتراخوما وقد كان هناك مناطق بكاملها موبوءة ومن ناحية الجهل فقد كان يسير على خط مواز، للناحية الصحية وكان عدد المتعلمين لا يزيد عن واحد بالمائة من عدد السكان وفي كل إيران لم يوجد سوى كلية واحدة، وكانت جميع مظاهر الحضارة والتكنولوجيا معدومة وغرق - الشعب الإيراني باللصوصية والكذب وانعدمت كل القيم الأخلاقية وبدا في هذه الأوقات وكان إيران تحتضر وتنتظر طلقة الرحمة التي تريحها من آلامها وفي هذه الأثناء تحرك أحد الزعماء لإنقاذ البلاد وكان هذا الشخص أبي.

الفصل الثالث

كيف وصلت عائلة بهلوي إلى الحكم؟(*)



رضا شاه بهلوي
مؤسس الدولة البهلوية

في ١٩٠٧م في الوقت الذي جرى فيه توقيع المعاهدة الإنجليزية - الروسية كان والدي الذي بلغ الثلاثين من عمره يقود وحدة من فرسان الكوزاك الإيرانيين وكان عملاقاً معبوداً من قبل فرسانه مهاباً من قبل رؤساء الوحدات الأخرى من أبناء العائلات الإقطاعية التي تسيطر على

(*) صحيفة الرأي العام - العدد ٥٨١٦ الكويت ١٥/١/١٩٨٠م، ص١٦.

البلاد وقد كتب عنه الكثير من القصص والروايات ورسموه وصوره خلال نصف قرن من الزمان وفي بداية الحرب العالمية الأولى كان والدي (رضا ماكسيم) بسبب وجود المدفع الرشاش من نوع ماكسيم معه بصورة دائمة لا يفارقه وذلك في الوقت الذي كان لا يوجد فيه في البلاد سوى خمسة مدافع رشاشة من هذا النوع وكانت شهرة والدي لا تنفك تتسع وتزداد وفي عام ١٩١٥م كان والدي يرى وهو يشعر بالألم الشديد كيف أصبحت الأرض الإيرانية مكاناً للصراع والحروب بين تركيا وألمانيا من جهة وبين روسيا وانجلترا من جهة أخرى.

■ بعد فرساي:

وبعد معاهدة عام ١٩١٩م لم تكن إيران أكثر من محمية بريطانية في حين كانت الحالة في الشمال تتبع تطورات الثورة البولشفية في روسيا وقد بدأت جمهورية روسيا بالظهور وفي وسط كل هذه الاضطرابات ولدت أنا في طهران بتاريخ ٢٦ أكتوبر عام ١٩١٩م وقد شعر والدي الذي كان عائداً في ذلك الوقت من إحدى غزواته الناجحة بالسرور الشديد بولادة وريث له.

وفي ذلك الوقت كانت الحكومة المركزية غير موجودة وقد تقاسم رؤساء العشائر حكم البلاد ولم تكن هناك أية قوانين وأنظمة أو بوليس أو جيش وكان القضاة في معظم الأوقات من رجال الذين الجاهلين وكانت القطعات المسلحة تضع قانونها بها وسارت الفوضى في جميع أنحاء البلاد حتى في طهران لم يكن يجرؤ أحد على الخروج في الليل إلّا في حالات الضرورة القصوى كالتفتيش عن طبيب كان في معظم الأحيان غير متوفر وكان الإنسان معرضاً في كل لحظة للسرقة والقتل في إحدى زوايا الشوارع والأزقة بالمدينة وكانت طرق المواصلات لدينا في حالة يرثى

لها إلى حد أن الشخص الذي كان يريد السفر من طهران إلى (مشاد) في الشمال الشرقي كان يجب عليه أن يمر بالأراضي الروسية لكي يتجنّب المرور في الطرقات المليئة باللصوص. ولكي يستطيع الإنسان الوصول من العاصمة إلى خوزستان الموجودة في الجنوب الغربي من البلاد كان من الضروري أن يمر في تركيا وبلاد الرافدين لكي يصل إلى هناك.

■ قطّاع الطرق:

وكان والدي الذي بدأ حرباً لا هوادة فيها ضد قطاع الطرق قبل ولادتي، قد أيقن أن الحالة وصلت في البلاد إلى شكل يدعو لليأس فقرّر أن يلقي بنفسه في المخاطر لإنقاذ ما يمكن إنقاذه أو أن يلقي الموت بشرف بطريقة تليق به كجندي، فامتطى جواده الأبيض وسار به في مقدمة الجنود وكان ذلك يجعله هدفاً لطلقات الأعداء إلّا أن هذه الطلقات كانت لسبب لا أحد يعلمه لا تصيبه كان الموت لا يريد الاقتراب منه كما يبدو. فتابع رضا خان مسيرته وطرد القوات الروسية والضباط الروس البيض وسيطر على القوزاق الإيرانيين وتمكن من تشكيل قوة قوامها (٢٥٠٠) فارس من قزوين الموقع الإستراتيجي الذي احتلّه البريطانيون وكان ذلك في أغسطس من عام ١٩٢٠م وقد أدرك والدي في ذلك الحين أن يختار بين الموت والحياة لوطنه فقرّر أن يتحرك.

ترك والدي قزوين بالسر ومشى إلى طهران مجتاحاً في طريقه المدينة وأجبر الشاه أحمد الذي كان يستلم السلطة في ذلك الوقت على تغيير الحكومة في ٢٣ فبراير ١٩٢١م.

وقد تمّ ذلك الانتصار الكبير بعدد قليل جدًّا من الضحايا الأمر الذي جعل القائد الإنكليزي الموجود في إيران القومندان ايرون سايد يقول: إن رضا خان هو الشخص الوحيد القادر على إنقاذ إيران.

وبعد ذلك شكل أحد الصحفيين الشباب واسمه سيد زياد الدين وكان صديقاً لوالدي الحكومة الجديدة لفترة قصيرة قام بعدها الشاه أحمد بتشكيل حكومة جديدة استلم والدي وزارة الحربية فيها.

■ **الجنرال:**

ولم يكن لدى والدي الذي أصبح جنرالاً أية نوايا بالاستيلاء على السلطة في ذلك الوقت بل على العكس فقد كان يطلب من الشاه أحمد بإصرار بأن يعود إلى إيران بعد أن تركها ليستقر في أوروبا وعندما قرّر الشاه أحمد بعد تردّد طويل العودة إلى بلاده عن طريق البحر ذهب والدي إلى استقباله في بندر بوشهر على (الخليج) وعندما قرّر الشاه بعد فترة العودة إلى فرنسا حيث توفي هناك أبقى رضا خان لأن إيران تحتاج إلى نظام جديد في الحكم فقد كان غياب السلطة الحقيقية على رأس البلاد عملية لا يمكن استمرارها.

وفي ذلك الوقت كانت الأنظار متجهة نحو مصطفى كمال الزعيم التركي الكبير وكان والدي معجباً بشخصيته كثيراً وبالطريقة الحازمة التي استطاع بها تغيير الأوضاع في تركيا.

كما أعتقد فقد كان مصطفى كمال يبادله الإعجاب وكان والدي يفكر كثيراً بالنظام الجمهوري الذي وضعه الزعيم التركي وبرئاسته للجمهورية التركية ولكن طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية في إيران كانت تفرض على والدي أن يجعلها إمبراطورية.

وفي وسط هذه الظروف صوت البرلمان الإيراني على تقديم التاج إلى الجنرال أرضا خان الذي أصبح الإمبراطور رضا شاه بهلوي وطبع بذلك التاريخ الإيراني الحديث بكلمة (بهلوي) التي أصبحت مرافقة

للحكم في إيران. وقد جرت مراسم الاحتفال بالتتويج بتاريخ ٢٥ أبريل عام ١٩٢٦م وفي وسط هذه المراسم جرى اعلاني وليًّا للعهد ووريثاً للعرش ولم يكن عمري وقتذاك يزيد على سبع سنوات.

■ الأب الحنون:

والحقيقة أن والدي كان يحبنا كثيراً بعمق وحنان فقد كنا (١١) ولداً وكنا نراه قويًّا وقادراً على كل شيء فكنا نخافه ونحترمه إلى أبعد الدرجات وكان بالرغم من أنه فارس تعوّد على القسوة والشدة. طيباً إلى حد كبير وقد شهد بذلك أعداؤه أنفسهم فقد كان من أولئك الأشخاص الذين يظهرون مرة واحدة كل عدّة قرون لكي يحفظ الوطن من السقوط وبصورة عامة فإن هذه الصفات هي التي ساعدت والدي على تخطي كل المصاعب التي واجهته خلال الفترة التي حكم بها وهي بنفس الوقت الصفات التي أدّت إلى رحيله وسقوطه.

ولم يكن الشاه رضا بهلوي من النوع الذي يهوى التمتع بمظاهر السلطة والرفاهية فقد كان يرى أن كونه إمبراطوراً لا يعني سوى نوع من أنواع الخدمة العسكرية وانطلاقاً من هذا المبدأ فقد كان ينام في معظم الأحيان على الأرض فوق فراش بسيط جدًّا.

ويصحى من نومه في الساعة الخامسة صباحاً ولا يتناول خلال النهار كله سوى وجبتين بسيطتين ويعمل طيلة ساعات اليوم الباقية.

■ صراع من أجل وحدة واستقلال الوطن:

بعد فترة قليلة من تسلم والدي السلطة وقّعت إيران وروسيا السوفياتية معاهدة عدم اعتداء وصداقة وثيقة وقد أدى ذلك إلى سقوط المعاهدة البريطانية الإيرانية التي لم تكن قد حظيت حتى ذلك التاريخ

بموافقة البرلمان. وفي هذه الأثناء كان والدي يحاول تحقيق الوحدة الداخلية للبلاد وابتدأ بإخضاع رؤساء القبائل الذين كانوا مكلفين لحماية المناطق التي يجري فيها استخراج النفط من قبل شركة النفط الإيرانية البريطانية وقد استطاع والدي إعادة النظام وأخضع القبائل في وسط البلاد وجنوبها وفي القطاع الجنوبي الغربي.

■ الجيش:

ووجه والدي اهتمامه بعد أن استولى على طهران بصورة رئيسية إلى إعادة خلق وتنظيم الجيش الإيراني وقد استطاع أن يحقق جزءًا كبيراً من هذه الفكرة ووضع الأسس اللازمة لبناء جيش قوي وموحد يستطيع أن يحفظ الأمن في البلاد ويمنع السرقة واللصوصية في الطرقات البعيدة في جميع أنحاء الإمبراطورية. وبعد ذلك ابتدأ الشاه رضا بهلوي ببناء البحرية الإيرانية ثم سلاح الطيران وقد قام ضباط وخبراء فرنسيون بالإشراف على عملية بناء الجيش الإيراني بكافة قطاعاته ودرّبوا الأفراد على استخدام الأسلحة وكان الضباط الإيرانيون يتدربون في مختلف الكليات الحربية في فرنسا.

وعلى خط مواز كان والدي يحاول إعادة البناء الاقتصادي وبدا في الناحية الصناعية وخاصة في إنتاج السلع الضرورية التي يحتاج إليها الشعب الإيراني بصورة مستمرة وفي نفس الوقت كان والدي يريد أن يقوم ببعض الإصلاحات في الميدان الزراعي ولكن تحقيق ذلك كان أمراً مستحيلاً بسبب طبيعة الأوضاع الموجودة في ذلك الوقت وقد استطعت أنا بعد ذلك بسنوات تحقيق حلم والدي عندما قمت بالثورة البيضاء في ميدان الإصلاح الزراعي.

ووضع والدي أيضاً حدًّا للتدخل الأجنبي والوصاية التي كانت

مفروضة علينا واستطاع أن يحقق ذلك بصورة تدريجية وكانت القوانين الجمركية مسنودة إلى الخبراء البلجيكيين الذين وضعوا كافة العائدات الجمركية لتسديد ديوننا الخارجية وفي نفس الوقت كان خبراء سويديون يقومون بتنظيم قوات رجال الشرطة ولم يكن في البلاد سوى مصارف بريطانية وعثمانية وروسية كما كان البريطانيون يسيطرون على قطاعات عديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية منها إصدار الأوراق النقدية والخدمات الهاتفية والتلغرافية وغيرها.

الفصل الرابع

بداية الصراع مع رجال الدين

من ضمن الترتيبات التي اتخذها والدي الشاه رضا بهلوي لخلق دولة حديثة في إيران كانت العملة الجديدة التي جرى طبعها وتوزيعها والتي كانت تستند إلى أساس متين هو الذهب والجواهر والحلى الخاص بالتاج الإمبراطوري وكانت تحتوي على مجموعة نادرة من الحجارة الكريمة واللؤلؤ والألماس التي جمعها الشاه نادر أثناء استيلائه على الهند. وإذا كان التاج البريطاني يحتوي على الجوهرة المشهورة التي أطلق عليها اسم **(جبل النور)** فإن التاج الإيراني كان يتميّز بوجود جوهرة ضخمة أيضاً أطلق عليها اسم **(بحر النور)** ويمكن أن تكون أكثر جودة من الجوهرة الأولى.

وهذه الجواهر كلها توجد في خزائن البنك المركزي الإيراني في طهران مع كل الذهب القومي ويوجد في أقبية البنك خزائن مليئة باللؤلؤ والألماس التي اشتريناها والتي أهديت إلينا وكنا دائماً نعتبر أن هذه الكنوز ملك الوطن وللشعب الإيراني.

إن المتظاهرين الذين تراوحت أعمارهم بين (١٥) إلى (١٧) سنة والذين قاموا بتحطيم تماثيل والدي يجهلون تماماً مقدار ضخام الجهود التي بذلها لكي ينقذ الوطن من الضياع لكي يبني الدولة الحديثة بمدنها

الجديدة ومدارسها وأول جامعة فيها ومستشفياتها ومصانعها وطرقها وموانئها وأول مركز لإنتاج الطاقة الكهربائية فيها. في عام ١٩٢٧م جرى بنا الخط الحديدي (ترانس إيران) الذي يمر عبر إيران على مسافة (١٥٠٠) كيلومتراً والذي يحتوي على (٤١٠٠) جسراً و(٣٢٤) نفقاً لقد بذل والدي كل هذه الجهود لكي يجعل من ثروات البلاد ثروات قومية تخص كل الشعب الإيراني ففسخ العقد الموقع مع (ارسي) من أجل استخراج النفط وعقد اتفاقاً جديداً مع شركة النفط البريطانية - الإيرانية خاصة وأن إنتاج النفط كان يتزايد باستمرار حتى وصل إلى أكثر من عشرة ملايين طن عام ١٩٣٨م ثم وصل إلى (٣٠٠) مليون طن عام ١٩٧٧م.

في عام (١٩٢٦-١٩٢٧م) بدأت عملية تطوير القوانين على مختلف أنواعها وفقاً للإشكالات السائدة في فرنسا كما جرى إقرار مبدأ التعليم الابتدائي الإلزامي بالرغم من النقص الكبير الذي كنا نعانيه في عدد المعلمين الأكفاء ويجب علينا أن نفهم في هذا المجال الأهمية الرئيسية لعملية التطوير هذه التي تفاعلت وشملت الشرق الأوسط بكامله والإسلامي منه بشكل خاص ذلك أن المبادئ التي وضعها أبي تمّت ونفذت من قبلي والتي اعتمدت على الروح الغربية العلمية في بعض نواحيها أثرت كثيراً على نواحيها رجال الدين بانتزاعها جزءًا كبيراً من السلطات الروحية التي كانوا يتمتعون بها ولم يحاول هؤلاء أن يسايروا ذلك التطور ويستفيدوا من نتائجه الجيدة لكي يحاولوا بناء القيم والأخلاق والروح الإسلامية في الإنسان بل على العكس فإن جزءًا من رجال الدين الشيعة بدأوا يتعاركون في ما بينهم على المناصب الدينية والسياسية القديمة وتتسبب ذلك بحدوث فوضى كبيرة أثرت كثيراً في البلاد ومن ناحية أخرى فقد كانت الماركسية المجاور لنا في روسيا

تحاول التسلل إلى البلاد واتخذت اشكالاً عديدة منها الماركسية الإسلامية

الصدام مع رجال الدين:

ولكن في عهد والدي يجب علينا أن نعترف أنه لو لم يتم بضرب «المميزات - السياسية لبعض رجال الدين منذ البداية لكان من الصعب عليه جدًّا أن يقوم بكل هذه الإجراءات التي تستهدف إدخال الوسائل الحديثة في جميع المرافق وكان على إيران أن تنتظر فترة طويلة قبل الوصول إلى المرحلة التي وصلت إليها الآن».

وكان والدي يأمل أن يوفق بين المشاعر الدينية وبين مظاهر التقدم العربي وبرغم كل الاتهامات التي وجهت إليه فقد كان والدي رجلاً مؤمناً بشكل فعلي كما هي الحال بالنسبة لي.

والواقع أن سلطة رجال الدين في إيران في ذلك الوقت كانت قوية إلى حد لا يمكن تحديها ولا يمكن منافستها إلّا أن إيران كانت يجب أن تلحق العصر الذي يعيش فيه العالم الآن مهما كان الثمن وهذا ما يحدث في الوقت الحالي عندما يحاور رجال الدين إعادة إيران وإخراجها من المرحلة التي قطعتها وقد حاول والدي أكثر من مرة أن يؤكد لهم أن من المستحيل أن تستطيع إيران العيش في القرن العشرين إذا ظلّت تعيش في الظلام وكان الشاه رضا بهلوي يعتقد أن المشاعر الدينية يجب أن تبقى فوق القضايا الاقتصادية والسياسية التي تنشغل بها الإدارة في البلاد وكان أكثر إيماناً من أن يعتقد أن الله يمكن أن ينزل إلى مستوى التدخل في الأمور الانتخابية والمجالس المحلية أو إلى مستوى مهندس يعمل في الحقول النفطية.

■ من الآباء إلى الأبناء:

وهذا ما كان والدي يحاول أن يعلمه لأبنائه على أساس أنه يمكن

السير جنباً إلى جنب مع تعاليم الإسلام في عملية بناء البلاد وقد نجح في ذلك لأن - الشاه رضا بهلوي عندما استلم دفة الحكم في إيران كانت في حالة يرثى لها مهدمة وعلى شفا الانهيار فأعاد بناءها بالشكل الموجودة عليه ووضع لها الأسس اللازمة وخلال المدة التي حكمت بها إيران كان همّي الأول موجهاً إلى زيادة قوة ومتانة هذه الأسس وأصبحت إيران من أكبر وأهم الدول الإسلامية في العالم وعرف العالم هذه الحقيقة عن إيران فتمتعت بالاحترام اللازم واللائق بها بين كل القوى الكبرى.

■ دعوة لترك الملابس الشرقية:

وكان والدي يحاول دائماً أن يحمي ديننا من الدعايات المغرضة التي كانت تحيط به والتي كانت تصدر عن بعض الأشخاص المستفيدين من الدين في المساجد وذلك كان يعني أنه كان لا يقبل كل الفتاوى والتعاليم التي كان هؤلاء يطلقونها والتي تهدف إلى إعادة البلاد إلى الظلام الذي كانت تعيش فيه ولذلك فقد قرر أن يترك المواطنون وبصورة نهائية الملابس الشرقية القديمة بسراويلها العريضة وعماماتها الكبيرة والمناديل السميكة ولم يكن ذلك يتناسب مع أذواق البعض من المواطنين. وعندما حاول رجال الدين والمتزمتين دعوة النساء الإيرانيات في الوقت الحالي إلى العودة إلى الحجاب والبراق قمن باحتجاجات شديدة ورفضن العودة إلى هذه المظاهر بعد أن كن يتمتعن خلال الفترة التي حكمت بحرية كاملة في الألبسة التي يرتدينها وعلى العموم فقد كانت المحاولات التي جرت منذ عام ١٩٢٦م لتحديث إيران موضع اجتماع واعتراض من قبل عدد من رجال الدين الذين سكنوا في ذلك الوقت ثم عادوا وأبدوا اعتراضاتهم وظهروا بوضوح في المشاكل التي حصلت في إيران عام ١٩٥٣ وعام ١٩٦٣ وعام ١٩٧٨م.

■ قوة الصلاة والإيمان:

ويفضل المثال الذي وضعه والدي استطعت أن أفهم بشكل مبكر كم هي شديدة القوة التي تنتج عن الصلاة وأنا أختلف في ذلك عن بقية الأطفال الذين تعلّموا تلاوة الآيات وشعائر الصلاة دون أن يدركوا معناها وما يدور وراءها.

وقد كتبت صحف كثيرة مقالات واسعة صحيحة أو غير صحيحة عن طفولتي ولكنني بعد فترة من الوقت من تتويجي خلفاً لوالدي وجدت نفسي ذات يوم ملقى على السرير وبجانبي التاج مريضاً بالتفوئيد الذي اصابتني وهدّد بالقضاء عليّ إلّا أنني في إحدى الليالي رأيت الإمام علي (رضي الله عنه) وبواسطة المعلومات التي كنت أعرضها في طفولتي كنت أدرك أن الإمام علي (رضي الله عنه) هو الأول في مجموعة أئمتنا. وفي المنام - شاهدت الإمام علي (رضي الله عنه) وقد تناول السيف ذا الحدين بيده وهو الذي اعتدنا أن نراه دائماً في الرسومات والصور المستوحاة من حياته وبيده الأخرى كان يمسك زجاجة صغيرة فيها سائل ذلك الأمر وفي الصباح كانت الحمى التي لازمتني قد زالت وسط دهشة واستغراب كل الذين يحيطون بي وشفيت بعد ذلك بسرعة غريبة.

وبعد وقت قليل وخلال الصيف أثناء توجهي إلى أحد الأماكن المقدسة امام زاده داود وهو قائم في الجبال. سقطت من على الحصان الذي كنت أمتطيه على الصخور وأغمي عليّ وقد اعتقد الذين كانوا معي بأنني قد فقدت الحياة ولكني لم أصب بأذى لأنني شاهدت وأنا أسقط أحد الأئمة المقدسين عندنا وهو الإمام عباس (رضي الله عنه) يلتقطني خلال سقوطي.

وبعد الحلم الذي رأيت فيه الإمام علي (رضي الله عنه) ثم هذه الرؤية للإمام عباس (رضي الله عنه) وبالقرب من القصر الملكي في شمران ظهرت أمامي رؤية جديدة للإمام وهو حسب اعتقادنا بأنه سيظهر في الأرض لكي ينقذ العالم

والحلم والرؤية والظهور بقيت بالنسبة للأشخاص غير المؤمنين أموراً غامضة لا يستطيعون تعليلها في حين انها كانت بالنسبة لي عاملاً على زيادة قوة الإيمان في نفسي ذلك الإيمان الذي كان عوناً كبيراً في مناسبات عديدة تعرضت فيها لبعض الحوادث.

الفصل الخامس

سلسلة من الحوادث

الحادثة الأولى التي تعرّضت لها كانت بالطائرة بالقرب من أصفهان وكان يرافقني أحد الجنرالات وفجأة بدأ محرك الطائرة بالاضطراب وأخذ يتقطع وكان يجب عليّ أن أحاول الهبوط الاضطراري وخاصة عندما ألقيت نظرة على المحرك فوجدت أن الأمر اتخذ شكلاً خطيراً وكانت توجد على يميني سلسلة من الجبال وعلى شمالي حقول محروثة حديثاً ذات أرض ليّنة ولذلك فقد كانت مسألة هبوطي مستحيلة فأخذت أتحوّل إلى اليمين شيئاً فشيئاً محافظاً على سلسلة الجبال تنقطع تاركة بينها فراغاً، يكفي لمرور الطائرة فعبرت منه ووجدت أمامي على كتف الجبل فسحة من الأرض تكفي لهبوط طائرتي فاغتنمت الفرصة ونزلت بها نحوالأرض وحين لمست العجلات التراب فوجئت بصخرة كبيرة تظهر في وسط الساحة أمام الطائرة مباشرة وكانت أجهزة الهبوط قد تلفت عندما أصبحت على الأرض فزحفت الطائرة على بطنها فهدأت سرعتها قليلاً وبعد دقيقة اصطدمت المحركات بصخرة جانبية فانقلبت الطائرة ووجدت نفسي مع رفيقي في وضع مقلوب رأساً على عقب معلقين داخل غرفة القيادة واستطعنا بصعوبة كبيرة التخلّص من الأحزمة التي تربطنا بالمقاعد ونظرت إلى الجنرال فرأيت وجهه قد أصبح أخضر اللون.

■ **سيدي انك لن تطير:**

وكانت هناك طائرة أخرى تتبعنا استطاعت الهبوط بدون مشاكل بالقرب من إحدى القرى المجاورة وبعد فترة من الوقت عاد إلينا مرافقونا بسيارات عسكرية هرعوا يسألوننا عمّا حدث فطمأنتهم وقلت لهم: والآن بعد أن انتهينا من الطائرة الأولى سنجرّب الطائرة الثانية ولكنهم سارعوا إلى الاحتجاج وحاولوا إقناعي بالعدول عن فكري ولما وجدني الجنرالات مصرًّا على الإقلاع بالطائرة انطرحوا على الأرض أمامها قائلين: كلا يا سيدي إنك لن تطير.. فاضطررت بذلك إلى متابعة رحلتي بالسيارة ووصلت أصفهان.

ثم تعرّضت لحادثة أخرى مشابهة بالطائرة أيضاً اضطررت فيها إلى خرق كافة الأنظمة وأصول القيادة ونجحت في إنقاذ نفسي بعد أن واجهت الموت مرة جديدة، وأيقنت بعدها أن ساعة موتي ما زالت بعيدة.

■ **خمس رصاصات:**

وفي يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٩م تعرّضت لمحاولة اغتيال فاشلة أيقنت بعدها أن هناك شيئاً ما يحميني ففي ظهر ذلك اليوم كان عليّ أن أحضر حفلة كبيرة أقيمت بمناسبة الذكرى السنوية لتأسيس جامعة طهران، وكنت أرتدي يومها الثياب العسكرية وكان عليّ أن أقوم بتوزيع الشهادات على المتخرجين.

وكانت الساعة قد وصلت إلى الثالثة بعد الظهر عندما وصلت إلى مكان الاحتفال فتقاطر المصوّرون عليّ للحصول على بعض الصور، ولمحت واحداً منهم ينفصل عن رفاقه مبتعداً عنّي حوالى ثلاثة أمتار ثم رفع يده بمسدس وصوّبه عليّ وأطلق الرصاص، وسمعت صوت ثلاث رصاصات وطارت قبعتي من فوق رأسي ومسّت واحدة منها شعر رأسي



محمد رضا بهلوي عام ١٩٤٩م في المستشفى بعد عملية الاغتيال الفاشلة

ثم أصابتني الرابعة في وجنتي وخرجت من تحت أنفي، وكنت لا أزال أنظر بقوة في عيني ذلك الشخص وفهمت من نظراته أنه سيطلق الرصاص مرة أخرى فاستدرت بسرعة وكان لديّ لحسن الحظ الوقت الكافي لكي انحرف قليلاً بحيث أن الرصاصة التي كان مقرراً لها أن تصيبني في قلبي جاءت في كتفي، وعندما حاول أن يطلق الرصاصة السادسة والأخيرة تعطل المسدس ولم يستطع إطلاقها فسارع الحراس إلى قتله فوراً، ومن الممكن أن يكون هناك مصلحة للبعض بقتل ذلك الرجل حتى لا يتكلم إذا تمّ اعتقاله وعلمنا بعد ذلك أن الشخص الذي حاول اغتيالي له علاقات متينة مع بعض الزعماء الدينيين الذين عرفوا بأنهم محافظون متطرفون، كما وجد في بيته منشورات ودعايات من حزب (توده) وهو الحزب الشيوعي في إيران ولم يكن قد منع من ممارسة النشاط السياسي بعد وعلى العموم فإن فشل هذه المحاولة برهنت لي مرة أخرى إن القوة المجهولة التي أشرت إليها سابقاً ما زالت تحميني وكنت متأكداً تماماً أنه لن يصيبني إلّا ما كتب لي. كان إيماني ويقيني هو الذي يقودني دائماً بصفتي رجلاً وإنساناً من جهة وبصفتي رئيس دولة وكنت باستمرار اعتبر أن من أهم واجباتي أن أعطي الدين المكانة اللائقة له وأن أحافظ على هذه المكانة وبالفعل فقد كانت الثورة البيضاء التي قمت بها فيما بعد تستند في أسسها على مبادئ الإسلام بالدرجة الأولى ذلك أن الإسلام يعتبر الإسمنت الذي يزيد من قوة الترابط الاجتماعي بل انه حجر الأساس في الحياة العائلية والحياة الوطنية.

■ الرجال العظام في التاريخ:

كان عمري ست سنوات عندما كانت لديّ مربية فرنسية كانت زوجة لواحد من المواطنين واسمها (مدام ارفا) كانت تكن حقداً رهيباً على

الألمان وبفضلها استطعت أن أتكلم اللغة الفرنسية جيداً، واستفدت من ذلك عندما ذهبت إلى سويسرا للدراسة عندما وصلت إلى ١٢ عاماً وبقيت حتى عام ١٩٣٦ أطبق تعاليم الدين الإسلامي بدقة تامة، ويجب أن أقول أنني كنت مغرماً بقراءة التاريخ الفارسي، وكنت معجباً بالقديس (لويس) الذي يوزع العدالة تحت شجرة البلوط في غابة (فنسين) وكان لويس التاسع يذكرني بملكنا أنو شروان الذي يعلّق على بابه جرساً خاصًّا بالمظلومين وكان الذي يريد العدالة يأتي إلى الجرس ويدقه، وأعجبت بالملك هنري الرابع وبونابرت الذي كان بنظري قد قام بدور عظيم ودرست أيضاً بدقة دور الكاردينالات في التاريخ الفرنسي وأشهرهم ريشيليو ومازارين ودوبوا، وهؤلاء بالرغم من الأخطاء التي وقعوا فيها فقد قدموا لفرنسا خدمات جليلة ومن بين الرجال العظام كنت معجباً أيضاً بشارلس كنت المحارب الكبير والسياسي العاقل وبطرس الأكبر وكاترين واليزابيت ملكتا انكلترا وفريدريك الكبير وكنت كوريث للعرش على ثقة من أنني سأحكم بلادي ذات يوم ولذلك فقد كنت أميل كثيراً لدراسة التاريخ.

■ التطور في إيران:

وعندما كنت طفلاً كانت إحدى أمنياتي أن أجعل فلاحينا سعداء. وكان حلمي الآخر أن يحكم على كل شخص بموجب القانون العادل. وسأذكر فيما بعد كيف حاولت بكل جهدي لكي أجعل من هذين الحلمين حقيقة واقعة، وفي عام ١٩٣١م ذهبت إلى الميناء الصغير في بلدة (بندر بهلوي) حيث أبحرت إلى (باكو) في روسيا لكي أذهب بواسطة القطار إلى سويسرا حيث كنت أتابع دراستي، وعندما عدت عام ١٩٣٦م، لم أستطع التعرّف على المدينة، فقد أصبحت (بندر بهلوي)

مدينة حديثة وغربية، وكذلك طهران بدأت تصبح على شكل يجعلها أشبه بعاصمة أوروبية بعد أن هدمت كل الأبنية العتيقة بأمر من والدي.

وبعد أن تخرجت من دراستي العسكرية برتبة وكيل ضابط عام ١٩٣٨م كنت أقضي عدّة ساعات كل يوم مع والدي الشاه، كما كنت أرافقه في معظم جولاته وكان والدي يرغب دائماً في أن يجعلني أتعرّف على أعماق بلادي وكان يقول لي أن حرفة الملك تبدأ دائماً من الحرفة العسكرية وكان يخشى دائماً بعد أن حضر الحرب العالمية الأولى، أن تقوم حرب عالمية ثانية قبل أن تستطيع إيران أن تدافع عن نفسها ضد أي طرف كان، وفي العام التالي بتاريخ العاشر من سبتمبر انفجرت الحرب العالمية الثانية كما توقع والدي.

■ البقاء على الحياد في الحرب العالمية الثانية:

على عكس من التقارير التي كتبت عن إيران في الحرب العالمية الثانية فإن والدي لم يكن يثق بهتلر على الإطلاق، وكان يعتقد أن الفوهرر رجل خطر جدًّا بل كارثة على العالم المتمدن، وبالرغم من أننا كنا في إيران نعتمد على عدد من الخبراء الألمان فإن والدي سارع لإعلان حياد البلاد.

وخلال المرحلة الأولى من الحرب وحتى الهجوم على محور البلقان في ابريل عام ١٩٤١م كنا لا نزال نحتفظ بالأمل في أن تبتعد هذه الحرب الكبيرة عن الأراضي الإيرانية، وحتى بعد أن اجتاح الألمان الأراضي الروسية فإن إيران أكدت مرة أخرى وبصورة واضحة حيادها المطلق إلّا أننا ما لبثنا أن تخلينا عن هذا الأمل، ذلك أن الغزو الألماني للأراضي الروسية قد ترك الاتحاد السوفياتي في حالة يرثى لها فطلب مساعدة الحلفاء لكي تفك القوات الألمانية الحصار عن المدن الروسية الكبرى

وكانت المدفعية الألمانية في الشمال قرب مورمنتسك قوية وصعبة الاختراق والقوة الألمانية في المتوسط كبيرة بحيث لا يمكن لمساعدات الحلفاء الوصول إلى روسيا عن هذا الطريق كما أقفلت تركيا المضائق في وجه جميع التحركات العسكرية وكان رومل والقوات الألمانية الكبيرة يمسحون إفريقيا ويهددون الاسكندرية كما كان الألمان أسياداً في بلغاريا واليونان وعلمنا في صيف ١٩٤٢م أن الوحدات الألمانية المتحركة وصلت إلى منابع النفط وفي القوقاز لم يكن أمام الحلفاء للوصول إلى روسيا سوى طريق واحد هو الطريق الذي يمر من الخليج وأصبحت إيران فجأة ذات أهمية استراتيجية وتكتيكية من الدرجة الأولى.

الفصل السادس

تحركات القوات البريطانية

أصبحت إيران فجأة ذات أهمية ستراتيجية كبيرة لأنها الطريق الوحيد الذي يستطيع الحلفاء منه إرسال المساعدات إلى روسيا السوفياتية التي خنقتها القوات الإيرانية وتلقيت ذات يوم من الملك فاروق الذي تزوجت أخته خبراً بواسطة سفيره في طهران أن ثمة تحركات للقوات البريطانية يمكن أن تفسر أنها موجهة ضد إيران فأنذرت والدي الذي أرسل على الفور برقية إلى وزيرنا المفوض في لندن لكي يستعلم عن النوايا الحقيقية لبريطانيا، وفي نفس الوقت قامت بعض الطائرات الإيطالية بالتحليق فوق أقاليم (الخليج العربي) وألقت مجموعة قليلة من القنابل كما علمنا أن السفن التجارية الألمانية التي كانت تعبر الخليج كانت سفناً مسلحة وحاولنا ووزيرنا المفوض في لندن البحث عن صيغة يمكن بواسطتها التوصل إلى فتح الطريق أمام الحلفاء للوصول إلى الأراضي السوفياتية بإذننا ولكن وزيرنا لم يحصل على أي جواب من بريطانيا.

وفي طهران كان السفيران البريطاني والروسي يمارسان ضغطاً علينا لكي نطرد الخبراء الألمان المقيمين في إيران، فقررنا أن نقوم بذلك وعند الخطوة الأولى في تحقيق ذلك الأمر عرفنا في ٢٣ أغسطس ١٩٤١م أن قواتاً من البلدين قد عبرت الحدود وبدأت في اجتياح إيران دون انذار.

■ إيران تحت الاحتلال الثنائي:

في الشمال اجتاحت القوات الروسية المتحركة الحدود الإيرانية في أذربيجان في حين تقدمت وحدات أخرى في الشرق من خراسان وعلى طول الحدود، ومن ناحية أخرى فقد عبرت خمس فرق بريطانية وصعدت من الجنوب والغرب والجنوب الغربي، في حين قام سلاح الجو الملكي البريطاني بقصف عدد من المدن الإيرانية والأهداف المعسكرية في بندر شابور الأهواز كرمنشاه، محاولاً عدم اصابة المنشآت البترولية وأغرقت إحدى المدمرات البريطانية التي وصلت أمام عبادان احدى سفننا الحربية، في الوقت الذي كانت فيه الطائرات السوفياتية تقوم بقصف تبريز - وقزوين وبندر بهلوي الخ... وقام سفيرنا في موسكو بالاحتجاج لدى الزعيم السوفياتي مولوتوف طالباً منه ردًّا على قبول السوفيات الدخول في عمليات عسكرية ضد إيران بالاتفاق مع بريطانيا ولكن مولوتوف لم يرد. ولكننا علمنا بعد ذلك أن قرار فتح الطريق الإيراني نحو الاتحاد السوفياتي قد اتخذ في اللقاء الذي حدث بين روزفلت وتشرشل فوق احدى السفن الحربية الأمريكية عند توقيع معاهدة الأطلسي.

■ الشاه رضا يتنازل عن العرش:

في ٢٨ أغسطس أعطى الشاه رضا الأوامر للجيش الإيراني بإلقاء السلاح وفي ١٧ سبتمبر تلقى والدي اشعاراً من الحلفاء بأن قواتهم ستدخل طهران وما أن عرف بأن القوات البريطانية تقترب من العاصمة حتى استدعاني وقال لي: هل تعتقد أنني أستطيع بعد الآن أن أتلقى الأوامر تنازل والدي عن العرش وقرأ أمام البرلمان كتاب التنازل الذي تضمن ما يلي: «**أنا شاه إيران بإرادة الله وارادة الأمة اتخذت قراراً خطيراً بالانسحاب والتنازل لولدي المحبوب محمد رضا بهلوي**...».

وصادق البرلمان على القرار بالإجماع وأصبحت أنا الحاكم الجديد لإيران ولكن كان عليَّ الوصول إلى البرلمان من أجل عملية التتويج وهذه عملية صعبة لأن القوات الروسية والبريطانية كانت داخل العاصمة ولكن وصولي إلى البرلمان جرى بسهولة حين قامت جماهير الشعب الإيراني بتأمين سلامتي حتى الأبواب وانتهت بعد ذلك مراسم الاحتفال ولقيت من الإيرانيين ترحيباً كبيراً إلى حد أن الجماهير المتحمسة أرادوا حمل سيارتي على أكتافهم وهكذا فقد تحوّل احتفال التتويج إلى ظاهرة وطنية واسعة مليئة بالتلاحم الشعبي الأمر الذي لن يمحي من ذاكرتي إلى الأبد.

■ موت الشاه:

وبالطبع فإن السفيرين البريطاني والروسي لم يحضرا مراسم الاحتفال ولم أتلق الاعتراف الرسمي بالوضع الجديد في إيران من موسكو ومن لندن إلّا بعد ثلاثة أيام وذلك بعد أن ثبت لهم من المظاهرات الوطنية أنه لم يعد باستطاعتهم القيام بأي عمل مضاد وكانت القوات المحتلة تأمل في أن تجد لي رئيس دولة صغيراً هشًّا وكان من الممكن أن أكون على هذا الشكل رئيساً ضعيفاً يمكن التحكم فيه بسهولة ولكن الأمور سارت على نفس الطريق السابق وهو المحافظة على الحياد المطلق.

ويظهر أن الصدمة كانت شديدة على والدي الذي لجأ للعيش في مدينة جوهانسبرغ عاصمة جنوب إفريقيا فمات هناك وتلقيت خبر وفاته عام ١٩٤٤م وكان ألمي عظيماً جدًّا لذلك يجب عليَّ أن أتابع الطريق الذي سار عليه حتى آخر حدود الجهد الذي يمكن أن أبذله لأعيد للبلاد حريتها وكرامتها وكان يبدو لي أن الأمور أصبحت بالنسبة لإيران مسألة حياة أو موت لقد عدنا ونحن في عام ١٩٤١م إلى نفس الوضع الذي كانت فيه إيران عام ١٩٢٠م وقد بلغت من العمر (٢٢) عاماً.

■ الاعتراف باستقلال وسيادة إيران:

كان يجب عليّ منذ البداية أن أقوم بحل المشاكل الكثيرة التي نجمت في البلاد عن الاحتلال الأجنبي، وهكذا فمنذ ٢٩ يناير ١٩٤٢م نجحنا مع البريطانيين والروس بتوقيع معاهدة تحالف ثلاثية كانت تعترف رسميًّا بسيادة واستقلال إيران ونصّت في المادة رقم (٥) على ما يلي: «وأن القوات الحليفة يجب أن تترك الأراضي الإيرانية بعد ستة أشهر فقط من نهاية كل مظاهر العداء بين الحلفاء وبين المانيا وحلفائها» كما نصّت المادة السادسة على ضمان عدم تقسيم إيران في المستقبل بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي وبالرغم من ذلك فقد كان عليّ أن أكافح وأصارع ضد كل المحاولات والمؤامرات التي كانت تستهدف تمزيق وحدة البلاد وذلك في الفترة ما بين ١٩٤٢ إلى ١٩٤٦م وذلك بالإضافة إلى ضرورة معالجة المشاكل الاقتصادية ومن أهمها وجود السوق السودا، وأصدرت قراراً منعت فيه تحويل إنتاج المصانع الإيرانينة إلى القوات البريطانية والروسية ومن الناحية السياسية فقد كان علينا مواجهة كل محاولات الانفصال التي تتحرك من الداخل ومن الخارج وكان الروس محافظين على عادتهم في البلاد التي يحتلّونها وهي خلق جذور للحزب الشيوعي في إيران وأطلق عليه اسم (تودة) وهذا الحزب دأب منذ تشكيله على خلق المشاكل السياسية والاقتصادية لإيران وما زال حتى الآن يسير على نفس الخطى ومن ناحية أخرى فقد كان الروس يساعدون دائماً المحاولات الانفصالية التي كانت تقوم في أذربيجان وفي كردستان وحاولوا تأخير سحب قواتهم من الأراضي الإيرانية وقتاً طويلاً بالرغم من أن القوات الإيرانية والأمريكية انسحبت في الوقت المحدّد في معاهدة التحالف الثلاثية.

وفي أذربيجان كان الحالة تزداد خطورة شيئاً فشيئاً لأن العصاة

استولوا على كل المنشآت العامة وخضع زعيمهم إلى الإغراءات التي قدمتها روسيا له.

■ نكون أو لا نكون:

بعد كل ذلك قام العصاة بإعلان ابيت قلال كردستان بمساعدة موسكو وحمايتها وكانت قواتها لا تزال موجودة في الأراضي الإيرانية إلّا أن الرئيس الأميركي ترومان أدرك خطورة هذا الوضع فأرسل بتاريخ الثامن من مارس ١٩٤٦م مذكرة إلى مولوتوف يطلب فيها منه التقيّد بالاتفاقية الخاصة باستقلال وسيادة إيران وكان أن انسحبت القوات الروسية بصورة رسمية من الأراضي الإيرانية في مايو عام ١٩٤٦م وتحررت أرضنا في النهائية من قوات الاحتلال. وتفرغنا بعد ذلك إلى معالجة الحركات الانفصالية التي كانت بالنسبة لإيران قضية حياة أو موت.

ومما زاد في خطورة الأمور قيام محاولات انفصالية أخرى في الغرب، كما قامت الاصطرابات في الجنوب وعلى الأخص في عبادان حيث كان الحزب الشيوعي (تودة) يتمتع بقوة كبيرة كما قامت مشاكل أخرى في شيراز وحوّل أصفهان الأمر الذي دعا الأمريكيين والبريطانيين إلى التفتيش عن بعض القوى الموجودة في الجنوب والجنوب الغربي من البلاد للانتقال إليها في حالة عدم تمكن السلطة المركزية في طهران من المحافظة على وحدة البلاد.

■ لن نسمح بالحركات الانفصالية:

وكان قمع حركات العصيان الصغيرة التي قامت هنا وهناك إلّا أن الخطر الحقيقي كان يكمن في أذربيجان حيث ما زال السوفيات يحتفظون

بثقل كبير هناك بعد أن شكلوا قوا كبيرة من المواطنين ودعموها بجنود سوفياتيين وأسلحة كثيرة.

ثم ترأس الحكومة الإيرانية السيد (غافام) الذي سافر إلى موسكو فوراً ووقع مع الحكومة السوفياتية معاهدة للتنقيب عن النفط واستخراجه بحيث تحصل روسيا على ٥١٪ من العائدات في حين تحصل إيران على (٤٩٪) ولكن البرلمان الإيراني رفض التصديق عليها لحسن الحظ وعرج السيد (غافام) بعد عودته من موسكو على أذربيجان وأجرى محادثات مع العصاة ووعدهم بإعطائهم كثيراً من المميزات ومن بينها الاعتراف بالمناصب التي يحتلها قادتهم ورفعهم إلى رتبة كبيرة في الجيش الإيراني ولكني رفضت الأمر من أساسه وفي الوقت نفسه كان معظم المستشارين العسكريين ينصحوني بمعالجة الأمر بقوة وحزم وإرسال حملة قوية إلى أذربيجان لإخضاع العصاة بالرغم من لامحاوير الكثيرة التي تفتح عنها وأهمها تدخل الاتحاد السوفياتي المباشر فيها ولذلك فقد قرّرت أن أقوم ببعض الاستشارات الأخرى مع الخبراء في النواحي السياسية والعسكرية وكانت كلها تقول بوجوب الإسراع بحسم الأمور في تلك المنطقة لأن الاتحاد السوفياتي لم يكن قد أعطى العصاة مساعدات عسكرية فعّالة حتى الآن وكانت قوة العصاة لا تزال ضعيفة إلى حد ما وكان عدد كبير منهم يتدربون في الاتحاد السوفياتي على استعمال مختلف أنواع الأسلحة الحديثة وهؤلاء سيخلقون مشاكل كثيرة في وجهنا عند عودتهم وكان علينا أن نسرع بمعالجة الأمر قبل أن تقرّر موسكو إرسال مساعداتها العسكرية الثقيلة إلى العصاة وكان عليّ أن أقرر وقررت بالفعل القيام بحملة لإخضاع اقليم أذربيجان وقبل ذلك بقليل عقدت اجتماعاً مع السفير الأمريكي في طهران السيد (جورج الن) الذي قال لي:

إن الولايات المتحدة تؤيد هذه الخطوة ١٠٠٪ ولكنها بالتأكيد لن تدخل حرباً مع الاتحاد السوفياتي بسبب إيران.

ولم يكن ذلك وارداً في تفكيري أنا أيضاً وكنت أشعر بأن ورائي شعب إيران بكامله يؤيدني في هذه الخطوة وقد أثبتت الأحداث التالية صحة شعوري هذا.

الفصل السابع

دستور جديد لإعادة بناء إيران

طلبت من الدكتور مصدق تشكيل الوزارة فاشترط موافقة بريطانيا.
قال السفير البريطاني: إذا تعاون الشاه مع مصدق فإنما يلعب بالتاج.



الدكتور محمد مصدق

اتخذنا قراراً بأن نعيد الأمور إلى نصابها في أذربيجان بعد أن كانت كل الاستشارات التي أجريتها تسير في هذا الاتجاه حتى رئيس الوزراء السيد (غاقام) تراجع عن سياسته التوددية تجاه العصاة هناك وانضم إلينا فبدأنا الهجوم وكنت أشرف على العمليات العسكرية التي تجرى هناك مع الجنرال وازمارا - حيث نفذنا كل الخطط التي وضعناها واستطعنا في النهاية أن نعيد إلى المنطقة سلطة الدولة وهرب زعيم العصاة (بشوارى)

عبر الحدود. وبالكاد انتهينا من هذه المهمة حتى تلقيت زيارة رسمية من السفير الروسي الذي دخل عليّ وهو يتهدد ويتوعد وطلب منّي إيقاف كل الأعمال العسكرية العدائية التي يقوم بها الجيش الإيراني ضد الاتحاد السوفياتي تلك الأعمال التي تهدّد السلم العالمي بالخطر ولكني رفضت ذلك الاحتجاج بحزم ووضوح وقلت للسفير الروسي: ان جيشنا لا يهدد أحداً وإنما يحاول إعادة سيادة الدولة إلى أذربيجان ويحضر للانتخابات العامة التي ستجرى في البلاد التابعة إلينا يجب أن تعلم أولاً أن العصاة أتوا إلينا ليلقوا السلاح.

■ حافظت على وحدة البلاد:

وبذلك انتهت المحاولة الثانية التي بذلت من قبل القوى الكبرى لتقسيم إيران ومحوها من على خريطة العالم وقد كان الفضل لوالدي في توحيد البلاد بعد الحرب العالمية الأولى وحافظت أنا على هذه الوحدة بعد الحرب العالمية الثانية وقد تحرك على أثر نجاحنا في معالجة الأمور في أذربيجان وزيرخارجية بريطانيا السيد (بيغان) ووزير خارجية الولايات المتحدة السيد (بيرتز) - وطلبا من ستالين القبول ببقاء أذربيجان وكردستان وخوزستان تحت سلطة موحدة هي السلطة الإيرانية وقد قبل ستالين هذا العرض لأن مولوتوف كان مقتنعاً تماماً بأن بإمكان الاتحاد السوفياتي الانتظار بعض الوقت لأن كل الدلائل تشير إلى أن إيران ستسقط من نفسها وبكاملها في أحضان روسيا وستحصل موسكو بفضل النشاط الذي يقوم به الشيوعيون في الأراضي الإيرانية على كل إيران بدلاً من الحصول على اقليم واحد أو نصف اقليم إلّا أن ستالين عاد فرفض العرض البريطاني الأمريكي وكان من الواضح أنه لا يقدر الجندي الإيراني حق قدره ولا يؤمن باستطاعتنا الدفاع عن أنفسنا، ولا بولاء الشعب الإيراني للتاج

والتفاهم حوله. وتعرضنا على أثر ذلك إلى حرب سياسية ونفسية رهيبة من قبل روسيا كان أكثرها أثراً المشاكل التي حصلت من الطابور الخامس وعملاء الاتحاد السوفيتي المنتشرين في جميع أنحاء البلاد فقد كانوا يريدون أن تسقط إيران في براثن الفوضى والتجزئة الأمر الذي لم ينجح عام ١٩٠٧م ولا عام (١٩٤٥-١٩٤٦م) - ولن يكتب له النجاح الآن.

■ **خطة السبع سنوات:**

في عام ١٩٤٧م قمت بزيارة إلى اقليم كردستان وتجوّلت في المناطق التي حررناها وعند عودتي استقبلني الشعب الإيراني بحماسة منقطعة النظير الأمر الذي لا يمكن أن أنساه أبداً وعندما أتذكر ذلك الاستقبال ينقبض صدري وبعد استقراري في طهران أيقنت أن الوقت قد حان لإعادة بناء البلاد وكان رئيس الحكومة السيد (غاقام) يتمتع بأكثرية مريحة بالبرلمان وتفاهمنا على إعداد خطة شاملة للتنمية تتناول كافة المجالات في إيران ثم عادت موسكو مرة أخرى إلى مناوراتها وطرحت علينا الصيغة القديمة للتعاون في المجال النفطي وذلك بإنشاء شركة سوفياتية - إيرانية لاستخراج النفط تحصل فيها روسيا على (٥١٪) وإيران على (٤٩٪) وطلبت موسكو انشاء هذه الشركة فوراً وكان من الواضح أن الروس يفتشون على ما يستندون إليه في الشمال مثل ما فعل البريطانيون في الجنوب.

وتجاه ذلك عمدنا إلى طرح مشروع قانون على البرلمان وناقشناه وصدق الأعضاء عليه بأغلبية (١٠٩) أصوات مقابل (٢٧) صوتاً من المعارضة وكان يرئسها في ذلك الوقت الدكتور (مصدق) ويتضمن ذلك القانون البنود التالية:

١ • كل نوع من أنواع المحادثات الماضية التي تتعلّق بالنفط ولها علاقة بروسيا تعتبر وكأنها غير موجودة.

٢ • في كل الأحوال لن يسمح للحكومة أن تجرى له أية اتفاقات مع جهات خارجية حول النفط.

٣ • ويجب البدء بمحادثات سريعة مع الشركة البريطانية - الإيرانية للزيت للحصول منها على أكبر قدر ممكن من الفوائد للشعب الإيراني.

٤ • في حالة اكتشاف آبار جديدة للنفط خلال ثلاثة سنوات مقبلة فإن الحكومة الإيرانية تستطيع التفاوض مع الاتحاد السوفياتي لبيعه ما يحتاج إليه من النفط.

وبالرغم من هذا القرار الحاسم من البرلمان فقد وصلت العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفياتي إلى مرحلة القطيعة الدبلوماسية وكنا نعرف أن ذلك سيحدث لنا مشاكل عديدة ولكن لم يكن أمامنا أي خيار وفي خلال ذلك الوقت كانت إيران تستلم من الولايات المتحدة شحنات صغيرة من الأسلحة الخفيفة للمحافظة على سلامتها وأمنها.

■ حملة للبناء:

بعد ذلك تنفسنا الصعداء فقد تحسنت الأمور الداخلية كثيراً بالرغم من التحركات التي كان يقوم بها حزب تودة فقد ارتفع إنتاجنا النفطي إلى (١٩) مليون طن عام ١٩٤٦م ثم (٢٥) مليون عام ١٩٤٧م منها مليوناً تصدرها بعد تصفيتها وكانت البلاد بعد ذلك استطاعت النجاة وفي هذا الوقت بالذات انطلقت الرصاصات الخمس من (فاخراري) الشخص الذي حاول اغتيالي ولم أستطع حتى الآن معرفة من الجهة التي دفعته إلى ذلك ولكن النتيجة المباشرة التي حصلت من وراء محاولة اغتيالي هذه أن أكثرية الشعب الإيراني قد عرفت وأدركت الخطر الكبير الذي سيصيب البلاد إذا اختفيت من الحكم بطريقة أو بأخرى وهذا ما تتعرّض له إيران الآن الأمر الذي دفع معظم رجال الدين إلى أغداق الدعوات إلى

الله لكي يحميني ويؤكد سلامتي وكان الفقهاء الكبار في الدين ينظرون إلى نجاتي من حادث الاغتيال وكأنه معجزة حقيقية من عند الله وأدرك الشعب الإيراني أيضاً هذه الحقيقة فوقفوا كلهم ورائي في عملية بناء البلاد من جديد والسعي لتقدمها.

■ نهاية الفوضى البرلمانية:

في عام ١٩٥٠م أعلنت في خطاب العرش عن رغبتي في وضع دستور جديد لأن الدستور الذي وضع من قبل البلجيكيين عام ١٩٠٥م أصبح قديماً كما أن المشرعين الموجودين عندنا رفضوا إعطاء السلطة حق حل المجلس النيابي وقد أعاد دستور ١٩٥٠م إلى هذا الحق الضروري جدًّا. وفي الحقيقة أن النواب قبل عام ١٩٥٠م كانوا يقومون ببعض التصرفات الخاطئة وخاصة أثناء الحملات الانتخابية وكنت أشعر بوجود شيء من (الأوليفاركية) في المجلس النيابي وهذا يعني حكم الأقلية الإقطاعية والثرية التي دأبت على الفوز بمقاعد المجلس في كل انتخاب وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت الانتخابات التي جرت في إيران خلال الحرب العالمية الثانية غريبة جدًّا ذلك أنه خلال الحملات الانتخابية كان السفير البريطاني يتقدّم من رئيس الحكومة بقائمة تتضمّن (٨٠) اسماً في الصباح وبعد الظهر يأتي السفير الروسي بقائمة تحتوي مجموعة ثانية من الأسماء وكان يجب علينا أن نسعى لكي يفوز هؤلاء في الانتخابات.

■ مع مصدق للمرة الأولى:

وللخلاص من هذه الحالة المؤسفة من الفوضى والتحكم السياسي قرّرت أن أستدعي الوطنيين للتشاور معهم وأرسلت أطلب زعيم الحركة الوطنية الدكتور مصدق لكي أسأله إذا كان يقبل بتشكيل الحكومة الجديدة

في إيران على أن تكون هذه الحكومة قادرة على المحافظة على الحياد والنزاهة في الانتخابات وقطع دابر التدخل الخارجي فيها وكانت دهشتي كبيرة جدًّا عندما أجابني مصدق أنه يقبل ذلك العرض إذا تحققت ثلاثة شروط هي: إذا أعطى البريطانيون موافقتهم، إذا كان يستطيع الاجتماع بي كل صباح والحديث إليّ عن مختلف الخطوات التي يجب اتخاذها وإذا أعطيته حارساً خاصًّا وكان جوابي لمصدق أنني لا أستطيع أن أطلب من الإنكليز، إبداء رأيهم بهذا الموضوع وفي مثل هذه الحالة فإن علينا أن نطلب نفس الطلب من السوفيات فأرسلت عند ذلك وزير البلاط السيد (علا) إلى البريطانيين والجنرال (يازدان) إلى الروس الذين أعطوا موافقتهم الفورية على هذه الخطوات. إلّا أن البريطانيين رفضوا الموافقة على الدكتور مصدق وقال للوزير (علا) إن الشاه إذا أصرّ على ذلك فإنه يكون قد لعب بتاجه.

وعندما اطلع مصدق على نتائج المحادثات انسحب وعادت الفوضى الانتخابية إلى البلاد وفي هذه الأثناء كان البرلمان قد صوّت على الدستور الجديد وبذلك أصبحت أستطيع أن أبدأ الآن بتنفيذ خطة السنوات السبع التي تم وضعها وكان هدفها الرئيس تنمية الاقتصاد الإيراني بواسطة بذل العناية اللازمة بالموارد الرئيسية بمساعدة المزارعين وتنمية وتوسع شبكة المواصلات وإقامة المصانع على مختلف أنواعها إلخ إلّا أن هذه الخطط قد قطعت عام ١٩٥٣م عندما استلم مصدق الحكم.

الفصل الثامن

بعد تأميم النفط سارت البلاد نحو الخراب

■ **اعتقد أن الدكتور مصدق كان عميلاً بريطانيًا:**

بدون أي شك فإن عملية إعادة البناء في البلاد وتنفيذ خطة التنمية ذات السنوات السبع كان لا بد أن يرافقها حصولنا على دخل قومي أكبر وتنمية الدخل القومي كان يتمثّل في العائدات النفطية وخلال كل تلك الفترة كانت محادثاتنا النفطية مع شركة النفط الإيرانية - البريطانية تجرى بإصرار وذلك لزيادة العائدات النفطية وقد فشلت المفاوضات التي قامت بها الحكومة (سيد) مع أنها فشلت أيضاً عندما قام بها خلفه السيد (منصور) فاستدعيت عند ذلك الجنرال (رازمار) في يونيو من عام ١٩٤٩م إلى الحكم فباشر بالمفاوضات فوراً، ولكن شركة النفط البريطانية - الإيرانية كانت تعمد دائماً إلى التطويل واستنزاف الوقت وأنا اتساءل الآن إذا كان كل ما حصل في هذه المفاوضات مرسوماً من قبل لكي تسنح الفرصة للدكتور مصدق بالعبور إلى الحكم عام ١٩٥٣م.

ويبدو أن الجنرال (ارزمار) لم يكن يتمتع بميزة الدبلوماسية وقيادة العمل السياسي (بصفته رجل عسكري) فقام ببعض التصرفات التي يمكن أن يقوم بها أي شخص آخر من هذا النوع إلّا أن هذه التصرفات كانت تستغل إلى أبعد حد في الحملة الدعائية والإشاعات التي كانت الجبهة

الوطنية التي يقودها مصدق تطلقها ضد رئيس الحكومة وقد استطاعت هذه الجبهة أن تستقطب اهتمام الكثيرين من المواطنين وخاصة عندما بدأت الحرب العالمية الثانية تركب حصان المطالبة بتأميم النفط وقد كنت أنا نفسي أول من دعى إلى ذلك ولكنني لم أكن متفقاً مع مصدق في الأسلوب الذي أراد اتباعه لتحقيق التأميم.

■ مظاهرات واغتيال رئيس الحكومة:

استطاعت الجبهة الوطنية بعد ذلك تحريك الشارع فقامت مظاهرات صاخبة تنادي بإسقاط رئيس الحكومة إلى أن حدث بتاريخ ٧ مارس ١٩٥١م أن أقدم أحد الأشخاص الذين ينتمون إلى جماعة فدائي الإسلام، على اغتيال الجنرال (رازمار) وهذه الجماعة من اليمينيين المتطرفين، فاستدعيت بعد ذلك شخصاً يتمتع باحترام جميع الاطراف وهو (حسين علاء) الذي حاول أن يجد الحل المناسب لمشكلة البترول، ولكن موجة الاحتجاجات داخل البلاد كانت مستمرة في الوقت الذي كان فيه مصدق ينادي داخل البرلمان بوجوب خوض المعارك في الداخل والخارج لكي نقنع العالم بحقنا في انتزاع مئات آلاف من الجنيهات كل يوم من الشركة البريطانية - الإيرانية، واستطاع مصدق بهذه الحملة الدعائية أن يقنع كل زعماء المجموعات في البرلمان وأن يسحبهم وراءه، وقد أعلن كل هؤلاء خلال المحادثات والاستشارات التي قمت بها معهم أن مصدق هو الشخص الوحيد الذي يستطيع السيطرة على الوضع وهو رجل الساعة، وتعرضت من ذلك الحين إلى ضغط متواصل من كل الأطراف السياسية، تقريباً لاستدعاء مصدق إلى الحكم، وبالرغم من أنه كانت لدى بعض الشكوك حوله فإنني قرّرت أن أحضره وأضعه في المكان المطلوب وأراقب النتائج بدقة لأرى إلى أين سيوصلنا.

■ مصدق والتوازن السلبي:

وإذا كنت لم أشاطر البرلمانيين الذين استشرتهم في حماستهم لاستدعاء الدكتور مصدق فلأنني كنت دائماً ألاحظ وجود تناقض بين الكلام الذي يعلنه والأفعال التي يقوم بها، فقد كان على الصعيد الرسمي مدافعاً عن الشعور القومي ومحارباً ضد الاستعمار، وبطلاً وطنيًّا متحمساً ينادي بعدم افساح المجال أمام القوى الأجنبية للحصول على أية مميزات داخل إيران وكان يطلق على سياسيته اسم التوازن السلبي، وأنا أعتقد أن الخطأ الكبير الذي ارتكبه مصدق أنه كان سلبيًّا في كل تصرفاته، وقد غالى في هذه الناحية إلى حد أنه قال لي ذات يوم أن والدي الشاه رضا لم يقم بإنشاء الخط الحديدي الذي يعمّر إيران كلها إلّا أنه يصل من «الخليج العربي» إلى الأراضي الروسية فاتحاً المجال أمام بريطانيا لإرسال قواتها عند اللزوم للوصول إلى الاتحاد السوفياتي بسرعة وقد تمّ التفكير بذلك خلال الحرب العالمية، وتذكرت عند ذلك أنني عندما طلبت من مصدق أن يتولى رئاسة الحكومة الإيرانية أثناء الحرب الثانية وضع عدة شروط من بينها الحصول على موافقة بريطانيا على هذه الفكرة.

■ التناقض في شخصية مصدق:

إذاً فقد كان هناك شيء كثير من التناقض في محيط شخصية الدكتور مصدق، وكان التناقض واضحاً بين الأقوال والأفعال، وكانت لديه قدرة هائلة على التحول من حالة إلى أخرى فقد كان خلال خطاباته التي يلقيها في البرلمان يملك القدرة الكافية لكي يعبأ الأعضاء من خلال حملة همتيرية ثم يتحوّل بصورة مفاجئة فيبكي بحرقة ويدعي المرض ويصبح قائلاً: سأموت... سأموت...، والحقيقة أنه كان سياسيًّا ماهراً،

يصعب على المراقبين تحديد هويته والحكم عليه، فبعضهم رأوا فيه شبيهاً ببطل الثورة الفرنسية (روبسبير) والبعض الآخر شبّهوه بالسياسي المعروف (رينزى) وهناك أيضاً من شبهه بأحد أبطال المسرحيات الكوميدية، وعلى العموم فإنني أعتقد أن الدكتور مصدق من خلال متابعتي لتصرفاته وأقواله مرتبط بصورة وثيقة مع البريطانيين، وخاصة عندما أتذكر أنه قال لي قبل سبع سنوات بالحرف الواحد: أن شيئاً لا يمكن أن يحدث في إيران دون موافقة بريطانيا، فهل استطاع مصدق المرور من هذه الحتمية التي أعلنها..؟ هذا ما أشك فيه، خاصة وأن السياسة (الألكلوساكسونية) أتت في ذلك الوقت تتبع أسلوباً معقداً في البلاد الصغيرة وهو التفتيش عن الشخص الذي يخدم مصالح هذه السياسة وفي نفس الوقت يكون ظاهريًّا خصماً عنيداً لها.

■ استدعيت مصدق:

وفي نفس الوقت الذي استدعيت فيه مصدق لرئاسة الحكومة كان يبلغ من العمر (٧٣) عاماً وكان من كبار الملاك والأثرياء، ووصل في النهاية إلى المركز الذي كان يعمل للوصول إليه، وقد أوضحت له في ذلك الحين أن طريق استقلال بلادنا وسيادتها الاقتصادية والسياسية ما زال مليئاً بالعراقيل والعقبات، ويجب علينا أن نحتفظ بحقنا في إمكانية الحصول على ما نريده فوعدني مصدق بشأن أن يكون حذراً في هذا المجال.

■ تأميم النفط:

بتاريخ ٣٠ أبريل عام ١٩٥١م، وبعد استلام مصدق رئاسة الحكومة بيومين فقط جرى التصويت في البرلمان، وبناء على طلبه، حول تأميم النفط الإيراني ووافق الأعضاء على ذلك وقد تجاوبت مع هذه الرغبة

ووقعت قرار التأميم وأصدرته فوراً، ولكن كان من الواضح أن هذه العملية كانت تستدعي قيام مفاوضات سريعة مع البريطانيين للوصول إلى اتفاقية جديدة، وهذا ما لم يفعله مصدق أبداً، وخلال السنتين التاليتين كان هناك شبه اقتناع بأن مصدق ارتكب خطأ مزدوجاً في هذا المجال، وذلك على أساس أن العالم لا يستطيع الاستغناء عن النفط الإيراني وأن إيران تستطيع تسويق نفطها بنفسها دون مساعدة خارجية، وقد رفض مصدق العرض الذي تقدمت به بعثة (ستوك وهاريمان) ثم رفض أيضاً تدخل لجنة التحكيم التي تشكلت بناء على رغبة تشرشل وترومان ومن البنك الدولي ثم من الرئيس ايزنهاور، وكان بذلك أسيراً لسلبيته المعروفة، ونجح في النهاية في استبعاد كافة امكانيات التوصل إلى اتفاق علماً بأن الظروف كانت مهيأة تماماً للوصول إلى تسوية ترعى مصالحنا ولكن أصدقاءنا وشركاءنا أصبحوا في النهاية، وبسبب تصلب الدكتور مصدق، أعداء لنا، وهم بالتأكيد لن يتركوا الأمر يمر بدون أن يتحركوا، ولذلك فإنه بعد صدور قرار التأميم والمظاهرات التي رافقته مع الحملة الدعائية الواسعة ضد شركة النفط الإيرانية - البريطانية، تحرك المسؤولون فيها وأغلقوا أبواب الشركة في وجوهنا وامتنعوا عن دفع العائدات النفطية المتبقية للحكومة بذمتهم، وأعلنت بأنها تعارض كل عملية بيع يمكن أن تتم خارجاً عنها في ما يتعلق بالنفط الإيراني، وعلى الأثر توقف انتاج النفط المركب في عبادان، ووجدت الشركة الجديدة واسمها شركة النفط الوطنية الإيرانية، تحت يديها فائضاً كبيراً من النفط، ولم يكن لدينا من يستطيع تحمل مسؤولية نقله وبيعه إلى العالم الخارجي، وبعد ذلك تمّ رفع هذه القضية إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، وبالرغم من كل التوقعات فقد حكم القاضي البريطاني في المحكمة لصالحنا، في حين أن الاتحاد السوفياتي وسط غرابة ودهشة

جميع المعنيين بالأمر، لم يتحرك قيد أنملة لمساعدة إيران والدكتور مصدق في هذه الأزمة.

■ تهديد عسكري بريطاني:

بعد شهرين من ذلك، أرسل البريطانيون المدمرة (موريتزيوس) إلى عبادان، كما حشدت بعض القوات على الحدود العراقية الإيرانية، وقوات أخرى في القاعدة البريطانية في قبرص، فما كان مني إلّا أن استدعيت السفير البريطاني وقلت له: ستجدني على رأس جنودي أقاتلكم إذا حدث وهاجمتم إيران.

واستمرت الأمور على هذا الشكل إلى شهر يوليو عام ١٩٥٢م، فقد وجدت أنه لا يمكن تسليم دفة الحكم في البلاد أكثر من ذلك إلى شخص يقودنا إلى الخراب، ذلك أننا لم نستطع أن نبيع قطرة من النفط الإيراني منذ حدوث التأميم، ولم يكن أمامنا أية فرصة في الوصول إلى اتفاقية ما حول هذا الموضوع الحيوي الأمر الذي اضطرنا إلى تجميد خطة التنمية الجديدة ذات السبع سنوات، وبدأ وكأن البلاد كلها تسير نحو الهاوية.

■ استدعاء مصدق من جديد:

وكان مصدق في هذه الأثناء يبدو خائب الأمل يقاتل على كل الجبهات مفتوناً بحماسة المحيطين به راغباً في الاحتفاظ بالمركز الذي وصل إليه، وجاءني ذات يوم يطلب مني السماح له بفرض حالة الحرب، فرفضت بحزم فما كان منه إلّا أن استقال في ١٧ يوليو، فخلفه (أحمد غاخام)، وقد كنت أفضل في الوزارة شخصاً آخر هو (صالح الاهبار) من الجبهة الوطنية أيضاً لأنه كان أكثر رزانة ومعقولية من زعيم الجبهة الوطنية الدكتور مصدق، إلّا أن الأكثرية البرلمانية فرضت عليّ

السيد (غاخام) الذي بادر بإعلان معارضته للتأميم، وعلى أثر ذلك قامت في طهران مسيرات احتجاج ضخمة استمرّت لمدة ثلاثة أيام، رفضت خلالها اعطاء الاوامر إلى قوات الشرطة والجيش بقمعها بالسلاح، وخفية من وقوع حرب أهلية في إيران اضطررت لاستدعاء الدكتور مصدق من جديد.

الفصل التاسع

هكذا انهار حكم الدكتور مصدق(*)

كان سلبيًّا في كل تصرفاته وممثلاً بارعاً أمام البرلمان. أنقدته من الإعدام وعفوت عنه بعد ثلاث سنوات قضاها في السجن. ليست أميركا هي التي أطاحت بحكمه.

■ **مع مصدق مرة أخرى بشروطه:**

إذاً، فقد اضطررت إزاء مطالب زعماء البرلمان والهياج الشعبي وخوفاً من وقوع حرب أهلية في إيران، إلى استدعاء مصدق من جديد بعد أن قبلت بشروطه، وبدون شك بدا مصدق وكأنه قد أدرك أنه ساق البلاد نحو الخراب، ولكن ادراكه هذا جاء متأخراً لأنه كان أسيراً لعاداته وديماغوجيته كما كان خاضعاً لتوجيهات حلفائه من اليساريين واليمينيين، ويبدو أن الأمور لم تكن تجري في المسار المطلوب، لأن بطل الحرية والمبادئ الدستورية حلّ مجلس الشيوخ وبعده المحكمة العليا وأوقف مجرى الانتخابات العامة بعد أن تمّ انتخاب ٨٠ عضواً من أصل (١٣٢)، كما أعلن بعد لك بطلانها لأن بعض الأعضاء قد زوّروا النتائج، ثم قرّر دعوة الشعب إلى استفتاء حول مسألة ما إذا كان يجب

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٢٢، التاريخ ٢١/١/١٩٨٠م، ص١٦.

حل البرلمان بكامله أم لا، وقد حصل على ما أراد وحلّ البرلمان، وفي النهاية قيد الصحافة وحكم بموجب قانون الطوارئ الذي سبق أن عارضه بشدّة عندما كان لا يزال عضواً في البرلمان، ولكن لاحظ بعد ذلك أن الخزانة العامة للبلاد أصبحت خاوية، فقام بطبع مجموعة جديدة من الأوراق المالية التي لا ترتكز على أية ضمانات لكي يدفع أجور عمال البترول، وتوصلنا بذلك إلى حالة التضخم النقدي التي كان لها نتائج وخيمة على البلاد.

■ من مصدق حتى بازركان:

بالإضافة إلى كل الآلام التي تحملناها والتراجع في اقتصادنا القومي فقد فجعنا أيضاً في نفطنا، ذلك أن محاولات مصدق وأهدافه في تأميم النفط، انتزعه من يد بريطانيا، إلّا أنه لم يستطع شيئاً لأن النفط بقي بيدها، وأصبح لدينا فائض نفطي كبير لم نستطع تصريفه في حين أن بريطانيا تجنّبت أزمة النفط عندما زادت كمية النفط التي نشتريها من العراق ومن الكويت وكانت الأسعار التي اشترت بها أقل من التي تدفعها لنا وبذلك حقّقت بريطانيا فوزاً مزدوجاً علينا وبدا أن الهدف الحقيقي للدكتور مصدق كان عكس ما أعلن عنه تماماً، علماً بأننا يجب أن نضيف هنا بأن البريطانيين تمكنوا من الاستغناء عن صديقهم مصدق عندما لاح لهم بارق اتفاق عالمي مع شركات النفط الكبرى دون أن يتدخل في الأمر، وأخيراً كان لا بد لي من القيام بمعالجة الأمور بصورة شخصية.

■ الانقلاب ومغادرة البلاد:

في أغسطس من عام ١٩٥٣م بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا بممارسة ضغط كبير علينا بعد أن توحدت سياستها النفطية وجائني بعد

ذلك صديقي (كيرمت روزفلت) ممثلاً عن وكالة المخابرات المركزية فأجريت معه بعض المحادثات وانتهيت إلى القرار الأخير فقد استدعيت بتاريخ ١٣ أغسطس الجنرال (نعمة الله الناصري) وكلفته بأن يحمل إلى مصدق كتاب إقالته من منصبه، ولكن مصدق خاف من ذلك فهرب واختبأ ثم استدعيت على الفور الجنرال زاهدي وكلفته بتشكيل الحكومة الجديدة، إلّا أن مصدق لم يكتف بعصيان أمر الإقامة، بل عمد إلى احداث انقلاب عسكري بواسطة الجنرال رياحي الذي استطاع أن يجمع ثروة كبيرة من بعض العمليات المشبوهة، ولم يكن من المستغرب أبداً أن يصبح الجنرال رياحي نفسه وزيراً في حكومة بازركان حتى سبتمبر عام ١٩٧٩م. ولما كنت أعرف تماماً نوايا مصدق وأهدافه قررت أن أترك البلاد قبل أن تقع الأحداث الدامية، لقد تم اختباري هذا لكي أبعد عن البلاد فترة من الوقت يقرّر فيها الشعب الإيراني بنفسه الاتجاه الذي يختاره، وقد خاطرت بهذه الخطوة، إلّا أن المخاطرة كانت مدروسة، فذهبت في البداية إلى بغداد على متن طائرتي الخاصة التي قدتها بنفسي وفي العراق زرت الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء قبل أن أسافر إلى روما حيث أخذت أتابع أحداث هذه المأساة الدامية التي كلفت الوطن ثمناً غالياً.

■ استيقاظ الشعب الإيراني:

وأخيراً، بعد أن أصبحت البلاد على حافة الهاوية استيقظ الشعب الإيراني وعرف بالخطر الكبير الذي يهدّده، فبدأت على الأثر مظاهرات احتجاج صاخبة استمرت لمدة ثلاثة أيام، وفي طهران بصورة خاصة، وفي اليومين الأولين خرج في هذه المظاهرات أعوان الدكتور مصدق وأصدقائه من حزب تودة الشيوعي، وفي اليوم الثالث ١٩ أغسطس خرجت فئات

الشعب الأخرى من عمال وحرفيين وفلاحين ومثقفين وطلاب وجنود وشرطة، نساء وأطفالاً، وواجهوا الدبابات والبنادق والمدافع بشجاعة نادرة، واستطاع هؤلاء أن يقلبوا الوضع، بحيث كفّت ضربة واحدة معاكسة، تمثّلت في قيام كتيبة بقيت على إخلاصها لي بالذهاب إلى الفيلا التي يسكنها رئيس الوزراء، في وضع نهاية لثلاث سنوات من التخبّط السياسي، وبثياب النوم هرب رئيس الدولة بعد أن اعتلى سور الحديقة والتجأ إلى أحد الأقبية في منزل مدير إحدى الدوائر.

■ العودة إلى طهران:

عدت على الفور إلى طهران حيث استقبلت استقبالاً شعبيًّا حماسيًّا حافلاً شمل كل أنحاء إيران، وكان فرح الشعب الإيراني بعودتي كبيراً حقًّا جرى للمرة الأولى في إيران لأحد الملوك. وأيقنت بذلك أنني قد انتخبت من الشعب مباشرة. وأمام المحكمة والقضاة عاد مصدق إلى اللعب مرة أخرى بالعواطف، وقام بتمثيل دور البطل الشهيد أمام الصحافة العالمية ولكني كنت متأكد بأن المحكمة ستجده مذنباً وتحكم عليه بالموت، لأن جريمته كانت واضحة تماماً، لذلك فقد أوعزت للمحكمة أن تتناسى كل ما فعله ضدي، فحكمت عليه بالسجن فقط، وبقي فيه مدة ثلاث سنوات أطلق سراحه بعدها لكي يجمع كل ما يملكه ويتوجه إلى دارة جميلة في ضاحية أحمد آباد التي تقع إلى الغرب من العاصمة طهران حيث عاش فيه إلى أن توفي، وكان ذلك في عام ١٩٦٧م.

■ الشيوعيون يغدرون بمصدق:

والحقيقة أن المحاكمات التي جرت بعد سقوط نظام الدكتور مصدق كشفت كثيراً من الحقائق والأوضاع التي كانت سائدة خلال فترة السنوات

الثلاثة الماضية من عام ١٩٥١ إلى ١٩٥٣م، وعلى سبيل المثال فقد اتضح أن عدد الضباط الشيوعيين الذين ينتمون إلى حزب تودة قد زاد من عام ١٩٥١م في وزارة الحربية من (١١٠) ضابط إلى حوالى (٦٤٠) ضابطاً عام ١٩٥٣م كما أن الخطة التي وضعها الشيوعيون أصبحت أمامنا لأنهم استخدموا مصدق للإطاحة بي ثم يعمدون إلى الإطاحة به، وقد كشفت الوثائق التي صادرناها في مقر الحزب الشيوعي (حزب تودة) إن الخطة الموضوعية بعد التخلص مني كانت تقضي بأن تتم تصفية مصدق نفسه بطريقة ما بعد أسبوعين فقط من رحيلي، بل أن الشيوعيين عمدوا إلى وضع تصميم جديد للطوابع البريدية التي ستصدر بعد ذلك ورأيت بنفسي أنه كتب على هذه الطوابع الجمهورية الإيرانية الشعبية التي كانت ستعلن بعد التخلص من مصدق. والواقع أن الاندفاع الذي أظهرت الشعب لمصلحتي وتكتلهم ورائي آثار دهشة كافة المراقبين السياسيين، الأمر الذي أخطر الشيوعيين إلى التقوقع مرة أخرى والتراجع إلى أوارهم، ويجب أن لا ننسى أنه في ذلك الوقت كان ستالين قد توفي وانتهى عصر التطرّف في الاتحاد السوفياتي وكان مقرراً للسياسة السوفياتية أن تشاهد كثيراً من التعديل في خطوطها العامة.

وقد أوضحت المحاكمات أيضاً أن الاتحاد السوفياتي كان بدون شك قد قدم مساعدات مادية ومعنوية مختلفة إلى حزب تودة وأنصاره، وبالرغم من ذلك فقد اتهمنا من قبل عدة أطراف أن الانقلاب المضاد الذي حدث ضد الدكتور مصدق كان مدبراً من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا، وكان التشديد في هذا الأمر على الولايات المتحدة بشكل خاص، إلّا أن كافة الوثائق التي كشف النقاب عنها في ما بعد تدل على وكالة المخابرات المركزية لم تنفق في ذلك الوقت في إيران كلها سوى مبلغ (٦٠) ألف دولار، وأنا لأعتقد إطلاقاً أن مثل هذا المبلغ كان يكفي

لتحريك البلاد بكاملها لمصلحتي خلال ثلاثة أيام فقط بعد الانقلاب العسكري الذي قام به مصدق، وكانت تلزم فترة من الوقت تزيد عن ثلاثين أسبوعاً لي يكتشف الشعب الإيراني بعد ذلك حقيقة الدكتور مصدق وعدم كفاءته وقدرته على حكم البلاد بطريقة صحيحة.

الفصل العاشر

قصة النفط في إيران(*)

لقد كنت من أشد أنصار التأميم تحمساً ولكن الطرق التي عالج بها مصدق المشكلة خربت البلاد. في عام ١٩٧٣م اتهموني بأني أريد تخريب الاقتصاد العالمي.

لا شك في أن عملية اكتشاف النفط وطريقة استعماله تعتبر حدثاً تاريخيًّا هامًّا جدًّا في حياة الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض. لأن النفط بحد ذاته هو القوة التي تلعب بالدول والشعوب، وتؤدي إلى حدوث معضلات مستمرة في تاريخ كل بلد، فالنفط في معظم الأحيان يكون وراء أسباب الانقلابات التي تحدث في الدول، أسباب المؤامرات والاغتيالات السياسية والاقتصادية وانهيار الحكومات في كل مكان في العالم، ومعظم الأحداث التي تعرضت لها إيران وجزء كبير من منطقة الشرق الأوسط لا يمكن لأي كان أن يفهمها دون أن يدرس المشكلة النفطية في هذا الجزء من العالم.

وقبل كل شيء لا بد أن نضع في عين الاعتبار أن الإمبراطوريات النفطية في عالم الاقتصاد الدولي شيء لا يمت إلى الإنسانية والمبادئ

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٢٣، التاريخ ٢٢/١/١٩٨٠م، ص١٦.

الأخلاقية بصلة، ذلك أن كل ما يتعلق بمبادئ العدالة الأخلاقية والاجتماعية، يعتبر في هذه الإمبراطورية أمراً مرفوضاً، وهذا ما شعرنا به في إيران خلال معركتنا الطويلة التي خضناها مع الشركات النفطية منذ بداية القرن الحالي، ونحن نعلم كيف أننا في عام ١٩٠١م وقعنا اتفاقية استخراج النفط مع (ويليام كنوكس ارسي)، وقد نصّت هذه الاتفاقية على أن تعطينا شركة النفط (١٦٪) من الأرباح، وبالمقابل فإن الحكومة الإيرانية لا يحق لها التدخل في أي من شؤون هذه الشركة، وأن الإيرانيين الذين يعملون في الشركة لن يكونوا أكثر من عمال عاديين، وبفضل الأرباح الهائلة التي حققتها شركة الزيت الإيرانية - البريطانية من النفط الإيراني أصبحت من أكبر الشركات العالمية.

وفي عام ١٩٣٣م، توصلت الحكومة الإيرانية إلى تعديل الاتفاقية القديمة، ولم تعطنا الاتفاقية الجديدة سوى زيادة في العائدات النفطية (من ٠,١٧ إلى ٠,٢٣) من الدولار عن كل برميل مستخرج من النفط، وحدّدت منطقة الامتياز بحوالى ١٠٠ ميل مربع فقط، كما أوجبت الاتفاقية على شركة النفط بعدم استقدام وتوظيف أحد من الخارج في الأماكن التي يستطيع أن يملأها الإيرانيون.

■ لا عدالة مع النفط:

وفي هذه الأثناء كانت الأرباح التي تحققها شركة النفط الإيرانية - الإنكليزية قد وصلت أرقاماً عملاقة حقًّا، فقد بلغت رؤوس الأموال التي استثمرتها الشركة في حقل استخراج النفط الإيراني حوالى (١٠٠) مليون دولار، إلّا أن الأرباح التي حصلت عليها استطاعت أن تغطي كل هذا المبلغ وذلك اعتباراً من عام ١٩٢٠م، وبعد ذلك ووفقاً لأكثر التقارير والحسابات تواضعاً فإن الشركة قد استطاعت تحقيق أرباح وصلت إلى

ما يعادل (٢٥) ضعفاً من رأس المال أي حوالى (٢٥٠٠) مليون دولار خلال فترة بسيطة، ولم تكن إيران تحصل من هذه الأرباح الهائلة سوى على جزء بسيط جدًّا من النفط المستخرج من أراضيها، وكان المستفيد الأول من نفطنا هو بريطانيا فقد كانت البحرية والآليات البريطانية تسير بفضل نفطنا، والخزانة البريطانية ممتلئة بفضل النفط الإيراني وكمثال على ذلك نذكر أنه في عام ١٩٥٠م حصلت إيران على (٤٥) مليون دولار، هي كل حصتها من النفط الخاص بها، في حين أن شركة النفط الإنكليزية - الإيرانية حوّلت لحساب الحكومة البريطانية (١١٢) مليون دولار، وذلك كضرائب وضعتها بريطانيا على الشركة فإذا كانت الضريبة (١١٢) مليون دولار فكم بلغت الأرباح كلها، إننا بذلك نستطيع أن نحصل على فكرة واضحة عن الفوائد التي حصلتها شركة النفط من ورائنا، هذا إذا تناسينا موضوع الغاز الذي كان يستخرج من النفط وكانت الشركة تكتفي بإحراقه في أرضه فقط والواقع أن الشركة لم تحترم رغم كل ذلك نصوص الاتفاقية التي وقعت عام ١٩٣٣م فقد كانت تتجنب دائماً الاستفادة من الإيرانيين ورفضت من ناحية أخرى تقليل عدد الأجانب العاملين في إيران، في الوقت الذي كانت فيه الشركات الأميركية قد وقعت عقداً مع المملكة السعودية تعطيها فيه (٥٠٪) من العائدات، بينما كنا لا نزال نحصل على (٣٠٪)، كما أن الشركة الإنكليزية - الإيرانية استثمرت جزءًا كبيراً من العائدات التي تحصل عليها من النفط الإيراني في عمليات التنقيب واستخراج النفط في دول أخرى لكي تزيد من ضخامة أرباحها، وتزيد من خداعها وظلمها للشعوب وللدول النفطية.

■ لماذا فشلت عملية التأميم:

كلنا نعرف أنه في ٢٠ مايو من عام ١٩٥١م جرى التصديق على

قانون تأميم صناعة النفط الإيراني، وللعلم فقط، فقد كنت الطرف الأكثر رغبة في إيران كلها في تحقيق ذلك القانون، إلّا أنني من ناحية أخرى كنت أؤمن بأننا يجب أن نسعى، بعد إصدار قانون التأميم، إلى إجراء محادثات طويلة وشاقة مع البريطانيين لكي نحصل منها على المميزات التي نرغب بها بحيث نستطيع أن نسير بشكل تدريجي في إنجاح فكرة تأميم النفط، ولكن ما حدث بعد ذلك كان يختلف عمّا أردته، فبالرغم من كل الجهود التي بذلتها في هذا المجال حمل مصدق السيف وبدأ هجوماً صاعقاً على شركة النفط دون أن يحسب حساباً للنتائج التي يمكن أن تحدث بعد ذلك، ذلك أن الشركة عمدت إلى سحب كل الفنيين الأجانب العاملين لديها ويبلغ عددهم حوالى (٤٨٠٠) شخصاً، وسحبت كل الناقلات النفطية وأفرغت خزاناتنا كلها وذهبت. واستلمت الشركة الوطنية الإيرانية للنفط الأمور بدلاً عنها، وعرضت على العالم شراء نفطها، إلّا أن أحداً لم يتقدم للشراء بالرغم من أنها وضعت سعراً منخفضاً على البرميل يعادل نصف السعر الذي كانت الشركة السابقة تبيع به النفط الإيراني، وأدى ذلك بالطبع إلى بقاء ذلك النفط في البراميل لا يجد من يشتريه فتراكمت لدينا كميات كبيرة من النفط خلال ثلاث سنوات كانت فيها الخزانة الإيرانية فارغة ولم تستطع الشركة الوطنية أن تدفع أجور العمال والفنيين العاملين لديها.

■ اتفاقية جديدة للنفط:

ولم نستطع العودة إلى بيع نفطنا إلّا في عام ١٩٥٤م، بعد أن أجرينا محادثات مطولة مع كونسورتيوم مؤلف من ممثلين عن ثماني أكبر شركات نفطية عالمية، وانتهت هذه المحادثات بتوقيع اتفاق مع الشركة الجديدة التي ستقوم باستخراج نفطنا وكان على هذه الشركة أن تدفع لنا

(٥٠٪) من الأرباح، بحيث كان على لاكونسورتيوم أن يقوم بدور الوسيط فقط لبيع النفط الذي تقوم الشركة الوطنية باستخراجه وبيعه، وحدّدت مدة هذه الاتفاقية بـ(٢٥) سنة قابلة للتجديد ثلاث مرات فقط وكل مرة خمس سنوات، وبعد ثلاث سنوات نجحنا في إدخال شركة النفط الوطنية (سنيب) في جميع الأنشطة البترولية في البلاد، وتبع ذلك اتفاقيات عديدة كنا في كل واحدة منها نحصل على مميزات زائدة حتى توصلنا اعتباراً من عام ١٩٥٨م إلى أن نحصل على (٧٥٪) من أرباح النفط، بالإضافة إلى الضرائب التي كان على شركات النفط أن تدفعها للخزانة الإيرانية. واستمرّت هذه الحالة منذ عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٧٣م، وفي هذا التاريخ وبعد محادثات طويلة أخرى مع الكونسورتيوم النفطي، وكان العنف يسود أحياناً هذه المحادثات وأحياناً الهدوء والتعقل توصلنا إلى إعادة النظر في اتفاقيتنا الأولية، وكانت البنود الرئيسية التي تمّ الاتفاق عليها استملاك إيران وسيادتها لكل المنابع النفطية الموجودة في أراضيها، كما أن كافة عمليات استخراج النفط الإيراني تتبع للقوانين الاقتصادية الإيرانية، وأصبح الكونسورتيوم بالنسبة إلينا مجرّد شركة تشتري النفط الإيراني فقط الذي نريد أن نبيعه لهم لمدة عشرين عاماً، واستطاعت الشركة الوطنية الحصول على إدارة كل النشاطات النفطية في البلاد بما فيها إدارة المصافي الموجودة في عبادان وأيضاً كان على (سنيب) أن تقوم بنفسها بإجراء عمليات التنقيب عن آبار جديدة للنفط وأن تزيد عمليات استخراج النفط أو تختصر منها وفقاً للاحتياجات الوطنية.

■ عصر جديد في تاريخ النفط:

في عام ١٩٧٣م وجهت الدعوة لوزراء النفط في كل الدول النفطية للاجتماع في طهران، وقد تمّ الاتفاق على ذلك الاجتماع وحدث بالفعل

بتاريخ ٢٣ ديسمبر، وهناك تمّ الاتفاق على زيادة سعر برميل النفط من (٥,٠٣٢) دولار إلى (١١,٦٥١) دولاراً، الأمر الذي دعا الشركات النفطية والاحتكارات الصناعية العالمية إلى انتقادي بقوة وعنف واتهمتني بأنني أحاول هدم الاقتصاد الغربي وبالتالي هدم الاقتصاد في العالم كله، وقد عقدت مؤتمراً صحفيًّا في قصري حضره مندوبون عن معظم الصحف العالمية الكبرى شرحت فيه كل الظروف المتعلقة بالسعر الجديد للنفط وأوضحت أن هذا السعر سيكون سعراً معتدلاً، خاصة وأن هناك من يدفع (١٧) دولاراً في البرميل وهناك جماعة أخرى تدفع سعراً قياسيًّا يزيد عن (٢٢) دولاراً للبرميل الواحد، ولذلك فأنا لا أنوي إطلاقاً تهديم الاقتصاد العالمي بل على العكس أحاول دائماً إنقاذ ذلك الاقتصاد على المدى البعيد وذلك لكي أحفظ للنفط تلك الطاقة الكبيرة مكانتها الكبرى، ولا يمكن أن نسمح إطلاقاً بأن يكون سعر النفط العالمي أرخص من ماء ايفيان المعدنية، علماً بأن المصانع تستخرج من النفط حوالى (١٧٠) ألف مادة ضرورية جدًّا لحياة الإنسان، وبرأيي أن النفط سيصبح من أهم المواد الأساسية التي يمكن استعمالها في الصناعات البتروكيماوية، وأهميته هنا تزيد بمراحل كثيرة عن أهميته كطاقة تستعمل في التدفئة وفي تسيير السيارات والقطارات والسفن والطائرات وغيرها، إن إهدار الطاقة بهذه الشكل في نظري سياسة قليلة الحكمة ولا تهتم على الإطلاق بمستقبل العالم، وخاصة إذا نظرنا إلى عملية إهدار الغاز المستخرج مع النفط وإحراقه الذي استمر سنوات طويلة، في الوقت الذي سنضطر فيه في المستقبل إلى البحث عن الطاقة البديلة لمثل هذه المحروقات.

الفصل الحادي عشر

الأحداث الأخيرة في إيران مرتبطة بالنفط

غيابي عن مسرح الأحداث السياسية والاقتصادية(*)

كان وسيلة لتحريك الاقتصاد الغربي

■ الحكم هو القدرة على التنبوء:

كان من الضروري جدًّا في عالم النفط أن نسعى بكل قوتنا إلى التخفيف من شدّة استهلاكنا له وإفراطنا باستخراج هذه الثروات شديدة الأهمية في حياتنا وذلك من أجل المحافظة على مستقبل الشعوب بعد عشرين أو خمسين سنة على أبعد حد ممكن. . . ، إن القدرة على أن يكون الحاكم ناجحاً تتعلق بصورة رئيسية بقدرته على التنبوء واستباق معرفة الحوادث، وأنا كنت انظر إلى إيران المقبلة، إيران التي سيبلغ عدد سكانها في المستقبل (٦٠) أو (٧٠) مليون نسمة، وأن يجب أن أبني لها منذ الآن الأسس الضرورية لحياتها في ما بعد، وكان باعتقادي أن استهلاك النفط كمصدر للحرارة والحركة عملية تفقده الكثير من قيمته الحقيقية لأن القيمة الحقيقية للنفط تكمن في عشرات الآلاف من المنتجات التي تشتق عنه والتي أصبحت ضرورية لحياة الإنسان في الحاضر وضرورية أكثر في المستقبل، والحقيقة أن هناك عشرات الأنواع من الطاقات الحرارية والحركية يمكن للإنسان أن يستفيد منها دون أن يعتمد على النفط بصورة رئيسية إلّا أن المنتجات النفطية لا يمكن استبدالها على

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٢٤، التاريخ ٢٣/١/١٩٨٠م، ص١٦.

الإطلاق، مثل المنتجات البلاستيكية وأنواع الأقمشة والزيوت على أنواعها وعدد هذه المنتجات النفطية أكثر من (٧٠) ألف نوع، تنفع البشرية بنسبة تفوق بأضعاف كثيرة نسبة استفادتها من النفط كمصدر للتدفئة أو الحركة أو غيرها ولذلك فقد كان من الضروري الاحتفاظ بالنفط في جوف الأرض أكبر مدة ممكنة من الزمن.

■ السعر المناسب للنفط:

وكانت الوسيلة الوحيدة تقريباً لإقناع الدول المستهلكة للنفط، وهي غالباً دول لا تملك مخزوناً كافياً من النفط ولا تهتم في ما إذا انتهى مخزون النفط أو لم ينته لدى الدول النفطية، كانت هذه الوسيلة لإقناعها بأهمية النفط هي وضع السعر المناسب للنفط مادة صناعية أولية تزيد أهميتها كثيراً على أهمية كثير من المواد الأولية مرتفعة الثمن، وذلك ما دعوه السياسة النفطية التي يجب أن تقوم بالدرجة الأولى على قيام تفاهم بين الدول المنتجة للنفط والدولة المستهلكة له حول السعر المناسب لتجنّب حدوث أزمات نقدية أو صناعية في المستقبل وبحيث يتوزع إنتاج النفط بطريقة تبعده عن التضخم، كان يجب أن تقوم محادثات للوصول إلى تحديد أسعار النفط بصورة دورية بصفته الطاقة التي ستبنى عليها الصناعة العالمية في المستقبل، وهذا لا يحصل إلّا إذا ساعدنا القوى الشعبية التي تملك قوة الضغط في العالم، في ممارسة الضغط المناسب على الشركات الاحتكارية التي تتولى تسويق النفط وتحقيق أقصى نسبة من الأرباح المذهلة من ورائه، علماً أن الدول الصناعية الكبرى تحصل على ضرائب من شركات النفط التابعة لها تفوق العائدات التي تحصل عليها الدول النفطية من النفط المستخرج كل سنة من أراضيها، وهذا ما حاولت أن أبرزه للعالم في المؤتمر الصحفي الذي عقدته بعد مؤتمر وزراء النفط

في الدول النفطية الذي دعوت إليه في طهران عام ١٩٧٣م والذي تقرر فيه رفع الأسعار إلى (١١,٦٥٠) دولاراً للبرميل الواحد.

■ كنت على حق:

لقد هاجمتني كل الصحف الغربية في ذلك الوقت واتهمتني بمحاولة تخريب الاقتصاد الغربي والاقتصاد العالمي إلّا أنهم عادوا بعد ذلك إلى إنصافي، وهذا ما حدث مع صحيفة «لوموند» الفرنسية التي كانت تهاجمني باستمرار من النواحي السياسية والنواحي النفطية ثم جاءت في مارس عام ١٩٧٩م تنشر تحليلاً بعنوان أزمة الطاقة وأسعار النفط، واستندت في هذا التحليل على معظم البنود التي أوردتها في المؤتمر الصحفي الذي عقدته واتفقت معي في كثير من النقاط التي كانت الصحف العالمية تهاجمني من أجله، وبذلك فقد اكتشفت هذه الصحف انني كنت على حق، ولكن اكتشافها هذا جاء متأخراً ست سنوات، وقد أشارت الصحيفة إلى تقرير نشرته عام ١٩٧٨م شركة (لالد كوربوريشين) لحساب وكالة المخابرات المركزية الأميركية (سي. أي. إيه)، وجاء في هذا التقرير فقرة تقول أنه إذا وصل سعر برميل النفط إلى (٣٠) دولاراً واستقر على هذا السعر فإن ذلك سيعطي توفيراً كبيراً في استهلاك احتياطي النفط العالمي بحيث تطول مدة استخراج النفط بنسبة الضعف، هذا بالإضافة إلى أن الوزير الأميركي (جيمس شليزنجر) أعلن في أغسطس عام ١٩٧٨م أن سعر برميل النفط يمكن أن يصل في المستقبل إلى (٤٠) أو (٥٠) دولاراً.

وكل هذه الأمور أوضحت أنني كنت على حق تماماً في نظرتي إلى مشاكل الطاقة في العالم وضرورة توفير النفط إلى المستقبل.

■ تطور النفط في إيران:

وخلال السنوات التي تلت تأميم النفط وذهاب مصدق، استطاعت

شركة النفط الوطنية الإيرانية (سنيب) أن تحقق إنجازات كبيرة جدًّا في حقل استخراج وإنتاج النفط وتسويقه، حتى بلغت أرباحها حوالي (٢٢) مليار دولار، وحققت بذلك المرتبة الأولى من بين الشركات العاملة في مجال النفط والتي يبلغ عددها حوالى (٥٠٠) شركة، ولحقتها من بعدها كل من شركة اكسون وشركة شل اللتين حققتا أرباحاً بلغت (٣) مليارات دولار، وبذلك فقد استطعت أن أحقق الوعود التي قطعتها على نفسي تجاه شعبي بأن أجعل من (سنيب) شركة النفط الأولى في العالم. وكنت قد وضعت خطة جديدة قبل أن يسود في إيران حكم المساخر والحقد والغباء، وذلك بإنشاء شركة جديدة للصناعات البتروكيماوية تسير جنباً إلى جنب مع (سنيب) وهي شركة مؤلفة من (١٢) مؤسسة ومصنع، بالإضافة إلى الشركة الوطنية للغاز التي حصلت على مكانة هامة وحققت إنتاجاً واسعاً مماثلاً لإنتاج الاتحاد السوفياتي من الغاز بالرغم من أن هناك جيوباً غازيّة عديدة، ما زالت مغلقة حتى الآن في إيران.

■ **الأحداث الجديدة والنفط:**

والحقيقة أننا لكي نفهم الأحداث التي دارت في إيران منذ حوالى سنة والاتجاه الذي سارت فيه فإن علينا أن لا ننسى عدداً من الأمور الهامة، والتاريخ يجب أن نذكر أن هناك رئيس دولة كان يهتم كثيراً بمستقبل شعبه معتمداً على التجارب التي مرّت بها الشعوب الأخرى في تحقيق الرفاهية لشعبه إلّا أنه عوقب بضراوة وقسوة فائقة، ولا شك في أن عملية التصفية التي تعرّضت لها ستكون سبباً في أن تتولى مجموعات جديدة عمليات تسويق النفط وبيعه على أساس الفكرة التي قدمتها أنا والتي تتعلق بما يدعى (النفط الغالي).

والحقيقة أنني عندما كنت دائماً ادعو الدول الغربية إلى البحث

والتفتيش عن الطاقة البديلة للنفط، وعندما ضربنا لهذه الدول عدداً من الأمثلة على الدور الذي يمكن أن يلعبه النفط، لم تكن سبباً مباشراً في خلق الأزمة العالمية في النفط. وقد سبق أن أعلنت رأي هذا بصراحة إلى رئيسين متواليين للولايات المتحدة الأميركي، وهما الآن لا يخالان يذكران ذلك، وقلت لهما في عدّة مناسبات أنه لا يجب على الولايات المتحدة بصفتها إحدى القوى العظمى في العالم ورائدة وزعيمة العالم الرأسمالي الغربي أن تعتمد في معظم الأمور المتعلقة بصناعتها بشكل خاص واقتصادها بشكل عام على النفط المستورد من الخارج. وأنا أقول بصراحة أن غيابي عن مسرح الأحداث الاقتصادية والسياسية العالمية تصادف مع وجود هجوم عام ضد الاستقرار الاقتصادي والسياسي للعالم العربي، وأعتقد أن الأزمة التي حدثت لم تكن إلّا واسطة لتحريك هذا الاستقرار ليس في الشرق الأوسط فحسب بل في العالم كله. وقد يقال الآن في ضوء هذه الأحداث أن الإنسان والمواطن قد استطاع أن يطور نفسه وأن يتخلص من كثير من الأوضاع القديمة البائدة، ولكن أخشى ما أخشاه أن يكون الإنسان أو المواطن قد تعود على حياة الفوضى والغموض، ومن جهتي فإنني سبق أن قلت للتخلص من حالة الفوضى والغموض هذه، أن مستقبل إيران يجب ألا يكون مرتبطاً على الإطلاق بالنفط، أعود وأكرر مرة أخرى أن القدرة على الحكم الناجح لدى الرؤساء تكمن في القدرة على التنبؤ الصحيح واستباق معرفة الحوادث، وقد استطعت أن أحسب حساباً لكثير من الأحداث والأمور التي حدثت في إيران، والتي تتعلّق بالنفط والطاقة.

الفصل الثاني عشر

عملية بناء إيران كلفتني (٣٧) سنة من عمري

كيف بدأنا الثورة البيضاء ومن هم جنودها؟(*)

عندما وصلنا عام ١٩٥٣م كنت قد جاهدت منذ (١٢) سنة من أجل إعادة بناء إيران، وقد رأينا في ما سبق كيف نجحت في ذلك البناء، ومنذ عام ١٩٥٣م جاهدت (٢٥) سنة أخرى لكي أبني إيران واجعلها تنمو، وخلال كل هذا الوقت لم أكف عن التحرك في حدود واحدة لتحقيق هدف ثابت أن أجعل من إيران دولة حديثة وأن أعطي لشعبنا أولاً السعادة الحقيقية التي يستحقها وخلال هذه الأهداف كان عليّ أيضاً أن أحقق كل ذلك مع المحافظة على المبادئ والقيم الروحية والدينية للشعب الإيراني.

وكنت لا أجهل أبداً أن ما أحاول تحقيقه لا يتناسب مع القوى الكبرى المهتمة بإيران وتريد أن تحافظ على أن يكون وجود الشعب الإيراني قائماً على البؤس والجهل المطبق، ولكني، بالرغم من الضغوط الخارجية التي كنت أتعرّض لها وبالرغم من النوايا السيئة لبعض الحاكمين لدينا تابعت السيرة التي بدأتها لتحقيق الأهداف التي أشرت إليها، ولن يكن هناك شيء في العالم يمكن أن يثنيني عن عزمي حتى ولا طلقات الرصاص. والحقيقة

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٢٥، التاريخ ٢٤/١/١٩٨٠م، ص١٦.

أنه منذ عام ١٩٤٣م، بالرغم من الحرب التي كانت مستمرّة، والمشاكل العديدة التي كانت تقلق بالي وتشغل تفكيري وضعت مخططاً شاملاً للتنمية أخذاً بعين الاعتبار كل الآلام التي تشعر بها والأهداف التي يجب تحقيقها والتي تمثّلت في ما يلي:

الغذاء للجميع، الملابس للجميع، الثقافة للجميع، الصحة للجميع.

ومنذ ذلك الحين لم أكف لحظة واحدة بتذكير حكوماتنا المتعاقبة بضرورة السعي لتنفيذ ذلك البرنامج، إلى أن بدأت بنفسي تنفيذها عمليًّا بواسطة تحقيق فكرة إقامة الثورة البيضاء في إيران. ويجب ألا ننسى هنا أنني كنت حتى عام ١٩٧٠م حيث جرت عملية تصحيح الدستور، مقيداً بقيود دستورية كانت تعيق حركتي في هذا المجال، وبعد التصحيح أصبحت أستطيع السيطرة على البرلمان الأمر الذي أطلق يدي في حرية الحركة لتنفيذ عملية البناء وخاصة بعد سقوط حكومة مصدق، حيث استطعت تشكيل حكومة جدية ووطنية، وبدأت معها مرحلة جديدة كنت أراعي فيها تنفيذ الحاجات الملحّة والعاجلة للشعب الإيراني أولاً بأول، والتي كنا نستطيع تنفيذها، وهكذا بدأت تظهر إلى الوجود مبادئ الثورة البيضاء.

■ ميزان تجاري إيجابي:

إننا نعرف الآن لماذا فشلت الخطة السبعية التي وضعتها لتحقيق التنمية للبلاد خلال سبع سنوات تمتد من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٥٦م، والحقيقة أن عملية مصدق كلفت البلاد ثمناً غالياً. المهم الآن أنني وضعت بعد خطة سبعية ثانية وبدأت تنفيذها منذ عام ١٩٥٤م وحملت هذه الخطة جزءًا من أهداف الخطة السابقة، وقدرت لها ميزانية خاصة تبلغ حوالى (٧٠) مليار ريال أي ما يعادل حوالى مليار دولار تقريباً، ومن الناحية المبدئية فقد اعتمدنا على أن نغطي هذه الميزانية من العائدات النفطية،

بالطبع، وكان من الضروري حيال ذلك أن نبدأ حملة جدية في التفتيش عن آبار جديدة وأن نطمع في زيادة الإنتاج النفطي والغازي، ووزعت اهتمامي خلال التنفيذ أن أحافظ على التنسيق في عملية اصلاح الأوضاع الزراعية في إيران وفي تمديد شبكة جديدة من الطرقات، وإقامة محطات لتوليد الطاقة الكهربائية، وتمديد شبكة واسعة من المياه الصالحة للشرب بالإضافة إلى المصانع البتروكيماوية، وبالنتيجة فقد زادت أطوال شبكة الطرق عندنا ثلاثة أضعاف، حتى بلغت عام ١٩٥٨م خمسة آلاف كيلو متراً من الطرقات الإسفلتية وحوالى (٣٠) ألف من الطرقات المساعدة لها ويمكن أن نقول الآن أن إيران كلها أصبحت عبارة عن مجموعة من الطرقات، وفي هذه السنة (١٩٥٨م) استطعنا للمرة الأولى في تاريخ إيران الحديث أن نحقق ميزاناً تاريخيًّا إيجابيًّا زادت فيه قيمة صادراتنا على قيمة وارداتنا بحوالى أربعة مليارات ريال.

■ إعادة التركيب الداخلي:

لقد ابتعدنا عن كل ما من شأنه أن يمس العقائد والأفكار والحريات الشخصية والاجتماعية للشعب بل على العكس فإن تحركاتنا الجديدة قامت كلها على أسس احترام المعتقدات الدينية والروحية والحقوق الشخصية والاجتماعية، وذلك من خلال تحقيق التعاون والتنسيق بين مختلف الطبقات الداخلية في عملية التنمية للاقتصاد الديمقراطي وازدهار الحركة الزراعية في بلادنا، في ٩ يناير عام ١٩٦٣م وأمام أول مؤتمر عالمي للتعاون الزراعي انعقد في طهران عرضت ستة مبادئ أولية لإجراء الثورة اللازمة في القطاع الزراعي وهي:

- ١ إصلاح زراعي يتمثّل في إعادة توزيع الأراضي بحيث تكون الأرض لمن يزرع.

• ٢ إجراء عملية التأميم في كل الغابات والأحراج الموجودة.

• ٣ تحويل المؤسسات العامة للدولة إلى جمعيات تعاونية يجب أن تحول فائدتها لتضمن إجراء الإصلاح الزراعي.

• ٤ إصلاح القانون الانتخابي بحيث يشمل حق الانتخاب كافة الطبقات الشعبية وخاصة النساء.

• ٥ اشتراك العمال في الأرباح التي تحققها المؤسسات والمصانع.

• ٦ خلق جيش للمعرفة والعلم مكوّن من المثقفين الذين يدخلون الخدمة المدنية ويذهبون إلى الأرياف لتعليم أبنائها.

والواقع أن هذه المبادئ الأساسية الستة كان يجب أن تزيد لكي تصبح تسعة عشر في ضوء التطورات التي حدثت في الأوضاع العامة في البلاد والاحتياجات الجديدة التي خلقتها هذه التطورات.

• ٧ خلق جيش للصحة يضم الطلاب الذين يدرسون الطب وطب الأسنان والصيدلة والتمريض يتوزعون في القرى في جميع أنحاء إيران ويقومون بواجبهم في معالجة المرضى فيها.

• ٨ خلق جيش خاص بعمليات التنمية وإعادة البناء، وقد أطلق على أعضاء هذه الجيوش الثلاثة اسم «جنود الثورة» وكانوا يتلقون المساعدة من النساء والفتيات المتطوعات.

• ٩ تأسيس محاكم خاصة بالقرى.

• ١٠ تأميم كافة مصادر المياه الموجودة في إيران.

• ١١ وضع خطة قومية لتنظيم وتخطيط المدن وساعد فيها جيش التنمية.

• ١٢ اصلاح إداري مربوط بإصلاح ثقافي عام ثم أضيف إليها خمسة مبادئ أخرى عام ١٩٧٥م هي:

- ١٣ حصول العمال على نسبة (٤٩٪) من فعالية وحدات الإنتاج الكبرى، وقد ساعدت الدولة في تأمين رؤوس الأموال الكافية للعمال لكي يتمكنوا من شراء هذه النسبة.
- ١٤ الدفاع عن المساهمين عن طريق الصراع ضد التضخم بمراقبة الأسعار.
- ١٥ التعليم الابتدائي الإلزامي للجميع ابتداء من (٨) سنوات وإلزام الطلاب الذين يتابعون دراستهم الثانوية والجامعية على حساب الدولة بالعمل في مختلف المرافق العامة مدة تعادل المدة التي استغرقتها دراستهم.
- ١٦ توزيع عادل للأغذية للأمهات وللأطفال الرضع حتى يبلغوا من العمر سنتين وتشمل ذلك الأغذية اللازمة لصحتهم.
- ١٧ تعميم الضمان الاجتماعي بحيث يشمل كافة فئات الشعب الإيراني **وفي ١٩٧٧م أضفنا عليها بندين مرة أخرى هما:**
- ١٨ الصراع ضد التجمد المالي، وذلك بوضع الضوابط اللازمة لإيقاف ارتفاع الأسعار الخاصة بالعقارات والشقق والإيجارات.
- ١٩ الصراع ضد الفساد وضد مراكز النفوذ والقوى المضادة.

وكان هناك عقبات كبيرة تنتظر، وسنرى كيف استطعت بمساعدة شعبي في التوصل إلى تحقيق هذه الثورة وخاصة في عملية الإصلاح الزراعي والغذائي.

■ كيف بدأنا بالإصلاح؟

في الحقيقة أنه في عام ١٩٤٣م بدأت بمواجهة الصعوبات والمسؤوليات الناتجة عن استلامي السلطة خاصة وأن الظروف التي

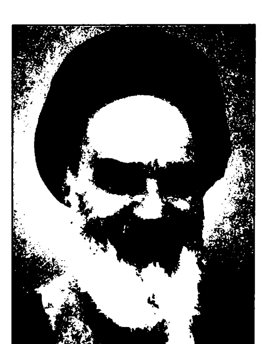
كانت موجودة في ذلك الوقت في إيران من احتلال أجنبي وغير ذلك، وكنت دائماً أطرح هذا السؤال أية أفكار إرادية أستطيع بها أن أقدم المساعدة للشعب الإيراني في معركته التي يخوضها من أجل البقاء كان عليه بخلال مقاومته لمحاولات التدمير التي يتعرّض لها، محتاجاً إلى أن يكون قادراً على تحقيق الوحدة الكاملة والتلاحم العضوي والأخلاقي والروحي، وفي هذا المجال كان علينا أن لا نكون ماديين في حياتنا، بل أن نكون واقعيين، وقد كان حظّي كبيراً لأنني كنت بطبيعتي مضاداً لما يدعى بالحرفية السياسية، فقد كان دوري يسمح لي بالتميز بالأمور التي يمكن تنفيذها وبالأمور غير المعقولة، وفي جميع الأحوال كان عليّ أن أتفادى بأي ثمن أي تغيير في المجالات المتعلقة بالأفكار والعقائد وخاصة في ما يتعلق بمبادئ الحرية والمساواة، وهو بدون شك أمر حقيقي وجدّي، الأمر الذي لا يمكن أن يتوفر لدى الإنسان الذي اعتنق المذاهب المادية المختلفة والمذاهب الشيوعية التي لا تقيم وزناً لإرادة الإنسان وحريته الاجتماعية والسياسية، المذاهب التي تستغني عن وجود الله، هذه المذاهب بطبيعة الحال لا يمكن أن تؤدي إلّا إلى تركيبة اجتماعية مثالية خطرة.

الفصل الثالث عشر

فئات يمينية ويسارية

عارضت برنامج الإصلاح الزراعي

حاول الإمام الخميني إثارة الاضطرابات عام ١٩٦٣م فطلبنا منه[١] مغادرة البلاد ونشر فلسفته في مكان آخر (٢٠٠) ألف فدان موزّعة على الفلاحين كان من أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها الإصلاح الزراعي تأمين الأراضي الكافية للفلاحين، واتخذت في هذا المجال المبادرة الأولى عام ١٩٤١م عندما حوّلت جميع الأراضي التي كانت تخصّني إلى الحكومة، لأن الخطوة الرئيسية كان يجب أن تصدر منّي خاصة وأن الحكومة كانت في ذلك الوقت لا تجرؤ على القيام بها لذلك فقد بدأت بأرضي ووزعتها على المزارعين.



الإمام الخميني

(١) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٢٦، التاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٨٠م، ص١٦.

وبالطبع فإن استلام مصدق للحكم عطل تنفيذ هذه الخطة أيضاً ولكني تابعتها فور تصفيته، ولكي أساعد المزارعين في حياتهم الجديدة انشأت مصرفاً للتسليف الزراعي، وبالرغم من كل الاعتراضات العديدة التي وقفت في وجهي أصدرت قانوناً خاصًّا بتوزيع الأراضي العائدة للملكية العامة وسارعت بتنفيذه، وهكذا فقد جرى توزيع (٢٠٠) ألف هنكار بين (٤٢) ألف مزارع في عام ١٩٥٥م، وفي ١٧ يناير عام ١٩٦٣م أصدرت قانوناً آخر بتحديد الملكية الشخصية للأراضي الزراعية، هذه كانت المبادئ الأساسية للثورة في عالم الزراعة في إيران، وما زال الإيرانيون يتذكرون المعارك السياسية التي خضتها في هذا المجال على كافة المجالات، وقد برهن عن وفائه في ذلك الوقت عندما أعلنت عن استفتاء بين الشعب في ٢٧ يناير وحصلت من ورائه على أغلبية ساحقة وذلك حول شرعة جديدة من ستة بنود تتعلق بالإصلاح الزراعي، واستطعت أن أقوم بتنفيذ هذه الشرعة مستنداً إلى ثقة شعبي وإيمانهم بي.

■ ثلاث خطط خمسية:

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه ابتداء من ذلك التأريخ نفسه استطعنا أن نقوم بتنفيذ خطط التنمية الخمسية التي وضعناها والتي كانت على ثلاث مراحل ولمدة (١٥) سنة ابتداء من عام ١٩٦٣ وانتهاء بعام ١٩٧٧م، وكانت هذه الخطط أدوات حقيقية للثورة البيضاء التي أعلنت عنها وأوضحت أهدافها وطبيعتها ونهايتها على الشكل التالي:

إن بعض الأحزاب تعتبر أن الطرق المرسومة والتي تتفق مع فكرتها ومبادئها هي الطرق الوحيدة التي تنفع البلاد، إلّا أننا حاولنا وما زلنا نحاول لكي نحافظ على ثورتنا من الانحراف بحيث لا نكون سبباً في أن

تنتصر إحدى فئات الشعب على الفئات الأخرى أو إحدى العقائد على غيرها، إننا نقوم بثورة بيضاء، محاولين تنفيذ كل ما نعتقد أنه لمصلحة الوطن سواء كان ذلك يتفق مع المبادئ الشيوعية أو الرأسمالية أو الاشتراكية... إن هدفي النهائي أن أصل بإيران خلال عشرين عاماً إلى مستوى من الحضارة والنمو المتكامل بحيث تتساوى مع أفضل الدول غدا، إننا متأخرون عن الدول المتقدمة بدون شك، ولكن هذا التأخير قد تضاءل إلى النصف خلال عشر سنوات وسنحاول الآن اجتياز النصف الثاني من التأخير، إلّا أن هذه المحاولة ستكون الأكثر صعوبة وتعقيداً.

■ الأسس الثلاثة للإصلاح الزراعي:

لقد تحقق الإصلاح الزراعي في إيران على ثلاثة أسس هي:

أولاً • كافة الملاكين لا يستطيعون استملاك أكثر من قرية واحدة في الحد الأقصى، ويستطيع الفلاحون شراء ما بقي من الأرض، وذلك بمساعدة القروض التي يمنحها المصرف الزراعي الجديد الذي تمّ انشاؤه، وهذه القروض تسدّد خلال (١٥) سنة.

ثانياً • كل الملاكين الذين لا يقومون باستغلال أراضيهم بأنفسهم يجب عليهم أن يؤجروها للفلاحين وذلك لمدة لا تقل عن (٢٥) سنة، ويمكن لهؤلاء الملاكين أن يبيعوا هذه الأراضي للمزارعين.

وفي ما يتعلق بالأراضي التابعة للأوقاف العامة يجب أن تؤجر على المزارعين ولمدة لا تقل عن (٩٩) سنة، في حين أن الأراضي التابعة للأوقاف الخاصة فإن الدولة تعمد إلى شرائها لكي توزعها على الفلاحين.

ثالثاً • بالنسبة للملاكين الذين قبلوا بأن يؤجروا أراضيهم إلى الفلاحين لزراعتها، فإنهم يستطيعون اختيار إحدى الوسيلتين التاليتين: ١) يتقاسمون الأرباح الناتجة عن عملية الزراعة وبيع الإنتاج الزراعي مع الفلاحين. ٢) يبيعون حصتهم من الإنتاج الزراعي إلى المزارعين قبل عرضه في الأسواق. وعلى العموم فإن الملاكين لا يستطيعون الاحتفاظ سوى بالأرض الخالية من السكان والمزارعين، ولا أحد يستطيع أن يمنعهم من استغلالها بواسطة الآلات الميكانيكية، وأنا ضد استبدال المزارع بمزارع أخرى، ولكني مع استبدال المزارع بالآلات الزراعية.

■ مع الإمام الخميني للمرة الأولى:

وقبل أن أضع خطة الإصلاح الزراعي موضع التنفيذ عرضتها على الاستفتاء الشعبي العام، وأعلنت في ذلك الوقت: «إنني عندما قرّرت أن أضع هذه الخطط أمام الآراء الحرة للشعب لآخذ رأيه بها»، كنت متأكد بأن أحداً في إيران لا يستطيع العودة بنا إلى نظام العبودية والرقيق الذي عاش فيه فلاحونا فترة من الزمن في وقت سابق، إنني حريص على أن لا تستطيع فئة قليلة من الشعب الاستيلاء على الثروة والغنى في البلاد واستغلال وسائل الحصول على الثروة لمصلحتها الخاصة، سواء كان ذلك من قبل شخص واحد أو فئة معيّنة من الشعب ولن أسمح أيضاً لأي كان باستغلال نتائج التحوّل الثوري الذي بدأناه، في يناير من عام ١٩٦٣م كانت نتيجة الاستفتاء رائعة وأعطتني أغلبية كانت تفوق كل التوقعات، وهذا ساعدني كثيراً خلال الأحداث المؤسفة التي حدثت في جنوب

البلاد بعد ستة أشهر حيث حصلت حركة كانت عبارة عن محاولة تخريب متعمدة من قبل بعض الفئات الحاقدة، وتحوّلت هذه الحركة إلى مظاهرات دامية امتدّت حتى طهران نفسها واشتعلت حرائق النفط في كل مكان، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا العصيان كان مدفوعاً بالأساس من قبل كبار هؤلاء الملاكين الذين حاولوا كثيراً اعتراض قانون الإصلاح الزراعي إلّا أنهم بالرغم من قوتهم ومحاولاتهم المتكرّرة لم يستطيعوا منعي من تطبيقه، والشيء الغريب الذي يلاحظ هنا هو تحالف القوى اليمينية في البلاد مع القوى اليسارية الثورية في هذه الأحداث، وكان المحرك الرئيسي لها الحركة الماركسية الإسلامية، وكانت أحداث يونيو المذكورة بالنسبة لإيران سوداء بالفعل، لأن الأطراف التي دعت لها وغذتها بالأموال والأسلحة ما زالت مجهولة، بالرغم من أن الأضواء قد تسلّطت في ذلك الحين على شخصية اسلامية هي آية الله الخميني، وكان لا يزال وقتذاك شخصاً مغموراً قام بمعارضة التطور الذي بدأناه وخاصة في ما يتعلق بإعطاء الحرية للنساء والثورة البيضاء بشكل عام، إلّا أن تأثيره بقي محدوداً جدًّا لأن عدد أنصاره في ذلك الوقت كان قليلاً، ولم نحكم عليه بالإدانة بل طلبنا منه مغادرة البلاد.

■ كيف عملنا على تمويل برامجنا:

بعد تحقيق الخطوة الثالثة في عملية الإصلاح الزراعي لم يبق في البلاد سوى عدد قليل من الملاك والإقطاعيين للكبار، بل على العكس أصبح كل الفلاحين ملاكاً ولكي نستطيع أن نفهم ماذا تمثّل هذه الإنجازات يجب أن نتذكر أنه حتى عام ١٩٥٦م كانت نسبة (٧١٪) من شعبنا ما زالت تعيش في الأرياف. وما يزيد عن نصف الأراضي الزراعية في الأرياف كانت مملوكة من قبل كبار الإقطاعيين، ومن بينهم حوالى

(٣٠) إقطاعيًّا كانوا لا يزالون يمثّلون رؤساء القبائل والعشائر ويمتلكون أكثر من ٤٠ قرية، وكانت نسبة (٢,٠٪) من العائدات المهتمة بالزراعة تمتلك نسبة (٣٣,٨٪) من مساحة الأرض المزروعة، كان معظم أصحاب هذه الأراضي يعيشون أما في طهران أو في خارج البلاد تاركين هذه المزارع الكبيرة للفلاحين الذين يقومون باستثمارها وفق الوسائل البدائية ثم يعطون أرباحها كلها إلى الملاك والإقطاعيين.

ولكي نقوم بملء الفراغ الذي تركه غياب هؤلاء المزارعين الكبار عن مسرح الزراعة في إيران، وذلك في النواحي المالية، فقد عمد المصرف الزراعي إلى تمويل البرامج والخطط الزراعية التي كانت مرتبطة بالبرنامج الأصلي للإصلاح الزراعي، وفي الفترة ما بين ١٩٦٣ إلى ١٩٦٧م قدم البنك حوالى عشرين مليار ريال إلى المزارعين، وعلى خط مواز سارت عملية انشاء التعاونيات الزراعية في البلاد وانضم إليها المزارعون الجدد وسرعان ما تضاعف عددها حتى أصبحت عام ١٩٦٣م تشكيل منظمة مركزية رأسمالها يزيد عن مليار ريال وكلفت تشكيل الكادر اللازم وتحديد الوسائل المناسبة لتحقيق حركة تعاونية زراعية ناجحة.

الفصل الرابع عشر

أشركنا العمال في ملكية المصانع وأرباحها وأمنّا لهم المساكن والضمان الاجتماعي(*)

مليونان من العائلات التي تعمل بالزراعة أصبحت تملك أراض خاصة بها وتعمل بها لمصلحتها، الأمر الذي أزعج الإقطاعيين الكبار سواء كانوا من العلمانيين أو من رجال الدين، وهناك عملية أخرى أزعجت الفئات الأخرى من المستغلين والحاقدين وهي عملية التصنيع السريعة التي أجريناها ويجب أن لا ننسى أن عملية البناء التي قمت بها كانت تستند إلى أن الشعب الإيراني من الشعوب المتميزة بالتزايد السكاني الكبير وأن نسبة التزايد كانت سترفع عدد المواطنين إلى حوالى (٥٠) مليون نسمة عام ١٩٩٠م، وكمثال على هذا التزايد نذكر أن عدد سكان طهران كان عام ١٩٥٦م مليون و(٧٠٠) ألف نسمة وأصبح عام ١٩٧٨م (٤) ملايين ونصف المليون، وانسحب هذا التزايد أيضاً على المدن الكبرى مثل أصفهان وتبريز وشيراز.

كان علينا منذ البداية أن نسعى في تأمين مرحلة الإسكان للعمال، الأمر الذي يفرض علينا القيام بإصلاح إسكاني، بكل ما يقتضيه من إعادة بناء وتنظيم احياء كاملة، وقبل كل شيء علينا أن نفرض رقابة شديدة على

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٢٧، التاريخ ٢٦/ ١/ ١٩٨٠م، ص١٨.

أسعار العقارات والأراضي لنمنع تزايدها قدر الإمكان، وكانت الوسيلة الرئيسية الناجحة في هذا الموضوع هو أن تقوم الدولة بعمليات بناء واسعة، وبالفعل فقد تمّ وضع خطة اسكانية كبيرة وجرى تنفيذها بسرعة ثم وضعنا غيرها وقمنا بتنفيذها أيضاً، واستطاعت وزارة الإسكان أن تبني حتى عام ١٩٧٧م (٣١) ألف وحدة سكنية للعمال والموظفين بلغت تكاليفها حوالى (١٤,٤) مليار ريال، وسرعان ما بدأنا برنامجاً اسكانيًّا آخر لبناء (٤٠) ألف وحدة سكنية جديدة ورصدنا لها مبلغ (٦٧) مليار ريال، وكان لدينا في هذا المجال (٢٠٥٦) مشروعاً إسكانيًّا توزع على قطاعات سكنية في مختلف أنحاء البلاد.

■ تأمين المساكن للعمال:

كان من المقرر أن كل مصنع جرى تأميمه سيستلم من الدولة بصورة خاصة الأراضي المجاورة اللازمة لإسكان عمال المصنع في أقرب مكان من عملهم، فالأمر الذي من شأنه أن يوفر على العمال كثيراً من الوقت الذي كانوا يقضونه في الذهاب والأياب من وإلى عملهم، كما كان يسمح لهم بقضاء ساعة أو ساعتين يوميًّا في الحدائق والمتنزهات والرياضة والسباحة، وفي ما يتعلق بالشباب فقد نفذنا (٢١١٥) مشروعاً تشتمل على مدارس وجامعات ومستشفيات ومراكز رياضية وفنادق ومخيمات وكان لدينا بالإضافة إلى ذلك (٨٧٩) مشروعاً آخر في الطريق إلى التنفيذ.

وقد قمنا بوضع (١٢) مليون متر مربع من الأراضي في يد التعاونيات الإسكانية، لبناء الوحدات الإسكانية في ما بين عام (١٩٧٦-١٩٧٧م) ورصد لبناء هذه الأراضي مبلغ ١٠٣ مليار ريال، وقد بقيت مشاريع بناء مساكن العمال من الخطط الضعيفة خلال ثورتنا البيضاء لأننا

لم نستطع تنفيذها على الشكل الذي نرغب فيه نظراً لأننا لم نستطع انتاج الطابوق والاسمنت اللازم لبناء المساكن العمالية الملحوظة في خططنا.

■ الاهتمام بالصحة العمالية:

ولم يكن كافياً الاهتمام بالمساكن العمالية، بل كان علينا أن نعتني بهم وأن نؤمن لهم الضمان الاجتماعي، وفي هذا المجال فأنا أعتقد بأننا كنا متأخرين بما يعادل نصف قرن من الزمان عن الدول الغربية، وكنا في المبادئ الخاصة بالثورة أعلنا عن تأمين الرعاية الكاملة للأمهات الحوامل وللأطفال حديثي الولادة.

وهؤلاء يبلغون (٤) ملايين كل سنة، وسرعان ما أعلنا عن برنامج آخر موازٍ له يستند إلى أساس «الطب المجتمعي» وارسال مجموعة من القرى للقيام بحملات واسعة من التطعيم ومعالجة المرضى، وفرضنا على كل مواطن أن يحمل بطاقة صحية فيها كل المعلومات اللازمة عن صحته. وكنت دائماً اعتبر أن من أول واجبات الحكومة الاهتمام بصحة المواطنين، ولذلك فقد انشأنا مجموعة لا بأس بها من المنظمات الصحية المجانية كانت تشرف عليها وترعاها الدولة من جهة وأعضاء أسرتي من جهة أخرى كزوجتي وشقيقتي ووالدتي، وقد قامت الإمبراطورة فرح ديبا في المجال بنشاط واسع بحيث انت المحرك الأساسي لمجموعة كبيرة من هذه المؤسسات تقوم بجولاتها في مختلف انحاء إيران وتحادث المواطنين وتحل بعض مشاكلهم الصحبة والاجتماعية واصطدمت في مسيرتها هذه بعقبات كثيرة من التقاليد والعادات المتعلقة بالنساء واستطعت أن أتجاوزها.

■ الضمان الاجتماعي للعمال:

إن الضمان الاجتماعي من أهم مبادئ الثورة البيضاء، وكان مقرراً أن

يشمل هذا الضمان كل أفراد الشعب الإيراني، وأهدافه أن نضمن للشعب العامل، الحفاظ من كل الأخطار: الحوادث، الأمراض، وعدم الخبرة والقدرة على العمل، وعلى العموم تأمين كل إيراني في كافة مراحل حياته، وتمّ وضع مميزات خاصة بالأشخاص المسنين والمتزوجين حديثاً والأطفال، وأستطيع القول بأن نظام الضمان الاجتماعي عندنا كان من أكثر الأنظمة تقدماً في العالم. ومنذ عام ١٩٦٢م تمّ تنفيذ المبدأ الرابع من مبادئ الثورة البيضاء، الذي أصبح قانوناً يفوق معظم القوانين الصناعية المتقدمة في العالم، ويقضي باشتراك العمال في أرباح المصانع التي يعملون بها، وكان على أصحاب المصانع أن يتفاوضوا مع ممثلي العمال أو أعضاء النقابات لتوقيع اتفاقية جماعية يحصل فيها العمال على قسم من الأرباح التي يحصل عليها المصنع كل عام، وحققنا في هذا المجال انجازات كبيرة لدرجة أنه في عام ١٩٧٦م وحده حصل (٥٣٠) ألف عامل على حوالى (١٢) مليار ريال كنسب من الأرباح الناتجة في المصانع، وبالإضافة إلى ذلك فقد انشأنا بنكاً خاصًّا بالعمال وجمعيات تعاونية والهدف من ذلك مساعدتهم في حياتهم الخاصة سواء في الحصول على السكن المناسب أو لشراء ما يحتاجونه من مختلف مراحل حياتهم، وكان العمال يقترضون من هذا المصرف مقابل فائدة لا تزيد عن ٤٪ في السنة، وكانت العلاقات بين العمال وأصحاب العمل تسير في طريقها السليم، خاصة بعد أن شجعنا فكرة عقد اجتماعات دورية بين ممثلي العمال وأصحاب العمل وممثلي القطاعات الفنية لكي يتمكن الجميع من ايجاد الحلول المناسبة لمشاكل المصانع.

■ ثلاثة مبادئ للعمل:

وبشكل عام فإن الثمرة البيضاء اهتمّت، في ما يتعلق بالحركة العمالية، بتحقيق ثلاثة مبادئ رئيسية هي:

- ١ كل عامل إيراني له الحق بالحصول على عمل وعلى الأمن الوظيفي. وإذا فقد أحد العمال عمله لسبب من الأسباب يحق له الحصول على منحة مالية شهرية من الدولة خاصة بالعاطلين عن العمل تعادل الحد الأدنى من الرواتب التي تسمح بالعيش إلى أن يتوصل ذلك العامل إلى الحصول على عمل جديد عن طريق المؤسسات الخاصة بالعثور على فرص للعمل خاصة بالعمال العاطلين.
- ٢ الحد الأدنى للرواتب مضمون للعامل غير المؤهل وحدّد بحيث يضمن له مستوى لا بأس به من المعيشة وفق المنطقة التي يعمل بها والظروف التي تحيط بها من النواحي المادية والاجتماعية، وأجبرنا كل مصنع، بناء على ذلك، بوضع تصنيف وظيفي يوضح مميزات كل وظيفة أو عمل.
- ٣ الاهتمام إلى حد كبير بالمردود الشخصي لكل عامل بحيث يعطي العامل النشيط الذي يؤدي عمله ويعطي مردوداً كبيراً مرتباً يتناسب مع نشاطه ومع النتائج التي يحققها وقد جرى تطبيق هذه القاعدة بشكل عام، وإلى جانب ذلك الأمر فقد اهتمما بإقامة مدارس ومراكز للتعليم الفني والمهني، وكان لكل عامل الحق بالانتساب إلى هذه المعاهد للحصول على الخبرة المناسبة له منها، ويمكن له في المستقبل حتى أن يصبح مهندساً مؤهلاً.

■ اشتراك العمال في ملكية المصانع:

المهم هنا أن كل الخطوات التي تمّ اتخاذها لمصلحة العمال كانت عبارة عن بداية لخطوات أكثر أهمية يجب أن تتخذ فقط كما نؤمن تماماً أن العدالة الديمقراطية يجب أن تُبنى على العدالة الاقتصادية، وكانت النتيجة

الحتمية للبرنامج الذي سرنا به هو أن يصبح العمال أصحاباً للمصانع والمعامل بكافة أشكالها، وبالفعل فقد جرى في أغسطس عام ١٩٧٥م إقرار البند الثالث عشر من مبادئ الثورة المتعلق بالتوسع في ملكية المصانع والمراكز الصناعية بواسطة اشتراك العمال بها، وبذلك أصبحت كل وحدة للإنتاج الصناعي الخاص موجودة منذ أكثر من خمس سنوات، مجبرة على بيع (٤٩٪) من نشاطها إلى العمال الذين يعملون بها، في حين أن المصانع التي تعود للدولة فإنها توزع (٩٩٪) من نشاطها المنتج على العمال والموظفين، وهذا المبدأ كان يكمل مبدأ الاقتصاد الديمقراطي ويضيف حلقة جديدة في حلقات التطور الصناعي والاقتصادي والاجتماعي في ملكية المصنع أمر يؤدي بالتأكيد إلى حدوث تلاحم أكبر في العلاقات بين العمال والفنيين وأصحاب العمل، وهذا التلاحم ضروري جدًّا لمصلحة العمل بحد ذاته، وقد حدث هذا بالفعل إلى حد أن أصحاب المصانع التي تعرضنا لهذا القانون أعربوا عن سرورهم الكثير وأعلنوا في عدّة مناسبات أنهم لم يشاهدوا طيلة حياتهم من الأرباح مثل ما حققها المصنع بعد دخول العمال شركاء في ملكية المصنع.

الفصل الخامس عشر

تحالف اليساريون واليمينيون في إيران

لتخريب عملية اشتراك العمال في إدارة المصانع(*)

لماذا فشلت التجربة في بعض المصانع، كان كل شيء يبدو جميلاً في المصانع بعد أن أعطينا جزءًا من أرباحها ثم جزءًا من ملكيتها إلى العمال، وسارت الأمور على خير ما يرام باعتراف أصحاب المصانع أنفسهم الذين غرقوا في أرباح ما كانوا يحلمون بها، وبالرغم من كل هذه النتائج الجيدة فقد كنت أشعر بنفسي أن الأمر لا يمكن أن يسير بمثل هذه السهولة وأن هناك جهات أخرى في البلاد يهمها كثيراً أن لا تنجح هذه التجربة الرائدة، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تحالفت القوى اليمينية الرأسمالية التي كانت تريد أن تفشل عملية إشراك العمال في إدارة المصانع وأن تستأثر هي بكل شيء، وقد نجد هؤلاء عذراً لأننا أجبرناهم على تقبّل العمال كشركاء في مصانعهم سواء في الإدارة أو في الأرباح، ولكن هل من يستطيع أن يقول لي ما هو سبب تكتل القوى اليسارية أيضاً وتحالفها مع القوى الرأسمالية وخلق الفوضى والمشاكل الدامية لإجباري على الرجوع عن هذه الخطوة. . .؟ إنني أعتقد أن تحرك الاشتراكيين والشيوعيين في حزب (تودة) واشتراكهم مع الرأسماليين كان سببه

(*) صحيفة الرأي الكويتية، العدد ٥٨٢٨، التاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٨٠م، ص١٦.

الرئيسي أنهم لا يريدون أن تنجح أي تجربة ترضي العمال وتسعدهم وتحسن ظروف حياتهم المعاشية والصحية إذا لم تكن ناتجة عنهم، فقد كانوا يريدون أن يستمر العمال في البؤس والشقاء لكي يتسلّلون في صفوفهم لزرع الأفكار الشيوعية بينهم. وعلى العموم فقد عمل هؤلاء متحدين على إفشال التجربة في عدد من المصانع التابعة للدولة، ذلك أنه كان قد تقرر أن يباع إنتاجها في أكتوبر من عام ١٩٧٨م، إلّا أنه في شهر سبتمبر (٧٨) اندلعت في طهران ومشهد وتبريز وشيراز وأصفهان وغيرها مظاهرات عنيفة أخذت تقوم بأعمال تخريبية الأمر الذي جعلها أشبه بعصيان، وحاول الذين حركوا هذه المظاهرات ودعوا إليها أن يغرقوا البلاد في بحر من النار والدمار.

والحقيقة أن (١٥٣) مؤسسة ومصنعاً كانت تدار من قبل عدد قليل من العمال هي التي استطاعت أن تبيع إنتاجها إلى العمال والفلاحين، وكانت المظاهرات التي قامت تتعلّق بمشكلة (٣٢٠) مؤسسة صناعية كبيرة كان يجب أن تجمد إنتاجها بعض الوقت وهذا الإنتاج ثمنه (١٧) مليار ريال، وعلى كل الأموال فإن شراء منتجات هذه المصانع كان متيسراً بواسطة قروض من الحكومة وكان من شأنها أن تعيد الحياة والحركة إلى هذه المصانع بصورة فورية تقريباً، إلّا أن الوقت لم يساعدنا وتحالفت ضدنا القوى المحركة للعمال والمعادية لنا، بالرغم من أننا حققنا للعمال ماسب كثيرة تتمثّل مجموعة الأرقام التالية.

■ **مكاسب العمال:**

قبل حوالى (١٥) سنة كان العامل العادي يتقاضى حوالى ألفي يال شهريًّا بشكل متوسط فقط، وقد ارتفع هذا الدخل عام ١٩٧٨م وتضاعف عدّة مرّات، وأصبح مقدار ما يحصل عليه العامل العادي (الذي لا يحمل

خبرة خاصة) كراتب شهرين يزيد عن عشرة آلاف ريال، وذلك بالإضافة إلى نسبة عشرين بالمائة من الأرباح الناتجة في المصنع. ومن ناحية أخرى فإن هناك مميزات خاصة كثيرة بالعمال من ناحية المصاريف المعاشية، ذلك أن الحكومة تعطيهم بيوتاً بإيجار منخفض جدًّا، ويحصلون على المواد الغذائية الضرورية بأسعار منخفضة جدًّا، ذلك أن خمسة مواد غذائية رئيسية وهي (اللحم والسكر والأرز والزيت والخبز) مضمونة من الحكومة ومدعومة، ومتوفرة للجميع وفي كافة أنحاء إيران، وكان هناك مخازن خاصة ذات أسعار مخفّضة تراقبها الحكومة بشكل مستمر تبيع منتجاتها للعمال، كما أن أطفال العمال كانوا يتمتعون هم الآخرون بمميزات خاصة بهم، وزيادة على ذلك فإنني عندما قمت بزيارة لأحد المصانع المؤممة الخاصة بصناعة السكر بالقرن من غوتشان عام ١٩٧٣م وجدت أن نسبة (٨٠٪) من العمال الذين يشتغلون في هذا المصنع يملكون سيارات خاصة بهم، كما أن نسبة (٥٠) منهم كانت لديهم القدرة المالية لكي يحضروا خادمة تعمل عندهم في البيت.

■ الثورة البيضاء والعدالة والقضاء:

كان من الضروري أن تمتد ثورتنا إلى قطاع هام جدًا من قطاعات الحياة العامة وهو قطاع العدالة، وقد استطعنا أن نحقق إنجازات هامة في هذا المجال، وكان أبي قد بدأ لحسن الحظ أولى خطوات الطريق إلى إصلاح العدالة والقضاء في البلاد عندما استعان بخبراء فرنسيين استوحى منهم بعض القواعد عن القانون الذي وضعه نابليون بونابرت، وقد كانت هذه أولى الخطوات المتخذة لفصل القضاء الإيران عن الدين، وخاصة الفصل بين القضاء وبين مسؤوليات رجال الدين في الحياة العامة، إلّا أن ذلك لم يكن كافياً لكي يشمل جميع طبقات المجتمع، خاصة أن

الأنظمة القضائية القديمة كانت تفرق بين المزارع البسيط الفقير وبين الإقطاعي الغني، وهذا التفريق كان يحدث في المناطق البعيدة حيث يكون المزارع في أغلب الأحيان جاهلاً وأميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، وكان من الصعوبة بمكان أن نتمكن من قناع المزارعين المذكورين من الاتجاه إلى القضاء، ولذلك فقد كان المزارع لا يستطيع الحضور إلى المحكمة الغريبة عنه فلنجعل المحكمة هي التي تأتي إليه في مكانه حيث يعيش. ويجب أن لا ننسى في هذا المجال أن نأخذ بعين الاعتبار شيئاً مهمًّا وهو أن القروي يستطيع أن يفهم من قروي يعيش معه أكثر بكثير من شخص يأتي من المدينة ليعلمه أصول القضاء والمرافعات وغيرها، كما أن القروي يمكن أن يثق بشخص يعيش بجانبه في مجال حل المشاكل والمنازعات التي تعترض طريقه أكثر بمراحل عديدة من ثقته بشخص غريب عنه لا يعلم شيئاً عن عاداته وتقاليده وطبيعة المشاكل والمنازعات التي تقوم عادة بين القرويين، ولذلك فإننا إذا تركنا لعدد من الأشخاص الصلاحيات التامة للفصل في المنازعات التي تحدث عادة في القرى التي يعيشون فيها ويطبقون فيها القوانين والأنظمة القضائية كل وفق طبيعة هذه القرى لأمكننا أن نكسب ثقة القرويين والمزارعين وندخل الطمأنينة إلى قلوبهم بعدالة القضاء الإيراني، خاصة إذا كانوا يعلمون أنهم لن يتكلفوا نقوداً لإنفاقها على القضاء ولن ينتقلوا من قريتهم إلى قرية أخرى يحتكمون فيها إلى قضاة غريبين عنهم، وبذلك تولدت فكرة (بيوت العدالة).

■ بيوت العدالة:

في ديسمبر من عام ١٩٦٣م، تمّ انشاء أول بيت للعدالة في قرية تدعى مهيار قريبة من أصفهان، وما لبثت الحكومة أن اتبعت ذلك البيت

بمئات البيوت المماثلة حتى أصبح عددها عام ١٩٧٧م (١١٣٥٨) بيتاً، توزعت في حوالى (١٩) ألف قرية في جميع أنحاء البلاد وشملت أحكامها حوالى عشرة ملايين شخص، ويتألف بيت العدالة من محكمة قروية، فيها عدد من القضاة (خمسة قضاة) يجرى انتخابهم كل ثلاث سنوات من قبل أهالي القرية أنفسهم بدون أي تدخل من قبل الحكومة، ويكون هؤلاء القضاة عادة من الأشخاص المشهود لهم بالثقة والنزهة على الصعيد المحلي يفهمون مشاكل المواطنين وطبيعة منازعاتهم ويستطيعون تأمين وضمان سير العدالة في الأقاليم المختلفة، علماً بأنهم يتمتعون بالسلطات اللازمة للفصل في القضايا وتطبيق القوانين المناسبة ما أنهم يملكون الحرية المطلقة في طريقة محاكمتهم والذهاب إلى الأمكنة التي وقعت فيها المنازعات والاستماع إلى الشهود وغير ذلك من الصلاحيات التي تكفل لهم الاستقلال التام عن كل سلطة.

والحقيقة أن بيوت الدالة هذه سرعان ما أعطت المردود الإيجابي الذي يدل على نجاحها تماماً، فمنذ عام ١٩٦٥م بدأت بالنظر في منازعات بلغ عددها (١٨) ألفاً، وسرعان ما دلّت الإحصائيات على أن مجموع القضايا التي توصلت بيوت العدالة إلى حلّها والنظر فيها بلغ حوالى (٣) ملايين قضية، علماً بأن النجاح لم يكن من الناحية العددية فقط بل كان من الناحية الكيفية والقضائية، وقد شهد عدد كبير من الاختصاصيين في شؤون القضاء في أكثر من مناسبة بعد قيامهم بجولات متعددة في بيوت العدالة، إن الأحكام التي يلفظها القضاة المحليون هي أحكام منطقية تماماً وتحقق الأهداف المرجوة منها، والغريب أن هؤلاء الأخصائيين قد فوجئوا مرات عديدة ودهشوا لصواب الأحكام التي تصدر في بيوت العدالة من جهة ولبساطتها من جهة أخرى، وهذا هو السبب الذي دعانا عام ١٩٦٦م إلى محاولة نشرها في المدن، وبالفعل فقد تمّ

انشاء «مجالس التحكيم» التي تتألف هي أيضاً من خمسة قضاة أو محكمين يجرى انتخابهم من قبل أهالي المنطقة أو الحي لمدة ثلاث سنوات، ويقوم واحد من هؤلاء القضاة باختيار المحامين والمسجلين اللازمين من وزارة العدل للعمل في الحي أو المنطقة التي يسكنها، ويجتمع مجلس التحكيم في دار خاصة به.

الفصل السادس عشر

الثورة البيضاء في التربية والتعليم

المعركة الطويلة من أجل حرية النساء(*)

كانت الأحوال الثقافية في إيران سيئة إلى حد كبير، وقد ورثت عائلة بهلوي تركة ثقيلة من الجهل الشامل في صفوف الشعب الإيراني وقد دلّت الإحصائيات إلى أنه في عهد (الخدجر) لم تكن نسبة المتعلمين في إيران تزيد على واحد بالمائة. نعم واحد بالمائة من المتعلمين فقط في البلاد التي أعطت التاريخ مئات من الفلاسفة والمفكرين العظام مثل الفارابي، رازيس، الحلاج، والأخوين الغزالي والسهروردي وعمر الخيام والفيروزي وغيرهم، وقد كانت المسيرة التربوية صعبة ومعقدة حتى أننا في عام ١٩٥٦م لم تكن نسبة المتعلمين قد وصت في إيران إلّا إلى حوالى (١٥٪)، ومن بين (٤) ملايين تلميذ جديد كان يجب أن يدخلوا كلهم المدارس لم يستطع أن يدخل منهم سوى أقل من نصفهم هم الذين كانوا يستطيعون أو لديهم الإمكانيات اللازمة للدراسة، ومعنى ذلك أن يبقى حوالى (٣) ملايين طفل على جهلهم لأنه لم يكن لدينا العدد الكافي من المدارس والعدد الكافي من المدرسين. ولذلك فقد كان يجب أن نتخذ مجموعة من التدابير الثورية اللازمة لكي نقلب الأوضاع الثقافية بأسرع

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٢٩، التاريخ ٢٨/ ١/ ١٩٨٠م، ص١٦.

وقت ممكن وذلك بمساعدة الجيش الخاص بالتربية والتعليم، وكان أفراد هذا الجيش يذهبون إلى أقصى الأرياف وإلى القرى الصغيرة ناشرين حولهم العلم والمعرفة، السلاح الذي يكتسبه الرجال والنساء في سبيل مستقبل أفضل لإيران، وقد استطعنا تحقيق نتائج رائعة عندما وصل عدد الطلاب إلى عشرة ملايين طالب عام ١٩٧٨م وتضاعف عدد المدارس في إيران عشرات المرات وارتفعت الميزانية الخاصة بالتربية من (٤٥) مليار ريال عام ١٩٦٣م وفق الخطبة الخمسية الموجودة في ذلك الوقت إلى (٥٥١) مليار ريال عام ١٩٧٣م وفق الخطة الخمسية الجديدة، وكانت الخطة الخمسية الرابعة التي بدأت عام ١٩٧٨م والتي كان مقرراً لها أن تنتهي عام ١٩٨٢م قد خصّصت (٢٧٠٠) مليار ريال لميزانية التربية والتعليم وإذا رأينا الإحصائيات التي وضعت فإننا نعرف أننا في إيران كنا نتوقع أن يكون لدينا في نهاية الخطة الخمسية السادسة أي عام ١٩٩٢م حوالى (١٤) مليون طالب وتلميذ، أي بزيادة (٤٠٪) عمّا هو موجود لدينا الآن. ترى ماذا سيحدث لهؤلاء الطلاب من الفتيان والفتيات الآن وفي المستقبل بعد أن انهار كل شيء.

■ الإصلاح الإداري:

إيران مثلها مثل كثير من الدول كانت تشكو من سوء الأوضاع الإدارية، وكان علينا أن نسارع بمعالجة هذه الأوضاع، إلّا أننا من ناحية أخرى نعرف أن مهمتنا صعبة جدًّا فقد كان علينا أن نصارع وحشاً كبيراً له ألف رأس وهذا الوحش هو البيروقراطية بالروتين والتعقيدات الموجودين فيها، لقد كنا سنقوم بعملية الإصلاح الإداري في وسط شديد العداوة ومضاد لكل تغيّر قد يحصل، والإدارة، حسب رأيي لها دور رئيسي وهو العمل في خدمة الوطن والأمة. والموظفون يجب أن يتفرغوا لذلك الهدف

وأن يكون عندهم إحساس بالمسؤولية الأمر الذي يجلعهم يقومون بأعمالهم بكل الفاعلية اللازمة، وكان التغيير في رأيي يجب أن يسير في اتجاهين أولهما أن يتناول الإدارة من ناحية الأساليب والوسائل المستخدمة ثم ينتقل إلى الأجهزة البشرية والثاني أن يتناول التغيير الأجهزة البشرية ثم ينتقل إلى الإدارة بشكل مباشر، وكان الإصلاح الإداري ضروريًّا، لأننا من خلال الإصلاحات الأخرى التي أجريناها أدركنا أن الأعمال الإدارية العامة ستتزايد بواسطة النمو المطرد فيالبلاد سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية السكانية وكان الهجوم يجب أن يبدأ على الجذور الإجارية بشكل مباشر ولا شك في أن الجهل العام الذي كان يسود إيران بشكل عام وقلّة الأشخاص المؤهلين في الإدارات هو الذي أوجد ذلك الجمود الفظيع في النواحي الإدارية العامة، ولذلك فإنني كنت موقناً أن الإصلاح التعليمي سوف يؤدى بطبيعة الأمر إلى تخريج دفعات كبيرة من الشباب المثقفين ذوي الخبرة اللازمة، وهؤلاء هم أنفسهم الذين ستقع على أكتفهم مسؤولية القيام بالإصلاح الإداري المطلوب، وعلى العموم فقد تمّ تشكيل مجلس اداري جديد وثوري، في كل وزارة وفي كل مؤسسة، وتنظيم تابع للدولة، وتتولى هذه المجالس مهمة تعديل الأساليب الإدارية ووضع الأسس المناسبة للعمل وإبعاد كلا لزيادات التي لا لزوم لها وإزالة كل أنواع الروتين الموجود واختيار القواعد اللازمة للأعمال الإدارية بشكل يتمشى مع التغيرات الثورية التي حدثت في كافة القطاعات الأخرى، وبدون شك فإن هذه المجالس قد بذلت جهوداً جبّارة في هذا المجال، فخففت كثيراً من تعقيد المعاملات وأوجدت وسائل سهلة للمعاملات وخفّفت من المركزية الشديدة ووزعت الصلاحيات بين الدوائر على أحدث الأساليب المعروفة في العالم المتقدم. إلّا أننا في الأعوام التالية ما بين

(١٩٧٥-١٩٧٨)، كان علينا أن ندرك أن البيروقراطية الموجودة ما زالت تقاوم محاولاتنا الإصلاحية على كافة الجبهات، وكانت هذه المقاومة تأخذ شكلاً عدائيًّا في بعض الأحيان، وتأخذ شكل المدافع عن العادات والتقاليد في أحيان أخرى، وكنا عام ١٩٥٩م أنشأنا منظمة خاصة بالمراقبة الإمبراطورية. وهي الترجمة الحديثة لما كان يعرف بالقديم «بعيون وآذان الملك» وهذه المنظمة عبارة عن مجموعة من الأشخاص يتم اختيارهم نظراً لأنهم يتمتعون بصفات الشرف والأمانة والشجاعة والإخلاص، وتكون مهمتهم متعلقة مباشرة بي، يذهبون متجوّلين في جميع القطاعات الحكومية لمراقبة كل الأعمال المتوقفة والمعطلة أو الأعمال التي تسير بشكل جيد، وان من حق كل مواطن إيراني أن يكتب لهذه المنظمة يشكو لها سوء الحق به أو معاملة قدمها لا تلقي العناية اللازمة، وكان علينا في نفس الوقت أن نصارع الوقت الذي يدركنا وأن نأمن من الفشل في كل الخطوات التي نتخدها في مجال الإصلاح الإداري لأن مثل ذلك الفشل سيكون له عواقب وخيمة.

■ حقوق النساء:

لا شك في أن كل عمل يستهدف البناء المادي والروحي في عملية التقدم الذي سارت إيران فيه، يستوجب أن يتقاسم فيه الشعب الإيراني بجميع فئاته المسؤوليات الأخلاقية والمادية بشكل متساوي وذلك بالإضافة إلى التأكيد دائماً على أهمية الدور الذي تقوم به الأم في المجتمع الإسلامي الذي نعيش فيه، ولا شك أيضاً أن العدالة تقضي بأن تحصل النساء على حقوقهم السياسية مثل الرجال تماماً، وهذا ما نصّت عليه اللوائح التي وضعتها الثورة البيضاء التي أصلحت القوانين الانتخابية.

وقد نصّت المادة العاشرة من هذا القانون على ما يلي: الذين لا

يتمتعون بحق الانتخاب: النساء اللواتي لم يبلغن السن القانونية أو ليست لديهم الأهلية القانونية أو اللواتي ما زلن تحت الوصاية أو اللواتي لا يكسبن حياتهن بوسائل شريفة والمجرمات والسارقات وكل واحدة خرقت القوانية الإسلامية. وعلى العموم فإن حقوق المرأة في القرآن الكريم أعظم بكثير مما كانوا يقولونه لنا. وعلى سبيل المثال فإن الإسلام سمح للمرأة بأن تستثمر ثروتها الخاصة بنفسها كما أن الإسلام وضع للمرأة مكانة لائقة في المجتمع الإسلامي. وبالنسبة لنا نحن الإيرانيين الذين ورثنا حضارة عظيمة وثقافة كبيرة لم نكن نعتبر المرأة كشيء مهمل لا يتمتع بالكفاءات اللازمة ليشارك في الحياة، وان الدين الفارسي القديم يسمح للمرأة باستثمار أموالها ويعطيها الحق بمقاضاة زوجها وأن تكون وصية على أولادها وأن تكون قاضية أو حاكمة، وأن تشغل منصباً دينيًّا بجوار الكهنة، ولذلك فإنني كنت أنتظر الوقت الملائم لكي أعيد لنصف الشعب الإيراني (وهو النساء) حقوقه التي نزعت عنه بالنظر لأن العادات والتقاليد نزعت عن للنساء كل أهلية للمشاركة في الحياة الحديثة النظامية.

■ نسي الناس كلمات علي:

والحقيقة أنني لم أعتقد أبداً بصدق من يقول بأن المرأة ليست أكثر من شيطان عندما يرى الناس ذراعها أو وجهها، أو إذا مارست هواية السباحة أو التزلج أو لعبت بعض أنواع الألعاب الرياضية، وإذا كانت بعض النساء لا تزال ترغب في الحجاب فإن من الطبيعي أن لا يمنعها أحد عن ذلك الأمر. ولكنني لم أكن أفهم لماذا نمنع نصف شبابنا من ممارسة الرياضة والاستفادة منها. ولا شك في أن بناءنا للملاعب والمسابح وغيرها أمر لا يبعدنا عن بناء المستشفيات وهي كلها متعلقة بصحة المواطنين التي هي عندنا أثمن شيء في البلاد، ولا شك أيضاً أن

من العسير على امرأة ما زالت تحتفظ بالحجاب الإيراني السميك أن تقود سيارتها وأن تعمل داخل أحد المكاتب أو أن تمارس مهنة حرة أخرى أن تكون طبيبة أو مهندسة أو محامية إلخ. . .، وقد مارست المرأة الإيرانية خلال خمس عشرة سنة كثيراً من الوظائف العامة وكان عندنا وزيرات واحتللن مناصب إدارية وسياسية عالية فكان منهن قاضيات وأساتذة جامعيات ومستشارات قانونيات وغير ذلك، ما دخلن عالم الصناعة إلا وأثبتن جدارتهن فيه، ولعبت النساء الإيرانيات أيضاً دوراً كبيراً في المعركة التي خضناها ضد الجهل وضد الأمراض، وكل ذلك كان بعض رجال الدين يعتبرونه مستحيلاً. وأنا لا أفهم حتى الآن كيف يمكن لأمة أن تتقدم في مدارج النمو وأن تحقق التطوّر الذي يضعها في مصاف الدول المتحضرة، في الوقت الذي يكون فيه نصف شعبها، ليس محروماً فقط من حق الحصول على العلم والمعرفة وتحمل المسؤولية الكاملة في قيادة البلاد، بل أن يكون نصف شعبها مطالباً بالإضافة إلى كل ذلك، بالبقاء في العصور السحيقة الماضية، وعندما تعرضت البلاد عام ١٩٦٣م إلى الاضطرابات السوداء، حيث تحالف رجال الدين المتعصبين مع الحركات اليسارية التي كانت تطالب بإسقاطي، كنت أعلم أن اعطاء النساء حقوقهن المغبونة أمر ليس سهلاً على الإطلاق، بل أنه سيجرنا إلى كثير من المتاعب والمشاكل مع فئات عديدة من البلاد، وقد صمدنا في هذه الحوادث مثلما صمدنا في عملية البناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي للبلاد وحصلت إيران على مكانتها بين أكثر الدول تقدماً.

الفصل السابع عشر

أعلنت الحرب على الرشاوي والفساد في البلاد بعض الأئمة كانوا يفسرون التعاليم الإسلامية وفقاً لمصالحهم(*) الشخصية

«ربّوا أولادكم بما يتناسب مع عصركم». نعم، هكذا قال الإمام علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) في ما يتعلق بتربية الأولاد، وهذا ما حاول بعض رجال الدين أن يتجاهلوه. والواقع أن الإجراءات التي اتخذناها في مجال منح الحقوق العامة للنساء، قد حازت على قبول عدد كبير من رجال الدين في إيران الذين مدّوا أيديهم وساعدونا في كثير من الأمور، إلّا أن قسماً منهم كان يعارض مثل هذه الخطوات التقدمية ورفض كل ما علمناه، ولكن لم تكن هناك أية معارضة رسمية. وهل يجب أن نتذكر هنا ما قاله الدستور أن الملك هو الذي يشرف على أمور الدين (الشيعي) المنبثق عن الأئمة (١٢). وأنا أريد أن أوضح هنا فقط أنه يوجد قسم كبير. من رجال الدين لا يشاطرون وجهات النظر التي تصدر عن مدينة (قم)، وتتبع معتقداتهم في مجال التربية إلى تعاليم الإمام علي (رضي الله عنه) الذي قال: ربّوا أولادكم بما يتناسب مع عصركم.

■ العدالة أساس الإسلام:

في الحقيقة إنني طيلة حياتي لم أكن انقطع لحظة واحدة عن الدفاع

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٣٠، التاريخ ٢٩/١/١٩٨٠م، ص١٦.

عن ديننا وخاصة في الأوقات التي نكون فيها البلاد معرضة لبعض حركات العصيان أو تكون مهدّدة بالاحتجاج من قبل المذاهب المادية المختلفة. وذلك في الوقت الذي لم تكن فيه الماركسية - الإسلامية، كما يقولون عنها، قد نشبت أظافرها في ديننا. وقد سبق أن قلت في عدّة مناسبات أن ثقافتي وتربيتي الدينية كانت تستند بالدرجة الأولى على الاعتقاد بأن بعض أئمتنا يستغلون صلتهم بالدين لتحقيق المكاسب الدنيوية، وبأنهم يفسرون تعاليم القرآن بصورة تختلف وفق مصالحهم ووفق الوقت والمحيط الذي يعيشون به، ولكن مهما بلغت مهارتهم في التزييف فإنهم لا يستطيعون أن يدمجوا الدين الإسلامي بالتعاليم الشيوعية والماركسية ولا بدكتاتورية البروليتاريا ونظام الزعامة الدكتاتورية الدينية، إن القرآن بدون شك يحارب الحقد والجرائم والانتقام والسرقة والاحتيال وضد كل ما من شأنه أن يتعارض مع القانون الذي يغتصب في إيران منذ عام ١٩٧٩ عندما تركت البلاد التي غرقت في ظلام العنف، إنني أعتقد أن العدالة هي روح الإسلام نفسه وهذا ما حاولت تطبيقه في بلادي من خلال الثورة البيضاء التي أعلنتها والتي تناولت جميع القطاعات والتي حاولت فيها توزيع خبرات البلاد والثروة على كافة فئات الشعب.

■ الإيمان الحقيقي:

بالنسبة لي، فأنا أعتقد أن الإيمان الديني هو روح وجوهر الحياة الروحية لكل التجمعات السكانية والتعاونيات، وبدون ذلك فإن كل المجتمعات وحتى أكثرها تقدماً وتطوراً لا بد أن تنهار وتنقلب. إن الإيمان الحقيقي هو الضمان الوحيد للصحة الأخلاقية وللقوة الروحية، لأنها تمثّل بالنسبة للإنسان حماية عليا ضد مشاكل الحياة، وتعتبر بالنسبة للشعوب الحارس الأكثر قوة في النواحي الروحية، وقد أتيحت لشعبنا

الفرصة أن يعيش تحت رعاية المبادئ الدينية الأكثر تقدماً، وهي المبادئ الإسلامية التي تتلائم مع كل زمان ومكان وتضع المبادئ التي يمكن أن تطبق كل التيارات الدينية والاجتماعية، كما استقبلنا في بلادنا عدداً كبيراً من المضطهدين في بلادهم، لأننا كنا نبدي الاحترام الكافي لكل من يريد العيش في بلادنا ويصبح عضواً نافعاً في مجتمعنا، فاحترمنا جميع الأديان والمعتقدات وأفسحنا لها المجال اللازم للممارسة بالحرية المناسبة.

■ الحرب ضد التضخم وارتفاع الأسعار:

كان من المبادىء الرئيسية التي قامت عليها الثورة البيضاء البند رقم (١٤) الذي صدر في أغسطس عام ١٩٧٥م والذي يتعلق بوجوب المحافظة على استقرار الأسعار وثباتها ومحاربة كل التضخم المصطنع الذي يحدث في بعض الأحيان من قبل عدد من المستغلين، وهذا يعني أنه كان علينا الدفاع باستمرار عن المستهلكين من المواطنين العاديين.

والحقيقة أن التضخم النقدي كان بنظري من أهم المشاكل التي تتعرض لها المجتمعات، وهذا ما عانت منه إيران بشكل جدّي، وقد لاحظت خلال السنوات الماضية كيف كانت نسبة التضخم تزيد وارتفاع الأسعار يتزايد باستمرار، بحيث كانت القوانين الموجودة عاجزة تماماً عن الوقوف في وجه هذا الارتفاع، فدرست كافة الإجراءات المتخذة في جميع الدول المتقدمة وقمنا بعد ذلك بإصدار الأنظمة التي تضع رقابة فعالة على التضخم وارتفاع الأسعار، وقد حققنا في هذا المجال نجاحاً لا بأس به وذلك عندما دلّت الإحصائيات على أن نسبة التضخم لم ترتفع في إيران ابتداء من عام ١٩٧٥م سوى بنسبة خمسة بالمائة. ولكن في عام ١٩٧٧م بدأت الأسعار الاستهلاكية تصعد مرة أخرى لأن الأنظمة والقوانين التي وضعناها لتثبيت الأسعار لم تحترم بشكل مناسب، الأمر

الذي دعانا إلى محاولة تشكيل تعاونيات تجارية خاصة باستيراد المواد الغذائية الرئيسية، واستعنا بعد ذلك بمجموعات من التلاميذ أوكلنا لهم مهمة الأسعار، وكان ذلك خطأً كبيراً من قبلنا، لأن الأسعار كانت تتزايد باستمرار وذلك بسبب جهل هؤلاء التلاميذ بالتجارة وبالأساليب الملتوية التي يلجأ إليها بعض التجار وأصحاب الفعاليات الاقتصادية، كما أن قسماً كبيراً من هؤلاء الطلاب كان يحمل أفكار ماركسية ويسعى دائماً لأحداث تخريب في البرامج الاقتصادية التي وضعناها، وقد أدى ذلك إلى حدوث كثير من المشاكل في الأسواق، وخاصة في تجار المفرق الذين قاموا باحتجاجات ومظاهرات يطالبون فهيا بإيقاف العمل في البند رقم (١٤) من مبادئ الثورة البيضاء، وقد حاولنا بعد ذلك اصلاح الأوضاع واستطعنا الخروج من ذلك المأزق، وكانت النتائج التي حققناها ايجابية إلى حد ما.

■ **من أين لك هذا..؟**

لقد نصّت القرارات الاقتصادية التي أصدرتها عام ١٩٧٧م، والتي تكمل البند (١٤) على مجموعة من الإجراءات التي من شأنها أن تحمي مجتمعنا من شرور وأخطار كل أنواع الاحتكارات والرشاوى التي أوجدت تأثيرات ضارّة جدًّا في صفوف شعبنا، وقد جاء في القرارات الجديدة التي حملت الرقم (١٩) على أخبار الأشخاص الذين يحتلّون مناصب عالية في شتى المجالات سواء كانوا من الوزراء أو الحكام في الأقاليم والموظفين الكبار والمختارين إلخ... أن يصرحوا عن الثروات التي يملكونها، وممتلكات نسائهم وأولادهم، وهذه التصاريح تقدم على استمارات خاصة توزعها وزارة الخزانة، سواء كانت هذه الثروات عبارة عن نقود سائلة أو ممتلكات عقارية أو شركات تجارية أو صناعية إلخ، وعلى

هؤلاء المسؤولون أن يقدموا مثل هذه التصاريح كل عام إلى أن يخرجوا من وظيفتهم، وبالطبع فإن هذه التدابير لن تخيف الموظفين وكبار المسؤولين الذين يحصلون على نقودهم بالطرق الشريفة ويدفعون الضرائب المتوجبة عليهم، والذين استطاعوا الحصول على ثرواتهم بواسطة الجهود التي بذلوها وبواسطة عبقريتهم ومهارتهم في العمل وعلى العكس فإن كل الأشخاص المنحرفين سيخافون من القانون المذكور ويحاولون التهرب منه بشتى الوسائل. وهذا هو برأيي المثال الأعلى للديمقراطية الحقيقية، وهذه هي المبادئ الصحيحة لثورتنا المبنينة على المساواة والعدالة وعلى سيادة القانون والتي تحدّد لكل شخص ما له من حقوق وما عليه من واجبات، وهذا برأيي الأمر الذي يكفل السلام والأمن والطمأنينة للمواطنين في كافة أنحاء الوطن، ولا شك في التطبيق السليم للمادة (١٩) الجديدة يجب كما اعتقد، أن ينظف الأوساط الخاصة بكبار المسؤولين والموظفين، ويقدم للدولة خلفية أخلاقية واسعة جدًّا، وعلى المدى الطويل يمكن أن نتوصل في النهاية إلى القضاء بصورة نهائية على الرشوة والفساد في جميع القطاعات التابعة للدولة.

■ **لا رشاوى بدون مرتشين:**

والحقيقة أنه مهما كانت نوعية المجتمعات، فلا بد أن يكون هناك بعض عمليات الرشوة والفساد، وأود هنا أن أذكر ملاحظة بسيطة وهي أنه لا توجد رشاوى بدون مرتشين ولا فساد بدون فاسدين، وبعد كل الإجراءات التي اتخذناها في هذا المجال تبيّن لنا أن جميع العمليات المتعلقة بهذه الرشاوى كانت تأتي من الخارج وأن الإيرانيين لوحدهم لم يكونوا ليستطيعون إجراء مثل هذه اللعبات، وقد أيقنت تماماً أن من

خلال الأعمال الاقتصادية العامة لم نجد أية عملية تجارية فاسدة، وقد سارعت إلى وضع مجموعة من القواعد القاسية التي تحدّد شروطاً شديدة من أجل الاستيراد من الخارج أو تقديم العروض من الشركات العالمية الكبرى، وذلك على أساس عدم استعدادنا في إيران على قبول أية عروض من هذا النوع إلّا إذا كان المستحيل وجوده في الأسواق الإيرانية، ووضعت قيوداً شديدة أيضاً على الوساطات المتعلقة بصفات الأسلحة التي تقدم إلينا، وبطريقة أو بأخرى كان علينا أن نقضي على دور الوسيط الذي يكون في معظم الأحيان سبباً في حدوث عمليات الرشوة والفساد في مثل هذه الصفقات.

الفصل الثامن عشر

عودة إلى الماركسية - الإسلامية(*)

كيف نشأت مؤسسة بهلوي الاقتصادية

وأين ذهبت أموالي الخاصة؟

■ **مؤسسة بهلوي التجارية وثروتي الشخصية:**

لأن المثال يجب أن يأتي من الأشخاص الذين يحتلّون مناصب أعلى وقد تكلمت على أمور كثيرة تتعلق بالمؤسسات الاقتصادية، لذلك فقد بقي عليّ أن أتكلم عن مؤسسة بهلوي الاقتصادية وعن ثروتي الشخصية التي تحدثت عنها الصحف الأميركية ووصفتها بأنها هائلة ولا يمكن تقديرها، والواقع أن هذه الصحف كانت غير دقيقة في مصادرها وبالغت كثيراً كعادتها لأن ثروتي لم تكن على هذا الشكل من الضخامة.

في عام ١٩٥٨م أنشأت مؤسسة بهلوي ورسمت لها منذ ذلك الحين دوراً اجتماعيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا هامًّا، وبموجب قرار رسمي صدر عام ١٩٦١م أعطيتها بناء إداري والوسائل المادية اللازمة لملء المهمة التي يجب أن تقوم بها هذه المؤسسة، وقد كان رأس المال الذي وفرته لها عبارة عن أموال شخصية، أراضي، بنايات، فنادق وبعض النشاطات الصناعية من بينها بنك عمران وشركة التأمين (ملي). وبالرغم من كوني رئيساً فخريًّا فقد تركت إدارة المؤسسة إلى مدير عام ومجلس إدارة كامل

(*) صحيفة الرأي الكويتية، العدد ٥٨٣١، التاريخ ٣٠/ ١/ ١٩٨٠م، ص١٦.

يعمل تحت إشراف ورقابة لجنة خاصة برئاسة رئيس الحكومة وعضوية رؤساء مجلسي الشيوخ والنواب والمحكمة العليا وأربع شخصيات يتم اختيارهم بسبب مؤهلاتهم الأخلاقية والدينية المرتفعة، وفي كل عام يدرس هذا المجلس تقريراً شاملاً عن أعمال المؤسسة والموازنة السنوية وينشر كل ذلك في الصحف الإيرانية الرئيسية.

■ خدمات عامة للمؤسسة:

والحقيقة أن مؤسسة بهلوي تميّزت بقيامها بدور واسع في كافة نواحي الحياة في إيران، وامتدّت أكثر ما يمكن في القطاع الثقافي والتربوي وقد صبّت نشاطها على الشباب والطلاب وخاصة الجامعيون منهم وقدمت لهم كثيراً من المساعدات والمنح الدراسية، ويبدو هذا واضحاً إذا علمنا أن في بداية عام ١٩٧٧م أن حوالى (١٣) ألف طالب من العائلات البسيطة استلموا منح دراسية تسمح لهم بمتابعة دراستهم سواء كان ذلك في إيران أو في الخارج وقد امتد نشاط المؤسسة إلى الولايات المتحدة حيث أصبحت تملك في نيويورك بناية كبيرة كان يسكن في قسم منها الطلاب الذين يتعلمون في الولايات المتحدة. ومن فروع المؤسسة نجد داراً للنشر والترجمة وإصدار الكتب وكان لهذه الدار دور هام في نشاطات مؤسسة بهلوي، وفي عام ١٩٧٧م نشرت هذه الدار أكثر من (٥٠٠) مؤلف من العلوم الاجتماعية والدينية والتاريخ والشعر إلخ...، وكان لها فضل كبير في نشر الثقافة الإيرانية خارج البلاد وفي آثاره انتباه الأوساط الأدبية العالمية إلى الإنتاج الإيراني في مختلف المجالات، ولذلك فإن كثيراً من الكتب الأدبية التي نشرناها نفذت من الأسواق، وفي بداية كل سنة إيرانية جديدة كنت أقوم بتوزيع الشهادات على المؤلفين والمترجمين الذين يفوزون في مسابقة أحسن كتاب،

بموجب الاختبار الذي تقوم به لجنة مؤلفة من عدد من الأساتذة الجامعيين الكبار، وفي نفس التاريخ كانت لجنة أخرى تختار مجموعة من الطلاب الذين ينتمون إلى عائلات بسيطة وفقيرة ومن الأوائل في مدارسهم الابتدائية والثانوية للحصول على الجوائز المناسبة مادية كانت أو معنوية أو على شكل منحات دراسية، ومن ناحية أخرى فإن مؤسسة بهلوي كانت تقدم في معظم الأحيان خدمات عامة عديدة كإصلاح المساجد القديمة وتأثيثها ووضع تدفئة مركزية فيها وايصال التيار الكهربائي إليها، وكانت ترعى عدداً كبيراً من الطلاب الذين يدرسون الفقه الإسلامي وخاصة منهم الذين يوجدون في مدينة (قم)، وقد نشرت المؤسسة أعداداً كبيرة من المؤلفات الدينية والكتيبات وأغنت المكتبة الإسلامية بعشرات من أثمن هذه المؤلفات وأنا متأكد تماماً بأن المواطنين لن ينسوا على الإطلاق المنجزات على الصعيد الديني. وأضيف هنا أن كثير من الأعمال الخيرية التي كانت تقوم بها الإمبراطورة كانت تمول بطبيعة الأمر بمساعدة المؤسسة، وأحد أهم المشاريع العامة التي تمّ تنفيذها على هذا الصعيد بناء ستة آلاف شقة لتأجيرها إلى المواطنين بسعر معقول وذلك لكبر حدّة ارتفاع ايجار المساكن الذي وصل عام ١٩٧٧م إلى حوالى خمسة آلاف فرنك كل شهر للشقة التي تتألف من ثلاث أو أربع غرف، بواسطة توفير (٦) آلاف شقة دفعة واحدة من الشقق الرخيصة فقد أعطى ذلك تأثيراً جيداً على ايجار الشقق بشكل عام في إيران.

■ ثروتي الشخصية:

كان هذا في ما يتعلق بمؤسسة بهلوي، أما بالنسبة لثروتي الشخصية فإنني أقول بصراحة أنني لم أحصل من وراء هذه المؤسسة على أية منفعة مادية أو معنوية بل على العكس فقد أصدرت في شهر نوفمبر من عام

١٩٧٨م قراراً بتحويل كل ما بقي من ثروتي الموجودة في إيران إلى مؤسسة بهلوي، فهل كان ذلك قراراً صحيحاً؟ وهل كان الوقت الذي صدر فيه هذا القرار وقتاً سليماً؟ إنني لا أعلم جواب هذين السؤالين إطلاقاً وقد قمت بهذه الخطوة عن اقتناع تام دون أن اهتم إذا كان توقيتها سليماً أم لا، وأنا الآن لا يحق لي أن أشعر بأي أسف أو ندم على قيامي بتحويل كل أملاكي إلى مؤسسة بهلوي. لقد قدمت المؤسسة وقدمت أنا من أموالي الخاصة مساعدات كثيرة لأعداد كبيرة من المواطنين، وأتساءل الآن هل يمكن أن يقوم الذين استلموا السلطة في إيران الآن بمثل ما قمنا به؟ هل يمكن أن يقوموا بتمويل دراسة مجموعة كبيرة من الطلاب الإيرانيين في الخارج، وإذا قيض لي ذات يوم أن أعود إلى إيران فإنني سأغير مجرى حياتي، وأعتقد بأنني لو كنت ما أزال مستلماً السلطة هناك فإنني كنت سأقوم بنفس العمل.

■ مسيرة نحو الحضارة الكبرى:

لقد انتقد الكثيرون الأعمال التي قمت بها من أجل إيران، ولكن قليلاً من هؤلاء تكلّف عناء تقييم النتائج التي حصلنا، وأقل منهم من خطر له أن يسأل: هل كانت إيران ستوجد أصلاً حتى الآن إذا لم يتخذ والدي وأنا مثل هذه الإجراءات منذ عام (١٩٤٥-١٩٤٦م)، حيث توصلنا إلى الحصول على استقلال إيران، وأكدنا وحدتها، ثم أنقذنا البلاد من الفوضى عام ١٩٥٣م، وبعد ذلك أعدنا النظام إلى الاقتصاد الإيراني، وخاصة في ما يتعلق بالأمور النفطية، وابتداء من عام ١٩٦٣م اتخذنا الخطوات اللازمة لوضع الشعب الإيراني على عتبة المسيرة نحو التنمية ونحو الحضارة.

(نحو الحضارة الكبرى) كان ذلك هو عنوان الكتاب الذي نشرته عام

١٩٧٨م أثناء الاحتفالات التي جرت بمناسبة العيد المئوي لتنصيب شاه رضا الكبير، **وفي هذا الكتاب هاجمت الإرهابيين من جهة والجهات التي توصف عادة بأنها ضد ارهابية لأن أساليبها السلبية لا تقل ضرراً عن الأساليب الإرهابية**، وكان عندي يقين كامل بأن الإرهابيين وضد الإرهابيين يعملون من أجل تحقيق هدف واحد هو تحطيم كافة البرامج التنموية التي رسمناها، وتدمير المجتمع الإيراني بكامله، وهذا هو بالضبط الهدف الذي يفسر إيجاد النظرية التي أطلق عليها اسم الماركسية الإسلامية، إنه الرغبة في التدمير فقط، ولا أعتقد أنه يمكن لأي مسلم ذي ايمان صحيح أن يقبل بوجود صلة بين الماركسية بكل ما تعنيه من ماديتها ومحاربتها للأديان والمعتقدات وبين الدين الإسلامي بتعاليمه الروحية وعظمته الفكرية، والحمد لله، أنه من بين الأئمة كان يوجد عدد كبير لا يحملون أية صفة سياسية ولا يريدون في حياتهم سوى خدمة الإله فقط وتغذية النفس البشرية حتى تصل إلى مرحلة الإيمان الكامل بالله الخالق الأعظم، وأنا أتساءل الآن أين أصبح هؤلاء وماذا كان مصير أولئك الذين رفضوا قيام ذلك التحالف المشبوه، وماذا كان موقف الشبيبة الثورية منهم، وكم واحد منهم وقف أمام تلك المحاكم التي أطلق عليها اسم المحاكم الإسلامية والإسلام بريء منها بسبب الوحشية والقسوة التي سادت فيها القضاء وسادية الذين كانوا يفصلون في الأمور ويحكمون بالإذاعة باسم الإله وباسم الثورة.

■ الماركسية الإسلامية:

هل يمكن لأحد أن يقول لي كيف نستطيع أن نوفق في الثورة ما بين الفلسفة الماركسية القائمة على البروليتاريا وبين الفلسفة الإسلامية؟ كيف يمكن أن نوفق بين كلام النبي (ﷺ) وفلسفته وبين تلك الفلسفات المشوشة

التي تستند بالأساس على تحطيم القيم الروحية والاجتماعية في الإنسان، وقد كان لنا أن نختار بين طريقين، فاخترت الطريق الأعلى ولو كان بعيداً، لقد رفضوا الآن في في إيران كل الأنظمة والقواعد التي تعذبنا كثيراً في وضعها من أجل بناء المواطن والإنسان في المجتمع الإيراني، وفضّلوا السير مع التعاليم الماركسية جنباً إلى جنب في بناء المجتمع، ولا شك في أنهم سيجدون أنفسهم في النهاية معزولين عن كل شيء في الوطن في مواجهة المد الماركسي الرهيب ويومها سوف لا يجدون من يدافع عنهم.

الفصل التاسع عشر

الجيش الإمبراطوري أنشأناه لحماية أمننا والسلام

هذه كانت نواياي ولما عرفوها أسقطوني(*)

■ **الجيش الإيراني:**

كنت دائماً أكرر، وفي شتى المناسبات أننا لا نحمل أية أفكار توسعية ولا نطالب بأية أراضي بدولة أخرى، ولا نريد أن نفرض على أحد أفكارنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكانت المواقف التي يتخذها ممثلونا في الأمم المتحدة ومختلف المنظمات الدولية تتصف دائماً بالاعتدال وتسعى نحو السلام، ذلك السلام الذي نرغب فيه بقوة ليس من أجلنا فقط بل من أجل الآخرين، وفي نفس الوقت فإننا من خلال سعينا نحو الاستقلال والسيادة لوطننا كان علينا أن نعتمد على الوسيلة الفعّالة التي ستضمن لنا ذلك، وهذه الوسيلة هي الجيش، وكنت أريد دائماً أن يصل جيشنا إلى المستوى الذي نستطيع أن نضمن فيه أمننا في ذلك الجزء من العالم، ونواياي في هذا الشأن لم تكن في يوم من الأيام سرية، بل على العكس كانت معروفة من الجميع، وأستطيع أن أقول أنه من الممكن أن تكون هذه المعرفة سبباً رئيسيًّا من أسباب سقوطي، وكنت قد أعددت برنامجاً واسعاً لتنمية الجيش الإيراني

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٣٢، التاريخ ٣١/ ١/ ١٩٨٠م، ص١٦.

وتقويته، وكانت هذه الخطة ستنتهي عام ١٩٨٢م بحيث تكون قوة الجيش موزعة على الشكل التالي:

■ **الدبابات:**

في عام ١٩٨٠م سيكون لدينا مجموعة كبيرة من الدبابات مختلفة الأنواع والأحجام وتتألف من:

١ • (١٥٠٠) دبابة من نوع «أسد إيران» وهي دبابة صممت خصيصاً لإيران من قبل مجموعة من أمهر المهندسين البريطانيين، وتعادل من ناحية الكفاءة والقدرة القتالية، إن لم تتفوق على كل أنواع الدبابات الأخرى بسبب محركها الجديد ومدفعها من عيار (١٢٠ ملم)، والمدفع الثاني الذي يشمل أشعة ليزر بالإضافة إلى نوع المعدن المستعمل في عملية تصفيح الدبابة.

٢ • (٨٠٠) دبابة من نوع تشيفتين، ذات محركٍ متطوّر وتتميّز بتسليح جديد مشابه لتسليح الدبابات السابقة.

٣ • (٤٦٠) دبابة من نوع (م-٦٠) من إنتاج الولايات المتحدة، مزوّدة بمدفع عيار (١٠٥ ملم) ومنظار يستعمل الأشعة فوق البنفسجية للاستعمال في الليل.

٤ • ٤٠٠ دبابة من نوع (م-٤٧) مجدّدة ومن إنتاج أميركي مزوّدة بمدفع عيار (٩٠ ملم) ويمكن أن يستبدل بمدفع عيار (١٠٥ ملم).

٥ • (٢٥٠) دبابة من نوع سكوربيون للاستكشاف، وهناك دفعة أخرى من هذه الدبابات كانت ستطلب بموجب صفقة معيّنة. وبالإضافة إلى ذلك كانت ستتوفر عندنا عدّة آلاف من ناقلات الجنود المدرعة، كما أننا أوصينا على حوالى (٢٠٠٠) ناقلة جنود مدرعة أخرى من النوع الروسي، ومعظم هذه الناقلات مزوّدة

بمدفع عيار (٧٣ملم) وبصواريخ ضد الدبابات وهي من أحسن الأنواع الموجودة في جميع أنحاء العالم.

■ المدفعية:

بشكل رئيسي، فإن فصائلنا المدفعية، كان مقرراً لها أن تعادل من ناحية القوة وكثافة النيران استطاعة وقوة وكثافة المدفعية الموجودة لدى قوات حلف الأطلسي، وكانت مصانع الأسلحة الموجودة عندنا في إيران تنتج بشكل مكثف أعداداً كبيرة من مدافع (١٠٥ملم)، و(١٥٠ملم)، وهناك مجال لإنتاج مدافع أضخم من ذلك أيضاً.

■ الطائرات:

في عام ١٩٨٢م كان سيتوفر لدى الجيش الإيراني مجموعة كبيرة من الطائرات مختلفة الصنع والأحجام والقوة وتشمل ما يلي:

- ١ (٧٨) طائرة من نوع (ف-١٤) مزوّدة بصواريخ (فونيكس) ذات مدى يصل إلى (٩٠) ميلاً ومزوّدة أيضاً برادار يستطيع أن يستكشف مساحة تزيد على (١٥٠) ميلاً مربعاً وتستطيع إطلاق ستة صواريخ في وقت واحد وعلى ستة أهداف مختلفة الاتجاهات.
- ٢ (٢٥٠) طائرة من نوع فانتوم مجدّدة معدّلة بصورة منتظمة، وأكثرها قدماً مزوّدة بقنابل إشعاعية من نوع (ليزر)، والأكثر حداثة من بينها مزوّدة بجهاز يُدعى (العلبة السوداء) الذي يستطيع بسهولة أن يحوّل مجرى الصواريخ العدوة ويعيدها إلى قواعدها.
- ٣ أكثر من (١٠٠) طائرة من نوع (ف-٥ اي).

- ٤ حوالى مائة طائرة من نوع (ف-١٤) أو (ف-١٥) ويتعلق ذلك بالقرار الذي ستخذه المسؤولون في الولايات المتحدة من صناعة الطائرات في ما إذا كان سيصنعون هذا النوع أو ذاك.
- ٥ (١٦٠) طائرة من نوع (ف-١٦) تعاقدنا على شرائها، وكنا نفاوض لشراء دفعة أخرى من هذا النوع من الطائرات الحديثة والمتطوّرة وتبلغ (١٤٠) طائرة.
- ٦ سبعة أجهزة رادار طائرة تملك القدرة على الوصول إلى ارتفاع (١٣٥) ألف قدم وتستطيع هذه الأجهزة كشف كل التفاصيل الدقيقة التي نريدها عن قوة العدو وتسليحه والتجسّس عليه.
- ٧ ٢٤ طائرة ناقلة للنفط من طراز (بوينغ- ٧٤٧) العملاقة ومن طراز (٧٠٧)، وقد طلبت تطوير هذه الناقلات بشكل ينسجم مع الخطط الموضوعة في مختلف النواحي العسكرية وتستطيع هذه الطائرات البقاء في الجو مدة طويلة جدًّا، وكنا سنتفاوض على عقد صفقة أخرى من هذه الطائرات نشتري فيها حوالى (١٢) طائرة جديدة.
- ٨ (٥٧) طائرة ضخمة ناقلة للجنود من طراز (هيركول سي - ١٣٠) متطوّرة.
- ٩ عدّة مئات من طائرات الهيلكوبتر، وقد تمكنا من انشاء مصنع خاص لإنشاء المصنع أن يؤمن لنا أسطولاً كبيراً من طائرات الهيلكوبتر التي تتفوّق على مثيلاتها من الطائرات الموجودة لدى أية دولة أوروبية غربية مشتركة في منظمة حلف الأطلسي.

ومن ناحية أخرى فقد كان لدينا عدد من المصانع تعمل لتأمين الدفاع الوطني وكانت على استعداد دائم لصنع الصواريخ ذات الأنواع التالية:

- ١ صواريخ أرض - جو من نوع سام - (٧) سوفياتية الصنع.
- ٢ صواريخ أرض - جو من نوع (مافريك) اميركية الصنع ذات رأس مزوّد بجهاز تلفزيوني دقيق وحساس إلى درجة كبيرة ومدى هذا الجهاز منطقة مساحتها (١٢) ميلاً مربعاً، وان المصنع الخاص بها موجوداً في منطقة واقعة قرب مدينة شيراز وقد علمت في ما بعد أنه قد تهدم خلال الأحداث الأخيرة.
- ٣ صواريخ مضادة للدبابات من نوع (تاو) أميركي الصنع، وكنت أفر بتحويله من صاروخ عادي إلى صاروخ (سوبر سونيك) يعمل بواسطة أشعة الليزر.
- ٤ صواريخ ضد الدبابات من صنع روسي.
- ٥ قاذفات صواريخ من نوع دراغون أميركية الصنع وتتميز بفاعلية مزدوجة عن العادية لأن مداها يصل إلى ألف متر بدلاً من (٥٠٠م) وحتى عام ١٩٧٩م كان لدينا ثلاثة مطارات عسكرية كبيرة، وكنا نخطّط في عام ١٩٨٢م لأن يتوفر لدينا خمسة مطارات.

■ **البحرية:**

كان مقرراً أن يتوفر لدى سلاح البحرية الإيراني الأنواع التالية من السفن البحرية المختلفة:

- ١ أربع بوارج ذات حمولة (٨) آلاف طن قاذفة للصواريخ (بحر - جو) من نوع ستاندارد، ذات سرعة تبلغ ٣ أضعاف سرعة الصوت، وصواريخ (بحر - بحر) من نوع (هاربون) ذات سرعة تقارب سرعة الصوت وتتميّز بأنها تصل لمدى (٩٠ كلم)، وقد تمّ تطويرها لتصل إلى مدى (١٥٠) كيلومتراً بفضل امكانية نقلها

بواسطة طائرات الهيلكوبتر، وكنا نسعى أيضاً إلى تطوير هذه الصوايخ لكي تصبح سرعتها أكثر من سرعة الصوت وتحويلها أيضاً إلى صواري تصل إلى الأعماق.

٢ • (١٢) مدمرة ذات حمولة (٣) آلاف طن مسلحة بصوارخ (هاربون) (وستاندارد) أيضاً طلبناها من المانيا ومن هولندا.

٣ • (١٢) سفينة فرنسية الصنع من طراز (مومباتون).

٤ • (٣) غواصات اميركية الصنع تعاقدنا على شرائها فعلاً.

٥ • (٩) غواصات كنا سنتعاقد على شرائها مع أحد الدول الأوروبية، وعلى الأغلب مع ألمانيا الغربية.

٦ • خمسون طائرة هيلكوبتر بحرية.

٧ • أسطول ضخم من ناقلات الجنود، ومن السفن الناقلة للنفط والسفن الناقلة للمدافع والدبابات والعربات المدرعة وغيرها.

٨ • طائرات الاستكشاف ذات مدى وفاعلية كبيرة يمكن اطلاقها من السفن الحربية وكذلك من القواعد البرية.

والواقع أن هذه السفن الحربية لم تكن كافية لتؤمن الحماية والأمن في منطقة الخليج فقط بل كانت تستطيع تأمين منطقة المحيط الهندي بكاملها. . .

■ الجيش والقواعد البرية:

كان مقرراً أن يرتفع دد أفراد القوات البرية العاملة لكي يصبح عام ١٩٨٢م إلى (٧٦٠) ألف جندي في حين كان لدينا عام ١٩٧٩م - (٥٤٠) ألف جندي فقط.

وقد أثبت أكثر من مرة رغبتي القاطعة في الابتعاد دائماً عن امتلاك

الأسلحةالدولية، لأنني كنت على يقين تام أن جيشنا وقواتنا مختلفة الأنواع كانت ستصبح عام ١٩٨٢م معادلة من حيث الكفاءة والقدرة للدول الكبرى في العالم، وكان ذلك يكفينا ليس لحماية مصالحنا الحيوية في منطقة «الخليج العربي» فقط بل يكفي لتأمين السلام والاستقرار في منطقة المحيط الهندي بكاملها، وفي عدة مناسبات كان السفير الروسي يستغرب ويُصاب بالدهشة الكيرة عندما يعلم أن أجهزة الرادار الدقيقة الطائرة التي نملكها كانت تسمح لنا باستكشاف كافة المناطق المحيطة بنا من جهة الاتحاد السوفياتي وعلى مسافة (٥٠٠) كيلومتر داخل الأراضي السوفياتية، وقد كنت أرد على السفير السوفيتي بقولي أن الاتحاد السوفياتي يستطيع بواسطة أقماره الصناعية أن يكتشف بدورة كل ما يجري فوق الأراضي الإيرانية.

■ **اتهموني بالإسراف والتبذير:**

والحقيقة أن جهات كثيرة وجّهت لي يوماً انتقاداً كبيراً بعد أن كشفت خططي لتطوير الجيش الإيراني، واتهمتني بالإسراف والتبذير وبأنني أهدر أموالاً ضخمة على الدفاع الإيراني، وفي هذه الناحية فإنني أوضح وجهة نظري.

لنلاحظ في البداية عندما أنفقت على التسليح (١٢) مليار دولار من العائدات النفطية، فإنني كنت لا أستطيع إنفاقها داخل إيران على مصانعها أو على استيراد المنتجات بمختلف أنواعها. وكان يتوجب علينا لكي نتمكن من انشاء المصانع اللازمة لكل هذه الأنواع من الأسلحة يجب أن يتوفر لدينا المصانع والمواد الأولية والأجهزة وخاصة الفولاذ، وهذا لم يكن باستطاعتنا توفيره.

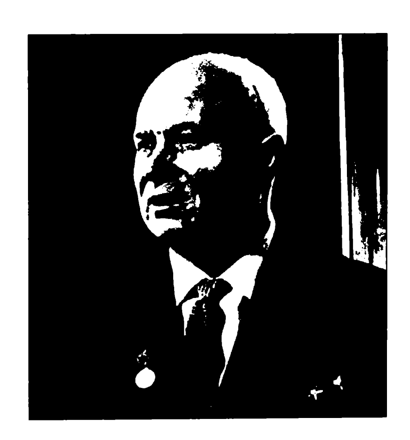
الفصل العشرون

قال لي خروتشوف: نستطيع محو انكلترا بست قنابل نووية(*)

حربنا مع العراق كان من أجل السلام

علاقات طيبة جدًّا تربطنا مع جيراننا في الخليج

في كافة الخطوات التي اتخذتها إيران في حقل السياسة الخارجية لا تجد أي تطلعات توسعية بل أنها تقوم على حفظ السلام مع الدول المجاورة في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم حيث تمثّل إيران المرتبة الأولى في الأهمية، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفسر علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي.



خروتشوف

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٣٣، التاريخ ٢/٢/١٩٨٠م، ص١٦.

ومع الدول الشرقية في أوروبا، حيث كان عليّ أن أعامل الدول المجاورة بنفس الاحترام الذي تعامل فيه إيران من قبلهم، وقد أخذنا استعدادنا في بلادنا بحيث أنه في الحالة المعاكسة حيث تحاول إحدى الدول التعرض لنا باعتداء فإن إيران تستطيع ابداء الكثير من المقاومة الفعّالة، وبهذه الروح استطعت أن أسوي بشكل مرضي ولصالح الشعب الإيراني والشعب السوفياتي كل المشاكل الحدودية التي كانت قائمة بيننا وبين الاتحاد السوفياتي مثل اتفاقنا حول نهر (أراكس) (٥٠٪) لنا و(٥٠٪) لهم، كما تقاسمنا الطاقة الكهربائية الناتجة عن هذا النهر على نفس الطريقة واستفدنا منه في الزراعة والري بنفس الشكل.

ومن ناحية أخرى فإن حجم تجاؤتنا مع الاتحاد السوفياتي يجعلنا في حكم الشركاء تقريباً، فنحن نقدم له الغاز، في حين أن الخبراء السوفيات يبنون لنا في أصفهان وبشروط مرضية جدًّا مصنعاً كبيراً للفولاذ، علماً بأن الأميركيين أيام ايزنهاور رفضوا انشاءه. وساعدنا الروس أيضاً في عمليات الكشف عن الثروات المعدنية كغازات الحديد ومناجم الفحم في شمال الصحراء وإلى الجنوب من خراسان، كما أن حجم الترانزيت كان يزداد باستمرار عن طريق البضائع التي كانت تصدر إلى إيران من أوروبا عن طريق الاتحاد السوفياتي، وبالإضافة إلى ذلك فإننا قد اشترينا من الاتحاد السوفياتي بمئات الملايين من الروبلات معدات حربية ممتازة وكنا نعد لعقد صفقات كبيرة في هذا المجال مع تشيكوسلوفاكيا، وفي ما يتعلق بدول أوروبا الشرقية فقد سرت على نفس المنهج معها، وكان لإيران علاقات صداقة وطيدة مع هذه البلاد، وكان لي علاقات طيبة مع قادتها وعلى الأخص الرئيس الروماني تشاوشيسكو الذي لم يغيّر موقفه منّي حتى بعد أن تركت الحكم في إيران، وأعتقد أنه رجل يتمتع بالقدرة والكفاءة ليفعل كل شيء في سبيل ضمان استقلال بلاده.

■ تركيا صديقة وحليفة:

كانت علاقاتنا مع تركيا بعيدة عن أية مشاكل منذ الزيارة التي قام بها والدي إلى الزعيم التركي الراحل كمال أتاتورك، وتميّزت هذه العلاقات بصداقة وتعاون وطيدين، وبالنسبة لإيران، يعتبر استقرار تركيا وأمنها أمراً ذا أهمية رئيسية، وأنا الآن أصلّي وأدعو الله من أن يمنح السعادة لهذا الشعب الصديق، وكنا بالإضافة إلى ذلك حلفاء في معاهدة بغداد، وقد زرت موسكو بعد أن وقعت على هذه المعاهدة عام ١٩٥٦م، وقابلت خروتشوف الذي يظهر أنه لم يكن راضياً عنها وقال لي فور وصولي: إن حلف بغداد خطوة عدائية موجهة ضدنا، فأوضحت له أن المعاهدة تنص في أحد بنودها على ايجاد خط دفاعي يمرّ فوق قمم جبال (زاغروس) وسألته: أين توجد هذه الجبال في روسيا أم في إيران، فأجاب: في إيران، قلت: إذن هذه المعاهدة دفاعية بحتة، فقال لي: لا تعتمد كثيراً على حلف بغداد فأنت تعلم أننا نستطيع بسهولة أن نمسح انكلترا بكاملها بواسطة (٧) قنابل نووية ونمسح تركيا كلها أيضاً بواسطة ١٢ قنبلة نووية أخرى، وفي ما بعد.

قال خروتشوف أن حلف بغداد سينفجر مثل فقاعة من الصابون واليوم بعد (٢٥) عاماً من هذه المعاهدة يجب أن نعترف أن كلام خروتشوف كان صحيحاً.

■ معركة لأجل السلام مع العراق:

حول المؤتمر النفطي الشهير الذي عقد في الجزائر عام ١٩٧٥م أتيحت لي الفرصة بأن التقي وأتحدث طويلاً مع الرئيس العراقي صدام حسين، وقد كنا على اتفاق تام بأن العلاقات القديمة بيننا يجب أن تزول، ومن أجل برهاننا على حسن نوايانا توصلنا إلى وضع حد لسوء التفاهم



صدام حسين

الذي ساد بين بلادنا ردحاً من الوقت، وقد قبل الرئيس صدام حسين تسوية هذه الخلافات وفق القانون الدولي، وعلى نفس المبدأ قررت مساعدة أفغانستان عندما واجهت بعض المصاعب الاقتصادية، بالرغم من تغير الحكومة الأفغانية بعد ذلك مع أن الدول الغربية اعتبرت هذا النظام عدائيًّا لها. وكنت أول رئيس دولة أزور باكستان عندما حصلت على استقلالها، وحافظنا على صداقة وطيدة للجمهورية الجديدة وساعدناها اقتصاديًّا وعسكريًّا، ومن ناحية أخرى فإننا بذلنا كثيراً من الجهود من أجل المحافظة على باب السلام مفتوحاً بين باكستان الإسلامية والهند وكنت دائماً أعتقد أن خلافاً باكستانيًّا هنديًّا، ستكون له نتائج خطيرة إذا حدث، ولهذا السبب حاولت دائماً دعم نظام حكم الجنرال يحيى خان، وقبل أحداث بنغلادش أتيحت لي الفرصة أن أجمع بين يحيى خان وبين بودغورني خلال الاحتفالات التي جرت في (برسيبوليس) بمناسبة ذكرى (٢٥٠٠) سنة لتأسيس الإمبراطورية الفارسية، وكان هدفي من هذا الاجتماع إبعاد شبح الحرب المقبلة عن المنطقة من أجل بنغلادش إلّا أن الطريقة التي تصرف بها الرئيس الباكستاني أثارت خيبة أملي.

■ جيراننا في الخليج:

وكانت لنا صداقات كثيرة مع جيراننا في الطرف الآخر من «الخليج العربي» الكويت والإمارات وعلى الأخص السعودية، وقد زرت السعودية عدّة مرات، تلك البلاد التي نعتبر استقلالها وسيادتها نحن المسلمين أمراً مقدساً، وأديت فريضة الحج مرتين، وأنا كمسلم ومؤمن أتمنى أن تبقى المملكة العربية السعودية على حالتها الآن في الدفاع عن الأماكن المقدسة الإسلامية مكة والمدينة حيث يأتي كل سنة ملايين الحجاج يسيرون على دروب الله، ومن يطلع على تاريخ السعودية **يعرف تماماً مقدار عظمة وقوة ابن سعود مؤسس المملكة.**

وأنا لا أزال أذكر قول السيد روبرتس المبعوث الخاص لوزارة الخارجية البريطانية عندما أكد أن بريطانيا تنوي البقاء دائماً في الخليج، ولكن بعد ثلاثة أشهر فقط طوت حقائبها ورحلت، الأمر الذي دعا إلى تأمين سلامة الخليج وأمنها، فهل كان يمكن لإيران أن تملأ الفراغ الذي تركته بريطانيا...؟ نتيجة لذلك قرّرت احتلال جزيرتي طمب الصغرى وأبو موسى في نفس الوقت الذي تركت فيه القوات البريطانية المنطقة، وفي البحرين تركت لهم الحرية لتقرير مصيرهم فاختاروا الاستقلال. أما في عُمان، فإنه بناء على طلب شخصي من السلطان قابوس، قدمت للسلطة مساعدات عسكرية لأنها كانت مهدّدة في ظفار التي تحميها اليمن الجنوبية بواسطة الشيوعيين والصينيين، الذين انسحبوا من المنطقة بعد أن أقامت علاقات دبلوماسية مع إيران، وأنا أقدر ذلك كثيراً وأشيد بالرئيس الصيني (هواكوفنج) الذي زار إيران عام ١٩٧٨م. لأن سياسة الصين الشعبية لم تعد سياسة ذات وجهين، بل أصبحت سياسة ثابتة ومستقرة على المستوى العالمي كله، وفي عُمان تدخلت قواتنا كثيراً لصالح السلطان إلى أن توصل إلى تسوية الأوضاع في السلطنة لمصلحته.

الفصل الحادي والعشرون

حاولت إيقاف المد الشيوعي في إفريقيا(*)
خوفاً من أن تصبح القارة السوداء قارة حمراء

■ سياستنا الخارجية في المحيط الهندي:

أمام الأخطار التي بدأت تحدث في المنطقة بدا لي أنه من الضروري إقامة سياسة جديدة يجرى تنفيذها بصورة مشتركة بين الدول المحيطة بالخليج، وهذه السياسة تستند بالأساس على مبدأ هام هو أن تحمي هذه الدول بنفسها أمن المنطقة بصورة جماعية، ومن ناحية أخرى فقد كان من الضروري أيضاً أن نحاول تطبيق نفس الفكرة في ما يتعلق بالمحيط الهندي حيث توجد إيران، باكستان، الهند، سيلان، بنغلادش، برمانيا، ماليزيا، تايلند، سنغافورة، أندونيسيا، أستراليا، نيوزيلندا، وكل الدول الموجودة في إفريقيا الشرقية، وجميع الدول التي ذكرناها يجب أن تتولى بنفسها حماية وضمان الأمن الجماعي في المنطقة المحيطة بالمحيط الهندي.

وفي خلال جولة قمت بها في استراليا عام ١٩٧٤م عرضت على المسؤولين انشاء سوق مشتركة تضم كل الدول المشرفة على المحيط الهندي، وعرضت نفس العرض خلال زيارتي التي قمت بها في سنغافورة وقد حازت هذه الفكرة على موافقة عدد من المسؤولين في الدول المذكورة

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٣٤، التاريخ ٣/ ٢/ ١٩٧٩م، ص١٦.

وخاصة في الهند، والواقع أنني درست بدقة امكانية نجاح هذه الفكرة واحتياجات الدول الأعضاء ووضعت برنامجاً واسعاً للتبادل بينها، وأعلنت أنه بموجب هذا البرنامج فإن إيران على استعداد تام أن تقوم بدورها في قيام حركة تصنيع واسعة في الهند، على سبيل المثال، وأن تشارك في اكتشاف الثروات المعدنية وأن تساعد في إنماء الحركة الزراعية.

■ مع الدول الإفريقية:

في إفريقيا، دون أن أنتظر تنفيذ فكرة السوق المشتركة التي استقبلت بالترحاب من الجميع، قدمنا مساعدات هامة على الصعيد الاقتصادي للسودان والصومال وحتى للسنغال ودول أخرى تقع على الشواطئ الأطلسية ودول تقع داخل إفريقيا السوداء، وقد تدخلت في الصراع الدائر في جنوب إفريقيا للبحث عن حل مقبول في ما يتعلق بمشكلة ناميبيا، واستقبلت مرة القادة السود في روديسيا، وشجّعتهم على البحث عن حل عادل ودائم وسلمي للمشكلة الرودسية، وساعدت بذلك في دفع الأمور نحو السلام في هذه المنطقة، الأمر الذي حظي بتقدير وشكر الولايات المتحدة وانكلترا اللتين كانتا مهتمّتين بإيجاد السلام في هذه المنطقة الهامّة من القارة الإفريقية.

والحقيقة أن اهتمام إيران بإفريقيا يستند على أساس أنه لا يفصلها عنها سوى شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر والمحيط الهندي، وإيران لا تستطيع أن تتهاون وأن تقلق وهي ترى الخطر الشيوعي ينفذ في إفريقيا على ثلاث محاور هي: **المحور الأول** يأتي من ليبيا في طريقه إلى التشاد والسودان والصومال، ويستهدف البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي، **المحور الثاني** يستهدف الربط بواسطة البر بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، **والمحور الثالث** يقطع القارة

الإفريقية إلى قسمين على مستوى انغولا وموزامبيق، وقد كنت أحلم دائماً بالمشاركة في تمويل مشروع انشاء خط حديدي يصل بين شرق القارة وغربها، أي بين السواحل الشرقية والسواحل الغربية.

■ مقاومة المد الشيوعي في إفريقيا:

بالنسبة لمصر والمغرب، فإن الموقف السياسي العام تجاه فكرتي كان رائعاً لحسن الحظ وذلك بفضل **الرئيس المصري محمد أنور السادات والملك الحسن الثاني**، وأنا في هذا المجال لا بد أن أشيد بهذين الرجلين العظيمين والصديقين الحميمين، وهناك أيضاً الرئيس العاقل والحكيم لدولة مجاورة لهما هي السنغال حيث يوجد الرئيس ليوبولد سنغور، ويبقى في هذه العملية أن نوقف المد والنفوذ الشيوعي، لأن المحاور الثلاثة التي أشرنا إليها قبل قليل، ستكون محاور لتقسيم وتغيير خارطة القارة الإفريقية، وبالتالي فإنها ستهدّد أمن واستقرار كل هذه المنطقة الواسعة، وغداً ستصبح هذه القارة التي نطلق عليها اسم سوداء، القارة الإفريقية الحمراء.



أنور السادات

والواقع أنني كنت على يقين تام بأن العمل الذي كنت أحاول القيام به حول المحيط الهندي سيجعل من هذه المنطقة منطقة سلام واستقرار حيث يجب أن نطرد النفوذ الأميركي بقدر ما نطرد النفوذ السوفياتي، ونكون بذلك قد خدمنا السلام العالمي، وإذا استطعنا النجاح، ولكن هل هذه الفكرة قابلة للتنفيذ؟ وهل يمكن للاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة القبول بفكرة أن تواجدهما العسكري في منطقة المحيط الهندي ليس ضروريًّا على الإطلاق؟

■ تضامن عالمي حقيقي:

وإذا رجعنا إلى علاقاتنا مع الدول الغربية فإننا نجدها جيدة، خاصة وأنني أظن أن العالم كله كان يعرف أن إيران تصنّف عقائديًّا في معسكر القوى الديمقراطية الغربية، خاصة وأن مبادلاتنا وعلاقاتنا الاقتصادية مع دول المجموعة الغربية والولايات المتحدة كانت ذات أرقام معتبرة وثابتة، إلّا أنني من ناحية أخرى أحب أن أؤكد هنا وبوضوح كاف أن سياستنا الخارجية ما كانت لتهدف سوى لخدمة بلد واحد فقط وهذا البلد هو إيران، ولكن كان يجب أن لا ننسى أن من أهم الأمور التي يمكن أن تعتمد عليها مصالحنا كلها أن تكون البلاد المجاورة لنا والتي لنا معها علاقات على مختلف المستويات، أن تكون في سلام، واستقرار، وأن تكون الأوضاع العامة في هذه البلاد مرتاحة قدر الإمكان ولهذا السبب، فقد حرصنا دائماً على أن تكون سياستنا الخارجية قائمة بالدرجة الأولى على مبدأ جسن الجوار، وفي حدود استطاعتنا أيضاً كانت سياستنا سياسة تعاون وتعاضد مع الجميع، ولهذا السبب أيضاً فإننا كنا نحرص على اتخاذ سياسة خارجية قائمة على توازن حقيقي في علاقاتنا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وبين الدول الغربية بشكل عام والدول الشرقية وفي

النهاية بين الصين الشعبية أيضاً، وأنا أعتقد أن التضامن الحقيقي والفعّال لكل الشعوب في الكرة الأرضية ليس مجرّد كلمة فارغة، بل أنه يمكن أن يكون حقيقة واقعة تقود السياسة الخارجية لكل البلاد بدون استثناء، وبالطبع فإن ذلك بالنسبة لنا أمراً يمكن لإيران أن تنفذه بصورة مؤكدة، إلّا أننا كنا نفعل ما في وسعنا لنجعل من هذه القوة شيئاً قابلاً للتنفيذ.

■ اقترحت على الأوابي:

منذ عام ١٩٧٣م قدمت اقتراحاً يتضمّن بأن تقوم (١٢) دولة صناعية كبرى و(١٢) دولة عضوة في الأوابيك من أجل انشاء مؤسسة مالية عالمية للمساعدة على أساس أن تشترك كل دولة منها في رأسمال هذه المؤسسة بمبلغ ١٥٠ مليون دولار، ويكون لهذه المؤسسة مجلس ادارة أعضائه (٢٤) عضواً يمثلون كل دولة من الدول المشتركة فيها بالإضافة إلى (١٢) عضواً من دول العالم الثالث، وكل هؤلاء يقومون بدراسة المشاريع الاقتصادية في الدول السائرة على طريق النمو لتقوم بتمويلها. ومنذ ذلك الحين تزايد عدد الدول المشتركة في منظمة الأوبيك ويمكن بذلك زيادة المساهمة المطلوبة في رأس مال المؤسسة، كما أننا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار تزايد أسعار النفط وهذا يؤدي بالطبع إلى إمكانية زيادة رأس المال المذكور، ولا ننسى هنا أن نذكر أننا في عام ١٩٧٣م عندما قدمت اقتراحي هذا كان بالإمكان أن نجمع حوالى (٣) مليارات دولار من مساهمات الدول، وهو المبلغ الذي يمكن للمؤسسة مساعدة الدول السائرة في طريق النمو بواسطته، والآن وبعد مضي كل هذا الوقت فإن ما كنا نستطيع أن نعمله مبلغ (٣) مليارات دولار، سيكلفنا أكثر من عشرين مليار دولار، بالنظر لارتفاع السعر العالمي الرهيب وبالنظر لأن مشاكل الدول الفقيرة قد زادت وتشعبت كثيراً.

وقد وضعت بنفسي التصاميم اللازمة لهذه المؤسسة العالمية والأنظمة التي ستسير عليها وخاصة من ناحية تقديم القروض للدول المحتاجة لمدة (٢٠) عاماً وبفائدة لا تزيد عن (٢,٥٪) سنويًّا، وعرضت المشروع على السيد روبرت ماكنمارا ريس البنك الدولي ومدير منظمة النقد المالية فرحب بالمشروع وكان من أشد أنصاره تحمساً. ولكن للأسف لا الدول الصناعية الكبرى اهتمّت بذلك المشروع ولا الدول النفطية أظهرت اهتماماً بدورها وبقي ندائي هذا بدون أي ردود من قبل المسؤولين في هذه الدول، ويمكن أن يكون اقتراحي هذا صعب التنفيذ إلى حد ما، ولكنه ليس مثاليًّا أو خياليًّا، على الإطلاق، لأنه لا يستدعي سوى وجود نوع من التضامن العالمي بين الدول الغنية والفقيرة..

الفصل الثاني والعشرون

تعلمت من ديغول حب الوطن(*)

ستالين كان عملاقاً وفرض إرادته على العالم

خروشوف كان مفاوضاً صعباً وأحياناً قاسياً جدًّا

تشرشل كان رجل دولة وسياسيًّا من الطراز الأول

■ مع الكبار في العالم:

خلال حكم والدي كانت السياسة الخارجية في إيران تدار من قبل السفراء في مختلف أنحاء العالم، أما الآن فقد أصبحت هذه السياسة تدار من قبل الرؤساء مباشرة بعد أن أصبح السفر بين البلاد متوفراً ومريحاً بفضل وسائل النقل الحديثة، وأصبح الرؤساء يلتقون في كثير من الأحيان، وفي ما يتعلق بي فإني خلال (٣٧) عاماً من حكمي كنت أستفيد جدًّا من هذا النوع من السياسة والدبلوماسية، وقد أتيحت لي الفرصة أن ألتقي مع كبار الرؤساء في العالم ولن يكفي كتاب أو أكثر لرواية قصص هذه اللقاءات بين أشخاص حاولوا في كثير من المرات ايجاد الحلول المناسبة لبعض المشاكل العالمية.

■ ديغول ذلك الكبير:

عندما مرّ الجنرال ديغول في طهران عام ١٩٤٣م في طريقه إلى موسكو كنت لا أزال حاكماً صغيراً، ومنذ اللحظة الأولى دهشت

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٣٥، التاريخ ٤/ ٢/ ١٩٨٠م، ص١٦.

بشخصيته الفائقة، وعندما استمعت له يتحدث عن فرنسا كنت أسمع ظلّاً للطموحات التي تغذيت بها وعشت عليها من أجل وطني، وأن يكون وطني حرًّا و مستقلّاً داخل حدوده، وبطبيعة الحال فإننا قد التقينا أكثر من مرة بعد ذلك سواء في فرنسا أو في إيران، وفي كل مرة كانت تسنح لنا الفرصة لنشد من الروابط التي تجمعنا، وأضيف إلى ذلك أننا كنا نتبادل الرسائل في أغلب الأحيان. وعند وفاته ذهبت إلى باريس لكي اشترك في الشعائر الدينية التي أقيمت في نيسة نوتردام، وكان كل رؤساء الدول موجودون هناك، ولكني كنت الوحيد بينهم الذي قبلت السيدة ديغول أن تستقبلني في كولومبي في تلك الساعات المؤلمة التي أعقبت وفاة الزعيم الفرنسي الكبير، والحقيقة أنني تأثرت كثيراً بهذه البادرة الغالية على نفسي وتدل بوضوح على نوعية العلاقات التي كانت تربطني مع الجنرال ديغول، وقد كانت المشاعر الوطنية التي لمستها عنده خير دليل وقائد لي، وخير دليل على عظمته يكفي أن نقارن بين الحالة التي كانت توجد عليها فرنسا عام ١٩٥٦م وبين فرنسا عندما تركها الجنرال ديغول.



شارل ديغول

■ العمالقة الثلاثة في مؤتمر طهران:

لقد أتاح لي المؤتمر التاريخي الذي عقد في طهران أن أقابل ثلاثة عمالقة كبار في العالم هم الرئيس الأميركي روزفلت وستالين وتشرشل، وقد كان ستالين الوحيد من بينهم الذي أقبل عليّ في قصري يزورني، في حين أن الزعيمان الآخران كان عليّ أن أزورهما في السفارة السوفياتية في طهران.

والواقع أن لديّ الكثير لأقوله عن لقائي مع ستالين، وعلى سبيل المثال فإنني لن أنسى اطلاقاً أنه قال لي عندما رآني: كن هادئاً خلال السنوات الخمسين المقبلة، وأنا اتساءل الآن هل كانت هذه الكلمات عبارة عن ضمان بعدم التدخل الروسي في إيران خلال هذه الفترة؟

■ مع ستالين وجهاً لوجه:

كان ستالين مؤدباً كثيراً جدًّا ومحافظاً على تقاليد البروتوكول حتى أنه لم يلمس كوب الشاي الذي وضع أمامه قبل أن ابدأ أنا بشرب الشاي من القدح الموضوع أمامي، وبدا لي أنه مهتم بمائة موضوع في وقت واحد، في حين كنت أنا ملكاً فتيًّا رأى بعينيه جيشه يتحطم خلال الغزو الروسي البريطاني لإيران، وكنت متحرقاً لكي أتكلم مع ستالين عن امكانية شراء بعض الدبابات وبعض الطائرات، وقد سارع ستالين وبدون أي احتجاج أو رفض وبدون تردّد قدم لي عرضين أحدهما يتعلق بالدبابات والثاني بالطائرات.

ولكنه قال لي على الفور إن طريقة تسليم الأسلحة ونقلها وتدريب قواتي عليها سيتم بحثه خلال مفاوضات مقبلة، وتجاه هذا الكرم الغامر، شكرت ستالين بحرارة كبيرة، ومن خلال فرحي وسروري، اعتبرت هذا اللقاء بالنسبة لي انجازاً كبيراً وبأني اجتزت مرحلة هامة على الطريق التي



ستالين

تضمن لبلادي استقلالها وسيادتها، وبعد بضعة أسابيع وصل مبعوث خاص من الرئيس السوفياتي وأبلغني الشروط التي وضعها ستالين من أجل صفقتي الأسلحة اللتين عرضهما، وكانت هذه الشروط رهيبة فعلاً وقد تضمّنت وجوب وضع الدبابات في قاعدة خاصة في (غاسقين) وهي مدينة تقع إلى الغرب من طهران، وأن نضع الطائرات في قاعدة (ماساد) الواقعة في الشمال الشرقي من إيران وبالإضافة إلى ذلك فإن كلا من الدبابات والطائرات يجب أن تبقى تحت تصرّف القيادة العليا في الاتحاد السوفياتي طيلة المدة التي تستمر فيها الحرب، وكان من الطبيعي انني رفضت هذه الشروط بحزم ودون تردّد، ولكن ذلك لا يمنعني أن أقول أن ستالين كان عملاقاً فعلاً . . .

■ مع خلفاء ستالين:

لم يكن تشرشل هو الزعيم الوحيد الذي ربح الحرب العالمية الأولى بل ستالين أيضاً كان قد ربحها، وفي مؤتمر طهران، ثم في مؤتمر يالطا ثم

مؤتمر بوتشدام، كان ستالين هو الذي يفرض شروطه، وهو الذي وضع أسس السلام السوفياتي الذي دام منذ (٣٥) عاماً، وأنا أود أن أتحدث الآن عن علاقتي مع خلفاء ستالين الذين كانوا جيراناً طيبين معي، بالرغم من أن مراحل كثيرة كانت تفصلني عن الايديولوجية الشيوعية، بل انني كنت خلال سنوات حكمي لا أنفك عن مقارعة الشيوعيين، وكنت لا أجهل مقدار الخطر الذي كان يجثم فوقنا إذا ساءت علاقتي مع الاتحاد السوفياتي، ويبدو لي في ذلك الوقت أنه كان يوجد بعض الغيوم في سماء العلاقات التي ربطت إيران بروسيا في ذلك الوقت، وكان عليّ أن انتظر حتى أقوم بأول زيارة لي إلى موسكو عام ١٩٥٦م لكي أقوم بإزالة هذه الغيوم.

■ مع خروتشوف:

كان لقائي مع خروتشوف بعد فترة قليلة من توقيعي معاهدة حلف بغداد، وقد سبق لي أن تحدثت عن ردة الفعل تجاه هذا الحلف لدى الزعيم السوفياتي الراحل، والحقيقة أن نيكيتا خروتشوف كان مفاوضاً صعباً وفي بعض الأحيان كان قاسياً جدًّا، إلّا أن الناحية القروية والصفات التي يتمتع بها كانت تطغى على شخصيته في بعض الأحيان فتحيله إلى رجل طيب ولطيف وتجعله رقيقاً ولبقاً إلى حد كبير، وعلى العموم فقد استطعت معه إقامة علاقات قائمة على حسن الجوار بين بلدينا وحافظنا عليها زمناً طويلاً.

■ مع بريجنيف:

ومن ناحية أخرى فقد أتيحت لي الفرصة للقاء الرئيس ليونيد بريجنيف بعد ذلك بطبيعة الأمر، وتمّت هذه اللقاءات في إيران وفي



بريجنيف

الاتحاد السوفياتي، وبالرغم من أن محادثاتي مع بريجنيف كانت في بعض الأحيان لا تنتهي بالنتائج الإيجابية المطلوبة، إلّا أنني احتفظ بالنسبة إليه بذكريات طيبة، ومع كل الفروقات والاختلافات العقائدية التي كانت تفلصل بيننا، إلّا أن ذلك لا يمنعني من أن أشعر بإعجاب مخلص نحو بريجنيف فقد كان في نظري دبلوماسيًّا خارقاً ليس له مثيل، فقد كان يحاول دائماً الاستمار في سياسته القائمة على السلام والتعاون السلمي في المبادئ التي وضعت في هلنسكي، وقد نجح في أن يجعل لبلاده مكانة كبرى في العالم حيث نراها الآن: فهي الدولة الأولى في العالم من ناحية القوى النووية، وقريباً ستصبح الأولى في مجال السلاح البحري، في حين أنها في ميادين الأسلحة البرية وعدد القوات العاملة والدبابات والطائرات متفوقة إلى خد لا يمكن معه مقارنة بقية الدول بها في هذه المجالات.

■ مع روزفلت:

أعود بعد ذلك إلى مؤتمر يالطا وإلى لقاءات مع الكبار، وقد سبق أن ذكرت أنه كان عليّ أن أذهب إلى السفارة السوفياتية في طهران لكي أحيي الرئيس الأميركي روزفلت، وكان في ذلك الوقت قمّة شهرته، وكانت دهشتي واستغرابي عميقين وأنا أسمع هذا الشخص اللطيف المحبوب يطلب منّي أن أجالسه، ويلقي على مسامعي برنامجه الرئاسي ويطلب رأيي، وأنني خبير في مثل هذه الأمور، في كيفية معالجة بعض المشكلات، وكانت هذه المشاكل من وجهة نظر الرئيس روزفلت تتعلق مباشرة بمستقبل إيران، وأنه يسعى إلى تأمين وظمان ذلك المستقبل، وكأنه كان يعلم تماماً أن القوات الأجنبية التي كانت قد غزت أراضينا سوف تترك إلى الأبد الغابات التي استقرّت بها في بلادنا.



روزفلت

■ مع تشرشل:

أما بالنسبة لتشرشل فقد كانت المرة الأولى التي التقيت بها معه خلال استراحة قصيرة في مطار طهران عندما كان متوجهاً إلى موسكو، وكان لنا في ذلك اللقاء حديث طويل حول الطريقة التي تقاد بها الحرب، وبالرغم من صغر سني أمامه فقد خاطرت وعرضت عليه وجهة نظري السياسية والعسكرية حول الحرب، وكان رأيي أن يقوم الحلفاء باجتياح أوروبا من الجنوب، وهذا يعني من أضعف نقاطها ايطاليا والبلقان وان تشرشل جالساً في مقعده الوثير يضغي إليّ بانتباه ويتابع حركاتي بعينين نفاذتين، وعندما انتهيت من عرض فكرتي سكت ولم يعلّق على ما سمع. وفي ما بعد قرأت مذكراته رأيت أنه قد كتب أنني أبديت وجهة نظر مشابهة لوجهة نظره. وقد ك كان تشرشل في نظري رجلاً عظيماً حقًّا استطاع أن يثبت لبريطانيا خلال الحرب وبعدها مكانة كبيرة بوصفه رجل دولة من الطراز الأول، ويعتبر بحق زعيم السياسيين العالميين في ذلك العهد.

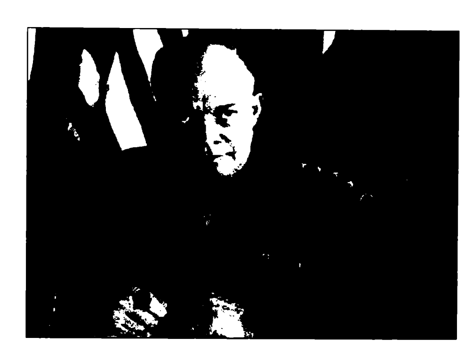


تشرشل

الفصل الثالث والعشرون

ساعدني نيكسون على التخلص من مصدق(*)

كيسنجر كان يحب المزاح كثيراً



الجنرال إيزنهاور

إيزنهاور، ريتشارد نيكسون، هنري كيسنجر، ايفريل هاريمان، ترومان وليندون جونسون، هي اسماء قادة الولايات المتحدة الذين يخطرون على بالي كلما فكرت إلى قوة أميركا وعظمتها ونبلها، وبدون شك فإن مؤلفي التاريخ الذين سيأتون في المستقبل سوف يعمدون إلى وصف الجنرال ايزنهاور بأنه رجل خلق للحرب، ولكنه من جهتي يختلف عن ذلك كثيراً لأنني أنظر إليه من صفاته الشخصية والعاطفية، وقد كان ايزنهاور كائناً لطيفاً وطيباً إلى حد كبير ويعرف كيف يجعل

(*) صحيفة الرأي الكويتية، العدد ٥٨٣٦، التاريخ ٥/ ٢/ ١٩٨٠م، ص١٦.

الناس يحبونه، وقد عرف فيه الشعب الأميركي ذلك فأحبوه كلهم والجملة المأثورة التي كانوا يتداولونها دائماً: أنا أحب آيك، وآيك هو اسم ايزنهاور الأول، وفوق كل هذا فأنا أعتبر أن من واجبي أن اعترف بفضل ذلك الرجل الكبير عليّ لأن الولايات المتحدة في عهده هي التي قدمت لي أكبر مساعدة ضد مصدق وسياسته، فقد حكموا عليه وأدانوه في كل العالم الحر نظراً لسياسته الخرقاء التي كانت ستقود البلاد إلى الضياع والخراب حتماً، ويجب الاعتراف أيضاً أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة كانت في ذلك الوقت بقيادة جون فوستر دالاس، وقد تميّزت هذه السياسة بعظمتها وبفعاليتها الهائلة.

■ مع نيكسون:

في ما يتعلق بالرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون، فقد تربطني به صداقة قوية جدًّا منذ عام ١٩٥٣م في الوقت الذي كان فيه لا يزال نائباً للرئيس الأميركي ايزنهاور، وأثناء تولية الحكم في الولايات المتحدة كانت العلاقات الإيرانية الأميركية ممتازة حقًّا، وكان يجب أن تبقى على ذلك المنوال خلال عهد الرئيس جيرالد فورد، وبالنسبة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة في عهد الرئيس نيكسون، فقد كانت تتمتع بآراء صائبة وأحكام صحيحة في ما يتعلق بالأحداث وبالأشخاص الذين يحكمون العالم، وكانت سياسته هذه هي التي أنقذت أميركا من تورطها في فييتنام، وهي التي أقامت علاقات طبيعية وطيبة مع الصين الشعبية، ولذلك فإنها بالنسبة للجميع كانت سياسة عقلانية تتميّز باتجاه صحيح وباعتمادها الحذر من التورط في الإشكالات العالمية، وكاننت سياسة الرئيس نيكسون في الحفاظ على التوازن العالمي والاستقرار السياسي العالمي سبباً في اعطاء هذه السياسة خلفية مليئة بالإيجابيات والإنجازات



نيكسون

التي تحققت على كافة الأصعدة وقبل أن يكون نيكسون رئيساً للولايات المتحدة التقينا ذات مرة في طهران ودار بيننا حديث طويل، وكانت وجهات نظرنا متفقة حول الكثير من المبادئ البسيطة في ما يتعلق بالجغرافيا السياسية، **التي ترتكز على ما يلي**: إن كل أمة ووطن يجب أن يفتش على تحالف وصداقة مع «حليف طبيعي» وهذا يعني قيام علاقات وثيقة بين دول تربطها مصالح مشتركة وثيقة ويجب على كل دولة أن ترعى هذا التحالف بدقة وتبعده عن تدخل الشكوك والظنون وإلّا فإنه عند ذلك يصبح حملاً ثقيلاً، يجب أن يكون التحالف وطيداً وصلباً ويكون بذلك معادلاً، أو أفضل لعشرة شركات يتراجعون عند اللحظة الحاسمة، وعلى العموم فإن الرئيس نيكسون كان بمعنى دقيق واحد من الأميركيين القلائل الذين زاروني في منفاي في غيرنافاكا، والذين أثبتوا وبرهنوا على أن صداقتهم لي لم تتزعزع بعد كل ما حدث لي في الآونة الأخيرة.

■ مع هنري كيسنجر:

عرفت هنري كيسنجر في عدّة أدوار مختلفة في حياته السياسية والإدارية والعملية، وقد التقيت به أولاً عندما كان رئيساً لمجلس الأمن



هنري كيسنجر

القومي للولايات المتحدة ثم وزيراً للخارجية في عهد نيكسون أولاً ثم وزيراً للخارجية في عهد الرئيس جيرالد فورد. والحقيقة أن كيسنجر كان رجلاً يعرف كيف يستخدم الخبرة الطويلة التي حصل عليها والمعلومات الواسعة التي يعرفها، في سبيل الولايات المتحدة وسياستها الخارجية، وقد كان كيسنجر أوسع اطلاعاً من كل الأشخاص الذين عرفتهم في حياتي، ويجب أن أذكر هنا أن كيسنجر بالإضافة إلى كل ذلك رجل متواضع ويعرف قيمة نفسه جيداً وأميناً لمبادئه بشكل عام، يخدم بلاده بضمير حي وإيمان كامل بعظمة الولايات المتحدة والمسؤوليات التي تحملها في تحقيق التوازن بين مختلف القوى في العالم، وفي خلق السلام المشرف على المستوى الدولي، وأضيف هنا أن عدّة نقاط من آرائه وأفكاره في ما يتعلق بالجغرافيا السياسية تلتقي مع أفكاري وآرائي

بصورة مطلقة. ويتمتع كيسنجر أيضاً بذكاء مرتفع حقًّا، ويملك نوعين من الصفات، كانتا لسوء الحظ بمثابة أخطاء لبعض الكبار في العالم، فقد كان كيسنجر يعرف كيف يستمع إلى الأشخاص أولاً، وكان يتمتع بحس مرهف وقابلية إلى المزاح، وعلى العموم فإن العلاقات بين إيران والولايات المتحدة كانت في عهد الرئيس فورد جيدة جدًّا وخاصة بعد أن زار كيسنجر طهران وأجرينا محادثات ناجحة تكللت بعقد اتفاق تجاري واسع يمتد خمس سنوات وقيمته حوالى (٥٠) مليار دولار.

■ مع الملك جورج الخامس بيغن وبلوم:

في عام ١٩٤٨م قمت بأول زيارة إلى الخارج بصفتي ملكاً على بلادي، وكانت هذه الزيارة إلى لندن، وصادفت في وقت كانت فيه العاصمة البريطانية مقرًّا للألعاب الأولمبية الأمر الذي يفسر إذا أمكن كيف أن كل قواعد البروتوكول كانت موجهة نحو الرياضيين وأصحاب العضلات، وكان ذلك بالنسبة لي مخيباً للآمال، إلّا أن الملك جورج الخامس وعائلته كانوا معي على درجة كبيرة من الكياسة وحسن الخلق وأنا أحتفظ بذكريات جميلة جدًّا من زيارتي هذه.

وبالتأكيد فقد كان لي حديث طويل مع السيد بيغن، وزير الخارجية البريطانية في ذلك الحين، وكنا نتحدث عن الثراء الطبيعي الكبير لإيران وخاصة ذلك الذي يوجد في مقاطعة (كرمان)، وقال بيغن موافقاً: نعم بدون شك هناك ثروات كثيرة في كرمان، القطاع التابع لنا..، وببرودة قلت له: ولكن يبدو لي أن إيران بكاملها تقع ضمن البلاد التي تتمتع بحريتها..، فأسرع بيغن إلى القول: وهذا هو بالضبط ما أردت قوله...، وبعد ثلاثة أشهر فقط من هذا الحديث أفرغ أحد الأشخاص ويدعي (فاخر آرى) رصاص مسدسه في جسمي في حادثة اغتيال جرت

لي خلال إحدى المناسبات الرسمية، وقد ذكرتها في وقت سابق من المذكرات.

وفي نفس السنة قمت بزيارة لفرنسا (١٩٤٨) حيث أجريت محادثات طويلة مع الرئيس (ليون بلوم) ورئيس وزرائه (غي موليه) وسمعت من الزعيمين الفرنسيين كلاماً مختلفاً تماماً عن الكلام الذي سمعته في لندن، وكان بيننا تفهم واسع لمشاكلنا بعد أن عرضت عليهما الخطوط العامة الكبرى لبرنامجنا الاجتماعي، وقد أبديا تجاوباً كبيراً معي، وأعتقد أنه كان لي صداقات كثيرة مع زعماء العالم الغربي كله وخاصة الرئيس الفرنسي الذي يتمتع بديناميكية كبيرة وقدرة عظيمة «فاليري جيسكارديستان».

■ أصدقائي العرب مع الحسن الثاني:

كان الملك الحسن الثاني لا يزال وريثاً للعرش عندما برهن عن جدارته ووطنيته، وبدون شك فقد كان يحتاج إلى كثير من البركة والحظ



الملك الحسن الثاني

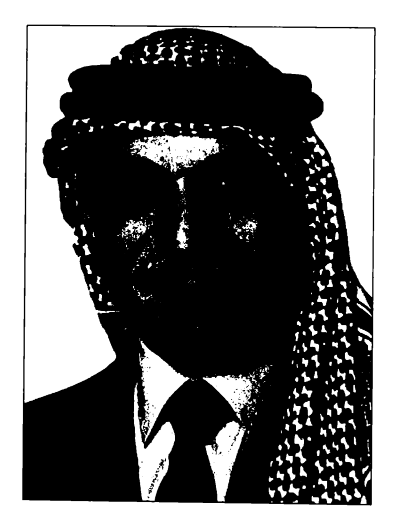
والتوفيق حتى يستطيع أن ينجح في مسيرته الخضراء داخل الصحراء وخلال محاولاته المستمرة للبناء والملك الحسن الثاني من الحكام القلائل الذين يتمتعون بأناقة أخلاقية وأصالة، وهو يتصل بالنسب إلى عائلة النبي (ﷺ)، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يحمل درجة دكتوراه في الحقوق من جامعة (بوردو) في فرنسا واستطاع بعد ذلك أن يجمع بين علومه القرآنية من جهة وعلومه الأوروبية من جهة أخرى، ومن نافلة القول أن أعلن بأنني أدعو الله أن يوفقه هو وشعبه الوفي الأمين، والكلمات في الحقيقة، تعجز عن وصف الشعوب بالعرفان بالجميل والشكر على ما بدأه من مساعدة لي ولعائلتي بعد الأحداث الأخيرة التي وقعت في إيران، وكان الحسن الثاني أحد الأشخاص القلائل الذين لم ينسوا الدروس الرائعة التي تعلموها من النبي (ﷺ).

■ مع السادات:

ويجب أن لا ننسى هنا أنور السادات الذي خلف الرئيس جمال عبد الناصر والذي وجد نفسه على رأس أمة ليست مسحوقة فقط بل أمة مبعثرة سادتها الفوضى وسادها جو من الكذب والشعارات الرائعة، فبدأ المعركة بفضل الأسلحة السوفياتية وتمكن من انتزاع أول نصر لبلاده والأمة العربية، وإن ثمن هذا النصر كان بداية لمسيرة السلام، حيث قدم الشكر للخبراء السوفيات، واعتمد سياسة مبنية على الاستقلال التام لتحقيق هدف واحد؟ هو سعادة الشعب المصري، لكي يستطيع الإنسان القيام بمثل هذه العملية فإن عليه أن يتحلى بشجاعة كبيرة وبموهبة سياسية عظيمة، وبذلك دخل السادات التاريخ بصفته واحداً من أعظم العباقرة الذين عرفتهم مصر، ولذلك فأنا أدعو الله من أجل مصر الكبرى ومن أجل شعبها، وهذا أقل ما يمكن أن أفعله تجاه السادات والشعب المصري.

■ مع الحسين:

أما بالنسبة للملك حسين فإنني لا أعتبره مجرّد صديق فحسب، بل أنظر إليه كأخ، وهو بنظري يتمتع بمميزات عظيمة، ذو شجاعة كبيرة ويحمل حبًّا عظيماً لبلاده، واستطاع بحكمته وقراراته الحكيمة أن يتبوأ في العالم مركزاً حساساً، ويستطيع أن يحقق في حياته كل الأهداف التي خطّط لها، وقد بدت صفاته هذه واضحة في الانقلاب الذي خطّط له الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة بعض العسكريين والطريقة التي عالج بها الملك حسين نتائج هذا الانقلاب.



الملك حسين

الفصل الرابع والعشرون

هنا كان نجاحنا وهناك كان فشلنا(*)

حاولنا اللحاق بنادي الدول المتقدمة ولكن...

■ نجاحنا وفشلنا:

إن أهم ما استطاعت الثورة البيضاء تحقيقه في إيران أنها أصبحت في ما بعد ثورة الشاه وثورة الشعب، الأمر الذي يجعلني أقول أن إيران تركت وراءها وبشكل نهائي الحالة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية الشبيهة بحالة العصور الوسطى حيث كانت سائدة قبل خمسين سنة فقط.

والسؤال الآن هو: هل يكون التهديم الذي سببته الثورة والحرب المدنية وحكم الفوضائية سبباً لعودة إيران إلى العصور المظلمة..؟ أعتقد أن ذلك لن ينجح في أحداث تعديلات جذرية على التغييرات التي أحدثتها والبرامج التي نفذتها والدروس التي علمتها لشعبي.

■ هنا كان نجاحنا:

والواقع أننا استطعنا تحقيق انجازات كبيرة فعلاً في كافة نواحي الحياة في إيران، ولدينا أرقام واحصائيات واضحة تعطينا فكرة واضحة عن حجم هذه الإنجازات، خلال (٢٥) عاماً، وللعلم فإن الذي قدم هذه

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٣٧، التاريخ ٦/ ٢/ ١٩٨٠م، ص١٦.

الأرقام لا علاقة له بالحكومة أو بنا، بل قام خبراء من الأمم المتحدة بإجراء الاحصائيات اللازمة وتقديم النتائج على شكل أرقام، شملت كافة القطاعات السياسية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية، وقد كانت المرتبة التي احتللناها في رأس قائمة الدول السائرة في طريق النمو، وقد دلّت الاحصائيات على حدوث نمو سنوي تبلغ نسبته (٢٦٪)، وقد ارتفع معدل هذا النمو حتى وصل إلى (٤٢٪) عام ١٩٧٥م، وهذا يعادل أربعة أضعاف النمو الذي حدث في اليابان خلال نفس المدة، ودلّت الاحصائيات التي قامت بها مختلف المنظمات الدولية أن معدل النمو الاقتصادي السنوي كان يزداد بنسبة (١٣٪) منذ بداية الثورة البيضاء، وفي مدى (٢٥) سنة ارتفع الدخل السنوي للفرد من (١٦٠) دولاراً إلى (٢٢٠٠) دولار عام ١٩٧٨م، وإذا لم نصدق الأرقام التي قدمتها الأمم المتحدة فإن أرقامنا تدل على أن الدخل الفردي السنوي وصل إلى (٢٥٤٠) دولاراً.

وخلال فترة (٢٥) سنة كانت البلاد عبارة عن ورشة عمل وانشاءات حيث يجرى تنفيذ كل الإجراءات المتخذة من أجل تقدم حضارة البلاد، فكان يجرى تنفيذ مئات المشاريع العامة في وقت واحد: جامعات، مجمعات مدرسية، ومعاهد مهنية، مستشفيات، طرق، طرق حديدية، سدود، مراكز لتوليد الطاقة الكهربائية شبكات تمديد الغاز، ومصانع أنابيب النفط، مجمعات ثقافية، وصناعية وزراعية وفنية ورياضية وتعاونية ومدن حديثة وقد أصبحنا الآن نعرف كم كانت مأساة الشعب الإيراني كبيرة في عام ١٩١١م، حيث صدر قانون بإلزامية التعليم الابتدائي ابتداءاً من سن السابعة لجميع الأطفال في إيران، وفي ذلك الوقت لم تكن هناك مدارس ولا مدرسون، وخلال عشر سنوات كنا نستطيع أن نحصي بسهولة عدداً كبيراً من دور العلم، فارتفع عدد

الطلاب إلى حوالى (٤٠٠) ألف تلميذ، وارتفع هذا العدد عام ١٩٧٨ فوصل إلى عشرة ملايين طالب منهم أكثر من (١٨٥) ألف طالب يدرسون في (١٨) جامعة تم إيجادها، و(١٣٧) مدرسة عالية متخصّصة، وكان عدد الأميين في ذلك الوقت يبلغ (٩٩٪) تقريباً من مجموع الشعب الإيراني، ثم ارتفع هذا المعدل ليصل إلى (٨٠٪) فقط، في بداية الفترة التي حكمتها ثم وصل عام ١٩٧٨م إلى (٢٥٪) فقط من مجموع أفراد الشعب الإيراني، وهذا يدل على مقدار الإقبال الذي أظهره الإيرانيون على التعليم، وعلى نجاح الوسائل التي استخدمت في هذا المجال.

والحقيقة أنه عندما ظهر الإسلام وبدأ العمل من أجل نهضة الإنسانية كانت إيران في ذلك الوقت عبارة عن مجمع للعلوم والتقدم **حتى أن النبي** (ﷺ) **قال**: إذا كانت المعرفة متركزة في السماء فإنك لا بد أن تجد الفرس يحاولون الوصل إليها.

■ لم يكن لدينا الخيار:

لقد وجهوا اللوم والانتقادات على الحكم ووصفوه بالقسوة خلال كل هذه السنوات وتحدّثوا كثيراً عن الضغوط والسجون والسجناء السياسيين والاعتداءات المتكرّرة على حقوق الإنسان، وكل هذه الاتهامات يمكن أن تناقش ولكن قبل أن نبدأ هذه المناقشة يجب أن نطرح السؤال الهام والأساسي التالي: هل كان وطننا يمكنه حق الاختيار في هذا الموضع؟...

إننا يجب أن نذكر هنا أن إيران ذات أوضاع جغرافية وسياسية هي بحد ذاتها خطيرة، فقد كانت بلداً من البلدان السائرة في طريق النمو بعدد سكانها البالغ (٢٧) مليون نسمة عام ١٩٦٨م والذي وصل إلى (٣٦) مليون عام ١٩٧٨م ومن الممكن أن يصل إلى (٥٠) مليون عام ١٩٩٠م، وهذا

يعني أن علينا أن ندبر الغذاء اللازم لإطعام مليون شخص يزيدون كل عام في إيران، وأن علينا أن ندبر وظائف وأمكنة مناسبة لحوالى مليون شخص كل سنة. وإذا كانوا يوافقونني على أن طريق الديمقراطية الصحيحة يمر عبر عملية بناء اقتصاد سليم وقوي فكيف يمكن إذن أن نصل لهذه الغاية وأن نحقق الديمقراطية المذكورة في أحد البلدان السائرة في طريق النمو؟ ألا يجب أن نحقق في البداية ما يدعى، التحريك العام، لكل المصادر البشرية والطبيعية المتوفرة لدينا لكي نصل في النهاية إلى تحقيق الرفاهية والثراء، وهذا يعني بناء قاعدة اقتصادية متينة التي بدونها لا تكون الديمقراطية سوى كلمة جوفاء، وبدونها لا تستطيع الإرادة الطيبة وحسن النية والحماسة في العمل ولا القوانين والأخلاق، أن تمنع مواطناً من أن يرى نفسه منحدراً من أبوين فقيرين وأنه يواجه مجتمعاً يحتاج إلى اقتصاد قوي لإتمام عملية التطوّر الاجتماعي، وأنا أعتقد أن القوة الاقتصادية هي التي تضمن في الوقت الحالي حرية الأوطان وسيادتها وتقدم لها شروط وأسس بناء الديمقراطية الحقيقية التي يمكن لها أن تستمر وأن تعيش وأن تتفاعل لتعطي كل فرد من أفراد الشعب الأمان والطمأنينة اللازمة.

■ التفرقة بين الدول:

يكفي أن نلقي نظرة على خريطة العالم لكي نلاحظ أمراً هامًّا جدًّا هو أنه من بين (١٥٠) دولة في الكرة الأرضية لا نرى سوى (٢٥) دولة فقط تتمتع بنظام ديمقراطي وفق الأشكال المعروفة في العالم الغربي، ونلاحظ أيضاً أن الشيء المشترك بين الدول المذكورة هو أنها متقدمة اقتصاديًّا، سواء من ناحية الصناعة، وهذا يدل على ارتفاع مستوى دخل الفرد وارتفاع مستوى الحياة بشكل عام، وخارج هذا «النادي» فإننا نجد أنظمة ديمقراطية مختلفة الأشكال والأحكام، فالهند مثلاً لديها نظام ديمقراطي، ولكن نظام

الحكم فيها لم ينجح حتى الآن في ايقاف زحف وانتشار الجوع والأمراض والأوبئة والجهل بين مختلف فئات الشعب الهندي، وبطبيعة الحال فإن الخطوة الأولى في تحقيق هذه الإنجازات تعتمد على وجود اقتصاد قوي.

والواقع أننا نكون بذلك قد لمسنا، كما اعتقد أهم الأسس التي ترتكز عليها أخطر مشكلة في عصرنا الحاضر، وتعاني منها كل الدول الموجودة خارج «نادي الدول المتقدمة»، وهي لا تعدو عن كونها مرحلة يجب على كل الدول في العالم أن تجتازها للوصول إلى مرحلة الدول المتقدمة، انها عتبة، إن استطاعت إحدى الدول الفقيرة اجتيازها ضمنت لنفسها مكاناً في النادي المذكور، ولن هل يمكن تحقيق ذلك؟

في الحقيقة أنه إذا أرادت إحدى الدول اجتياز هذه العتبة فإنها ستجد نفسها معرضة لمواجهة مشاكل معقدة وخطيرة قد لا تستطيع تحملها، لأن اللحاق بركب التقدم العلمي والصناعي يحتاج إلى توفر الوسائل اللازمة من مواد أولية وخبراء ومصانع وآلات وأجهزة متقدمة وتكنولوجيا حديثة، كما أن الوقت يعتبر عاملاً مهمًّا ويلعب ضد مصلحة هذه الدول، لأن الدول المتقدمة تسير باستمرار إلى الإمام بفضل الإمكانيات المتوفرة لها، والمسافة بينها وبين الدول السائرة في طريق النمو تزداد باستمرار ومن الصعب جدًّا على هذه الدول اللحاق بركب التقدم على كافة قطاعاته، خاصة وأن الدول المتقدمة لن تتعرّض إلى معالجة المشاكل الناتجة عن الإسراع في التقدم ومواجهة الآثار التي تنتج عن الإجراءات التي تتخذها السلطات في الدول ضمن مجموعة العالم الثالث التي تحاول إدخال الأساليب الحديثة والمتقدمة في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والصراعات التي تحدث بين بعض الفئات المحافظة المستندة إلى ركام كبير من العادات والتقاليد وربما بعض الشعائر الدينية التي قد تحدث في البلاد في بعض الأحيان اضطرابات وحروب أهلية واسعة.

الفصل الخامس والعشرون

ما يحدث الآن في إيران كاركاتير دام للديمقراطية(*)

اتهموني بأني أريد اسعاد الشعب الإيراني غصباً عنه

■ **كاريكاتير دام للديمقراطية:**

عندما بدأت بتنفيذ البرنامج المستعجل الذي يسمح لإيران أن تحصل خلال (٢٥) سنة فقط على ما يمكنها من تعويض التأخير الكبير الذي استمرّ عدّة قرون، وقد أيقنت أن تحقيق ذلك البرنامج سيكون مستحيلاً إذا لم يتحرك الشعب الإيراني بكل فئاته لتنفيذه وإذا لم تتحرك كل القوى في البلاد، وقد كانت القضية برأيي أننا يجب أن نجعل البلاد في حالة تشبه إلى حد بعيد «حالة التأهب» العسكرية، حيث نستطيع أن نمنع وبسرعة كل محاولة يمكن أن تقوم بها القوى المضادة للمسيرة التي نقوم بها، وهذه القوى كثيرة وتتمثل في المخربين والشيوعيين وكبار الإقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال، المحافظين وبعض القوى الأجنبية، والواقع أننا لي نتمكن من تحريك أمة في طريق النمو فإننا يجب أن ندفعها باستمرار وأن نسحبها ونجدها عند اللزوم، وفي نفس الوقت يجب أن نحميها من كل الذين يريدون تعطيلها وإعاقتها، ولا يمكننا من هذه الناحية أن نسمح للمخربين بأن يحدثوا أي تأثير لأننا لن

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٣٨، التاريخ ٧/ ٢/ ١٩٨٠م، ص١٦.

نستطيع بعد ذلك أن نحقق برنامجنا الموضوع، وإذا لم يتحقق ذلك البرنامج فهذا معناه أننا سنجمد إيران ونبقيها في حالة من الديمقراطية نكون فيها كمن يعيش في دوامة خطرة وذلك لأنها في النهاية ستكون ديمقراطية الجوع وديمقراطية الجهل والانهيار الأخلاقي والمادي، وفي هذه الحالة لن يكون لدينا سوى كاريكاتير للديمقراطية. إذن يجب أن نتحرك، ولكن ذلك ليس معناه أن يكون تحركنا طغياناً أو دكتاتورية، بل علينا أن نستطيع بين ثلاثة عناصر هي: التحرك الفوري والابتعاد عن الديمانوجية والمحافظة على المصالح «الحقيقية للوطن»، ذلك أن ما جرى عام ١٩٧٨م وما يجري في وقتنا الحالي في بلادنا التعيسة جعلني أخصص لهذا الموضوع صفحات طويلة، لأنه لم يبق في إيران أي أثر للديمقراطية، بل مواجهة يومية دامية بين مختلف الفئات المتصارعة التي لم يبق لديها من مبادئ سوى الاعتماد على بعض الآراء الفوضوية الثورية، الأفكار التي تمكن السلطة من استغلال سلاح الإرهاب، ومنذ عام ١٩٧٨م لم يبق من الديمقراطية شيء وذهبت الحقوق الانتخابية وحل محلها مبادئ المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وهذه هي برأيي الديمقراطية الدامية المشوهة.

■ تعاون مع الغرب:

وفي الوقت الذي بدا فيه أن إيران أخذت تبتعد بل تنمسح من الوجود عرف العالم الغربي منا قريبين منه عندما كنت لا أزال في الحكم والحقيقة أننا كنا قريبين جدًّا من عائلة الدول المتقدمة كانت لدينا مع الدول الغربية روابط تكنيكية وثقافية وعقائدية، مضافاً إليها الشيء الكثير من الارتباط الداخلي الاقتصادي الذي يتفق مع مصالحنا، وبذلك نكون قد انتمينا إلى الأساليب الديمقراطية الغربية، وكان بيننا اتفاق كامل

وتعاون وثيق مع شركائنا من الدول الأوروبية، فقد كان حجم المبادلات التجارية بيننا مرتفعاً جدًّا سواء من ناحية التعاون النفطي أو شراء الأجهزة والمعدات، وقد توسعنا من ناحية أخرى في تعزيز التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفياتي الذي كان يشتري من إيران سنويًّا (١٣) مليار متر مكعب من الغاز، وبذلك كنا نصدر الغاز إلى مناطق القوقاس التي لا يصلها الغاز السوفياتي في حين أن الاتحاد السوفياتي كان يبيع بالمقابل باسمنا عشرة مليارات متر مكعب من الغاز الخاص به والذي يصل إلى أوروبا عن طريق تشيكوسلوفاكيا وان لدينا احتياطي من الغاز يكفينا حوالى (٣٠٠) سنة. واشتركنا كذلك في عدة مؤسسات صناعية كبرى في أوروبا منها مجموعة (بابكوك) ومجموعة (كروب) فقد كنت أرغب أن تدخل إيران في ادارة هذه المؤسسات الصناعية الضخمة وأن تشترك في التكنولوجيا الغربية عن كثب، وأنا في هذا المجال لم أكن ألقي النقود هنا وهناك دون فائدة، بل على العكس فإن صناعة البتروكيماويات قد وصلت إلى مرحلة متقدمة وحصلنا منها على نتائج جيدة جدًّا، لقد كان تعاوننا مع العالم الغربي لتأكيد الاستقرار الاقتصادي في أوروبا ولكي تستطيع الدول الأوروبية أن تتوسع في اعطائنا، نحن الدول المنتجة للنفط، بالمنتجات الصناعية والتكنولوجيا التي ما زلنا عاجزين عن انتاجها كما كانت سياستنا القائمة على التفاهم مع جيراننا.

في منطقة «الخليج العربي» والمحيط الهندي تستند على وجود انسجام حقيقي في المصالح وعلى الاحترام المتبادل للحقوق الوطنية، وتتفق في هذا المجال مع سياستنا تجاه الغرب.

وقد سبق أن قلت في عدة مناسبات أن التضامن الحقيقي بين الدول هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجنب البشرية من التعرّض لمأساة كبيرة أخرى.

■ الخطأ: الحزب الواحد:

وليس بالإمكان أن أقول أن كل شيء كان عظيماً خلال حكمي وهذه التقارير التي أوردتها سابقاً عن الإنجازات التي تحققت لن تكون كاملة إلّا إذا أخذنا بعين الاعتبار العوامل السلبية، وفي عام ١٩٧٤م، الرابع من مارس اقترحت انشاء حزب «النهضة» وكنت استند في ذلك إلى مجموعتين من العوامل ذلك أنه بالنسبة للوقت الحاضر فقد كان على هذا الحزب أن يستوعب وأن يمثّل كل الطبقات الاجتماعية ووجهات النظر المختلفة ويجمعها في عملية بناء إيران وحريتها وهذا يجعلنا قادرين على كسب الأشخاص وكسب الوقت من أجل إنجاح هذه العملية.

وبما أنه لن يكون هناك أية معارضة فإنه لن يكون هناك أشخاص يحاولون التخريب لأن الأحزاب التي يمثلونها سوف تكون أقلية ضئيلة لا تأثير لها، وأستطيع بذلك أن أستدعي للاشتراك بالحكومة كل الأشخاص الذين يتمتعون بالكفاءة اللازمة.

أما بالنسبة للمستقبل فإن حزب النهضة يجب أن يكون مدرسة سياسية. وعقائدية قادرة على إيجاد الجو الجماعي والتعاون بين مختلف الفئات، والحقيقة أن عملية إنشاء الحزب المذكور كان مرتبطاً إلى حد بعيد مع عملية اللامركزية التي كنا قد بدأنا بها من خلال تنفيذ الإصلاح الإداري في البلاد، وكنت أنتظر من حزب النهضة أن يجمع عدّة أهداف رئيسية كنا نتابع تنفيذها على الصعيد الحكومي، ولكن التجربة التي قمنا بها أثبتت لسوء الحظ فشلها، ولم يستطع نظام الحزب الواحد أن يؤدي الواجبات الملقاة على عاتقه ولكن الشيء الذي يعوّض عن هذا الفشل هو أن الرجال والنساء والشباب منهم بشكل خاص أعطوا ذلك الحزب كثيراً من أوقاتهم ومن جهودهم وبذلوا في سبيل نجاحه الكثير واستحقوا بذلك الإعجاب والاحترام والتقدير.

■ سباق مع الزمن:

لقد تابعنا بالرغم من كل ذلك تنفيذ برنامجنا، ووفق التوقعات فقد كان يلزمنا ثلاث أو أربع سنوات زيادة لكي نحقق أكثر أهدافنا أهمية، ذلك أنه حتى عام ١٩٨٢م تكون مدارسنا العالية التي يبلغ عددها (١٣٧) قد أعطتنا أربع دفعات من الخريجين الفنيين من كل الأنواع، كما أن انتاج الفولاذ في مصانعنا سيبلغ في عام ١٩٨٢م حوالى (٢٥) مليون طن، وهذا الرقم يعادل تقريباً رقم الإنتاج الفرنسي، وقد استطعنا أن نحقق كثيراً من الإنجازات في موانئنا حتى أصبحت تستطيع استيعاب حركة (٥٠٠) ألف طن، كما ضاعفنا مسافات وأطوال الخطوط الحديدية الموجودة لدينا بالإضافة إلى الطرقات العادية.

ومن ناحية النفط فقد كان علينا أن نستمر في الإنتاج على مستوى عال، بالرغم من همومنا ومحاولاتنا لتخفيف استخراج النفط، وبلغ انتاجنا اليومي بين (٥-٦) ملايين برميل من آبارنا لكي نستطيع أن نصل ببلادنا إلى درجة من النمو المناسب حتى نعيش في القرن (٢١) ولكن السؤال هو هل فهم الشعب الإيراني ما كنت أريد أن أفعله في إيران وهل استطاعوا استيعاب النتائج الكبيرة والإنجازات التي ستتحقق في المستقبل...؟ وأنا على يقين أنني لو بقيت في الحكم وتركوني اجتاز بقية السنوات القليلة الخطيرة التي كانت البلاد تجتازها فإن الشعب الإيراني كان سيحصل على فوائد كثيرة ويتنعم بالنتائج الإيجابية الكبيرة التي كنا سنحققها.

■ مجموعة من الظروف:

وفي النهاية، يجب أن أقدم اعتذاري بأنني لم أتعمد إلى بذل الجهود بشكل مكثف للمحافظة على نظام الحكم في إيران من الأخطار التي

هددته، وأنا الآن فقط استطعت أن أتفهم حقيقة الظروف والأحداث التي جرت في البلاد وإلى أي مدى كانت قوة وفعالية الأساليب التي استخدمت ضدي، والحقيقة أن الخطأ الكبير الذي صدر عنّي هو أنني كنت لا أزال متفائلاً في أن يستطيع أفراد الشعب الإيراني تمييز الخطأ والصواب في الأحداث التي أثيرت ضدي، ولكنني كنت مخطئاً في ذلك، لأنه كان يجب أن أقدر أن الحملات الدعائية الكثيفة التي أثارتها الجهات المعنية ووجهتها ضدي لم تكن تستهدف رجال الدولة والمسؤولين، بل تستهدف بالدرجة الأولى الشباب من الفتيان والفتيات والجهلة الذين امتلأت عقولهم بالأوهام.

وأنا على يقين أنه بعد كل تلك الأحداث التي جرت في إيران فإن قسماً كبيراً من هؤلاء الذين انحرفوا بالدعاية ضدي، فهموا الآن حقيقة هذه الأحداث وتطوراتها والأهداف الحقيقية لكل الحملات التي أثيرت ضدي، وفهموا حقيقة السياسة التي كنت أحاول تنفيذها.

في الخامس من أغسطس عام ١٩٧٨م في مؤتمر صحفي إذاعي وتلفزيني أعلنت أنه في نهاية الفصل البرلماني الحالي ستجرى انتخابات حرة جديدة وسيكون موعدها بالتحديد في بداية عام ١٩٧٩م، وأود أن أسجل هنا (٣) ملاحظات: أولها أنني عندما قلت ذلك كان في طهران حكومة مسؤولة، أما الآن فكم جهة غير مسؤولة موجودة في البلاد، لا أحد يعرف، كما أننا الآن لا نعرف متى سيمكن اجراء انتخابات جديدة في الوقت الحالي، وفي النهاية فإنهم إذا سفحوا دستورنا فإنهم حتى الآن لم يطلعوا بدستور جديد، وكل ما فعلوه هو أنهم وضعوا دستوراً صغيراً جدًّا، والذين وضعوه يبلغ عددهم (٧٣) شخصاً من بينهم (٦٠) من رجال الدين.

لقد قيل سابقاً بأنني حاولت تحقيق السعادة للشعب الإيراني غصباً عنه، ولكنني حاولت أن أطلب السعادة للإيرانيين رغماً عن المحاولات

المضادة التي استهدفت تخريب البلاد التي ادعت الإسلام وهي خارجة عنه حتماً حيث اتحدت العناصر السوداء في البلاد بالعناصر الحمراء لتحقيق أهدافهم بتحطيم البلاد وهدم استقرارها.

الفصل السادس والعشرون

التحالف المشبوه(*)

بين السود والحمر في إيران

■ القوى الضاغطة:

لقد لعبت بعض القوى العميلة دوراً مهمًّا في مجرى الأحداث التي كانت بلادي مسرحاً لها خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وفي بعض الحالات كنت أفهم الأسباب التي دعت لحدوث المشاكل المذكورة، ومن هذه القوى لعبت الصحافة دوراً كبيراً سواء على الصعيد الإقليمي أو على الصعيد العالمي، وبعض هذه الصحف كانت تنشر كثيراً من الأنباء البسيطة وتضخمها محاولة الحصول على الإثارة الكافية دون أن يكون لها أية دوافع أخرى، وكان معظم مراسلي الصحف الأجنبية الذين يأتون إلى إيران خلال الأحداث يتصرفون وكأنهم جاءوا لكي يتفرّجوا على سلسلة من المآسي الرهيبة، وكان الواحد منهم يرى اشتباكاً بين رجال الشرطة وشرذمة من الإيرانيين يسقط فيها بعض الجرحى فإنه ينشر النبأ مدعياً سقوط عشرات القتلى ومئات الجرحى.

(*) صحيفة الرأي الكويتية، العدد ٥٨٣٩، التاريخ ٨/ ٢/ ١٩٨٠م، ص١٦.

■ حرب الصحافة:

إن الحرب المقدسة التي أعلنتها القوى الضاغطة ضد إيران وخاصة الصحافة منها لم تكن فقط خلال السنوات الأخيرة، بل استهدفت التشويش على كل ما نعمله منذ زمن طويل، وبالتحديد بدأت هذه الحرب منذ عام ١٩٥٨م، في الوقت الذي بدأت فيه إيران تحاول أن تكون سيدة على بترولها، ومنذ ذلك الحين بدأت الهجمات الشرسة للصحافة العالمية ضدنا، وازدادت هذه الهجمات شراسة في عام ١٩٧٣م، عندما دعوت إلى مؤتمر للدول النفطية وطلبت زيادة أسعار النفط بحيث نبيع ذلك النفط إلى الدول المستهلكة بالسعر الحقيقي، وأتذكر هنا بعض العبارات التهديدية التي وجهتها إلى السيد (سايمون) الذي كان في عام ١٩٧٣م وزيراً للمالية في الولايات المتحدة، وذلك عندما أعلنت عن وجهة نظري ممثلاً عن الدول المنتجة في ما يجب أن يكون عليه سعر النفط، وكانت الصحافة العالمية والغربية منها، بعد ذلك، شديدة القسوة عليّ، ولم يكلف أي مسؤول في الصحافة نفسه عناء وجهداً لكي يحاول أن يتفهم وجهة نظرنا هذه والأساليب الداعية للخطورة التي قمنا بها، فقد كنت في نظرهم «**رجل النفط الغالي**».

■ الشاه هو السبب:

وابتداء من هذا الوقت كانت الحملة التي شنّتها عليّ الصحف تزداد باستمرار وأستطيع أن أتصوّر بوضوح مقدار الغضب الذي كان يشعر به سائق السيارة في العالم الغربي الذي كان يدفع ثمن البنزين اللازم لسيارته بالأسعار الجديدة المرتفعة، ويلتفت إلى الصحف فيرى بالأحرف العريضة مَن يقول له: إن كل هذا العناء سببه الشاه، وهذا السائق سيصدق ذلك بالطبع ناسياً أن الزيادة الحقيقية في سعر النفط تأتي

من العالم الغربي وذلك لسببين أولهما الضرائب الكثيرة التي تحصل عليها حكوماته من جرّاء استيراد النفط، وثانيهما الأرباح الهائلة التي تحصل عليها شركات النفط الغربية الكبرى من جرّاء استيراد النفط الخام وتصنيعه وبيعه بأنواعه المختلفة، وكان هناك نقص كبير في الموضوعية خلال التعليقات التي تكتبها الصحف عنا.

وكمثال على ذلك أذكر الأحداث التالية: تعتبر إيران إحدى الدول التي أيّدت اهتماماً كبيراً بإرسال بعثات كثيرة جدًّا من شبابها وطلابها للحصول على الشهادات اللازمة والخبرات والكفاءات، وكانت تشجع هؤلاء الطلاب على الذهاب إلى الولايات المتحدة بشكل خاص لمتابعة دراستهم فيها، وكان لدينا في مختلف المدن الأميركية أعداد كبيرة منهم، وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٧٧م، قمت بزيارة مع الإمبراطورة مدينة (ويليام سبورغ) في الولايات المتحدة، حيث كان يجب أن أقضي ليلتي هناك، وهناك اجتمع بضعة مئات من الطلبة الإيرانيين لكي يعبّروا لي عن أخلاقهم، وقد وقفت معهم بعض الوقت نتبادل أطراف الحديث، ولكني كنت استطيع أن أشاهد مجموعة أخرى قليلة العدد تقف على جانب المكان ويحمل أفرادها علماً أحمر، وكانوا يلبسون أقنعة على وجوههم والشيء الغريب أن العلم كان يحمل شعار الشيوعية وهو (المنجل والمطرقة) وكان هؤلاء يقفون وهم يطلقون الشعارات المضادة لي والانتقادات وحتى اللعنات والشتائم، وفي الصباح كانت الصحف تنشر أنباء هذه المجموعة وتضخمها معلنة عن ضخامة الفئة التي تظاهرت ضد الشاه وأن أفرادها قد لبسوا الأقنعة خوفاً من (السافاك) البوليس السري الإيراني، ونسيت هذه الصحف أن سبب وضع الأقنعة الحقيقي هو أن معظم أفراد هذه الفئة لم يكونوا من الإيرانيين بل بعض الأشخاص الذين احترفوا مهنة اثارة القلاقل والمشاغبات الذين تمتلئ بها مدن

الولايات المتحدة، كما أن هذه الصحف كانت تنسى دائماً أن الطلاب الذين كانوا يؤيدونني كانوا أكثر من (٥٠٠) شخص في حين أن الطلاب الذين هتفوا ضدي لم يتجاوز عددهم (٥٠) شخصاً فقط، لأنها كانت تنشر أن الطلاب المؤيدين كانوا ضائعين وسط المظاهرات الضخمة التي قامت ضدي، وتكررت نفس القصة عندما قمت مع الإمبراطورة بزيارة واشنطن حيث اجتمع آلاف الإيرانيين الذين يعيشون هناك لاستقبالنا وكان يوجد بينهم مجموعة قليلة من الأشخاص المقنعين الذين يحملون الهراوات والسلاسل يلوحون بها. وبالطبع فإن الصحف في اليوم التالي نشرت هذه الأخبار وضخمتها كثيراً، بل أن إحداها تساءلت: من الذي دفع نفقات سفر هؤلاء الإيرانيين الذين جاءوا عن السؤال الحقيقي وهو من الذي يحرك هؤلاء الأشخاص المقنعين. . .؟ وبالإضافة إلى كل ذلك فإن طلابنا بكافة فئاتهم كانوا يتعرضون إلى حملات إعلامية رهيبة وإلى ضغط نفسي فظيع من أجل تغيير وجهات نظرهم ودفعهم إلى صفوف المعارضة.

■ الإذاعة البريطانية:

أما حرب الإذاعات ضدي فقد كانت ممثلة على أكمل وجه في ما كانت تقوم به الإذاعة البريطانية المعروفة (بي. بي. سي) التي كانت تبث بعض البرامج والفقرات باللغة الفارسية، وقد بدأت هذه الإذاعة منذ عام ١٩٧٨م هجمات قاسية ضد نظام الحكم في إيران، وكان هناك موسيقاراً يحمل عصاه يؤشر بها إلى الفرقة الموسيقية هنا وهناك مطلقاً بوقاً أو طبلاً أو غير ذلك، وكانت معظم الأنباء التي تذيعها هذه المحطة والتي تتضمّن الهجوم المركز عليّ، تنسب إلى مراسلين يعيشون في قلب إيران، وهؤلاء كانوا يضخمون كل الأحداث التي يرونها عدة مرات قبل أن تُذاع من

المحطة المذكورة، وأنا على يقين أن أصحاب بعض الصحف قد حصلوا على ثروات هائلة من جرّاء استغلالهم للأحداث التي جرت عندنا ولأنهم كانوا يقولون إذا وقعت في أحد الحوادث فإنه قد حدثت مذبحة،

ومن ناحية أخرى، إذا كانت الصحف التي تكلمنا عنها قد عاملتني بهذه الطريقة واستغلت كل شيء ضدي، فإننا لا نستغرب مطلقاً تلك الهالة الدعائية الكبرى التي أحاطت بها هذه الصحف الكلمات التي كان يقولها ذلك الشيخ الكبير في السن الذي كان قد اتخذ من (نوفيل دي ساتو) ونداءاته التي كان يدعو بها إلى القتل والتدمير، وأعني به هنا (الخميني) وقد كنت أستطيع أن أطلب من الحكومة الفرنسية أن تدينه وتطرده من فرنسا في صمت، ولكن لم يكن الأمر بالنسبة لي جديراً بالاهتمام طالما أنه يقوم بتنفيذ أوامر خارجية من جهات أجنبية كانت قد أدانت نظام الحكم في إيران وأخذت تسعى إلى إسقاطه بشتى الوسائل.

■ **بعض الموضوعية:**

ومن خلال حديثي عن الصحف فأنا لا أستطيع أن أكون عاماً في كلامي فقد كان هناك عدد منها تتخذ موقفاً حياديًّا، وحاول أصحابها أن يكونوا على شيء من الموضوعية والعقلانية خلال محاولتهم لعرض الأحداث التي كانت بلادي مسرحاً لها ومن خلال تعليقهم عليها.

وعلى العموم، فإن كل الصحف العالمية، سواء كانت معادية لي أو مؤيدة، كانت تملك الحرية في إرسال ما تشاء من المراسلين إلى إيران حيث يستطيعون مراقبة الوضع على الطبيعة، يشاهدون الأماكن التي يرغبون ويكتبون ويرسلون الرسائل التي يريدونها إلى صحفهم، ويمكن أن أطرح السؤال التالي: إذا كنت أعطي مراسلي الصحف تلك الحرية الكاملة في جولاتهم في البلاد وتكلموا عليّ بهذه الطريقة، فكيف

ستكون هجماتهم ضدي لو كنت أغلقت الحدود ومنعت قدوم الصحفيين، كما هي الحال الآن؟ هذا بالإضافة إلى أن التلفزيون الإيراني كان يعرض على شاشته كل الأحداث التي كانت تدور في طهران واستمر في ذلك حتى الأسبوع الأخير من بقائي في الحكم.

■ سيناريو خيالي:

وقبل قليل من سفري إلى الولايات المتحدة، وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٧٧م، جاء إليّ السيد (ارنولد بورشفريف) من مجلة نيوزويك، حيث اجرى معي حديثاً مطولاً طلب فيه رأيي حول «**سيناريو خيالي**» **جرى وضعه في بعض المدارس العسكرية الغربية وكان هذا السيناريو على الشكل التالي**:

«استلم الحكم في إيران بعد هذه الأحداث بعض اليساريين، ثم تعرض بعد ذلك إلى تهديد حقيقي، فنادى الاتحاد السوفياتي وطلب المساعدة، وأرسلت موسكو المساعدة المطلوبة واشتعلت الحرب في كل المنطقة ثم سألني مراسل النيوزويك بعد ذلك: ما هو رأيك حول رد الفعل عند الولايات المتحدة؟ وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الموقف الأميركي السابق تجاه فيتنام وزائير وأنغولا...».

الفصل السابع والعشرون

هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يحكمون البلاد الآن(*)

سيقدمونها هدية إلى الشيوعيين

■ **معاهدة بين إيران وأميركا:**

في نهاية الحلقة الماضية سألني السيد (ارنولد بورشيفريف) مراسل مجلة نيوزويك الأميركية: ما سيكون برأيك موقف الولايات المتحدة لو قام في إيران حكم يساري وتدخل السوفيات لحمايته وأشعلوا الحرب في منطقة الخليج؟

وذلك إذا نظرنا إلى رد الفعل الأميركي تجاه أحداث فيتنام وانغولا وزائير وغيرهما.

قلت له مجيباً على سؤاله: يبدو أنه يوجد أميركيون كثيرون ومن بينهم بعض البرلمانيين ما زالوا يجهلون أنه توجد اتفاقية ثنائية هامة بين الولايات المتحدة وإيران، وهذه الاتفاقية تنص على أنه بعد التشاور بين البلدين، يحق للحكومة الأميركية التدخل الفوري لمساعدتنا إذا وقعنا ضحية هجوم قام به الشيوعيون أو أية جهة أخرى مدفوعة من قبل الشيوعيين وعلى الولايات المتحدة في هذه الحالة أن تقرر في ما إذا كانت ستقوم بالوفاء بالتزاماتها في هذا الشأن، علماً بأنه في ما يخصنا

(*) صحيفة الرأي الكويتية، العدد ٥٨٤٠، التاريخ ٩/ ٢/ ١٩٨٠م، ص٢٠.

من هذه الاتفاقية سنقوم بالالتزام بتعهداتنا كلها. ولكن مراسل النيوزويك أصر على سؤاله الأول قائلاً:

ألا تعتقد أن الولايات المتحدة تستطيع أن تجد الوسيلة المناسبة للتفاهم مع الاتحاد السوفياتي والمحافظة على الوفاق في حالة إذا لم يكن هناك أي تهديد مباشر للنفط الذي يتم إرساله من المنطقة إلى الغرب...؟

وكان جوابي كما يلي: كيف سيكون حدود التدخل الأميركي، هل ستدخل واشنطن الحرب؟ إن ذلك سيكون متعلقاً أولاً وآخراً بمدى الاهتمام الذي تعيرونه لمصالحكم في هذه المنطقة في المستقبل وإلى مدلا ما تشعرون به من الالتزام بالاتفاقيات التي عقدت معكم وعلى سبيل المثال عندما ترون نظاماً حليفاً لكم ينقلب.

وفي النهاية بعد أن جرى الحديث حول الديون التي غرقت فيها الدول السائرة في طريق النمو والتي وصلت آخر الأمر إلى (٢٥٠) مليار دولار، قالت النيوزوي أن مجموعة من الدول الأوروبية قررت أن تسقط ملياراً واحداً من ديونها على الدول الفقيرة وأن هذه الدول تنتظر من الدول الغنية أن تسقط ديونها كلها، وقد أبديت شكي في أن يتم هذا الأمر ولكني أوضحت وجهة نظري من هذا الموضوع بقولي: لقد وضعت كثيراً من الأمل على الحوار الذي يقوم بين الشرق والغرب والذي حقق نتائج إيجابية محدودة، وأنا أعتقد أن العالم الغربي لا يملك القوى اللازمة التي يمكنه بواسطتها الغاء ديون الدول الفقيرة كلها، ولن منذ الآن وحتى نهاية القرن الحالي، إذا لم يتوصل هذا الحوار إلى ايجاد صيغة جديدة للتعاون بين الشرق والغرب فإننا سنذهب إلى الحرب، وأعتقد أنه ليس من الأخلاق في شيء وليس من الحكمة والعدالة، ومن الخطر بمكان أن تكون نسبة عشرة بالمائة فقط من سكان العالم باسطة يدها على (٩٠٪) من العالم من ناحية الثروة العالمية.

ثم أوضحت للنيوزويك فكرتنا حول هذا الموضوع قائلاً أن إعادة توزيع الثروة في العالم لن يحل مشاكلنا كلها إلّا للفترة المقبلة التي لا تزيد عن أربع أو خمس سنوات أن ما يجب أن نعمله الآن هو مساعدة الدول السائرة في طريق النمو لخلق مصادر جديدة للثورة تستطيع أن تسد بها على الأقل حاجاتها الضرورية، وأعتقد أن الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية واليابان هي الجديرة بإجراء ذلك. وبالإضافة إلى ذلك فإن دولاً شيوعية عديدة أثبتت قدرتها لأن تلعب دوراً هامًّا في هذا المجال، لأنها تملك ثروات ضخمة من جميع الأنواع والتكنولوجيا اللازمة وهم يبيعون العالم الثالث كميات كبيرة من المنتجات بنفس السعر الذي تباع فيه المنتجات الغربية، وأعتقد أن هذه الدول يجب أن تشارك في تحمل مسؤولية مساعدة الدول السائرة في طريق النمو، مثلها مثل الدول الغربية واليابان.

■ عودة إلى الأحداث الداخلية:

خارج إيران كانت الأحداث التي جرت عام (١٩٧٨-١٩٧٩م) تبدو للجميع وكأنها نتيجة حتمية للجهود التي بذلها رجال الدين (الملا) الذين يبلغ عددهم في إيران حوالى (٦٠) ألف شخص، وفي هذا المجال يجب أن نعود حوالى نصف قرن من الزمان، عندما حاول والدي عام ١٩٢٥م اعلان الجمهورية الإيرانية، ويومها اصطدم بمعارضة شديدة من قبل رجال الدين الذين كانوا يتمتعون في إيران بسلطات روحية واسعة كانت تعطيهم المجال لممارسة سلطات دنيوية أيضاً، وكانوا يعتقدون أن الحكم الجمهوري يتعارض مع أحكام الدين الإسلامي.

وعندما أصبحت إمبراطوراً بعد تخلّي والدي عن الحكم، أقسمت على أن أكون أميناً ومخلصاً للدستور وأن أدافع عن مذهبنا الشيعي الخاص

بالأئمة الاثني عشر، وأطلق على لقب الحاكم والحامي للإيمان والسلطة الدينية، وأخذت منذ ذلك الوقتأوزع جهودي ما بين واجباتي نحو الدين الإسلامي عاملاً بالتعاليم التي يفرضها الكتاب المقدس (القرآن الكريم) وبين واجباتي كإمبراطور نحو كافة أفراد الشعب الإيراني في ما يتعلق بالعدالة والتقدم، وقد شرحت سابقاً كيف اصطدمت مع حفنة من رجال الدين أكثر من مرة خلا محاولاتي وجهودي من أجل تنفيذ البرامج الإصلاحية التي رسمتها من ناحية الزراعة ومن النواحي الثقافية والاجتماعية وخاصة ما يتعلق بحقوق المرأة ومشاركتها ودورها الفعال في المجتمع، ولكني من ناحية أخرى كنت متأكداً أنه مقابل هذه الحفنة من الرجال المغالين في تعصبهم كان يوجد عشرات الآلاف من رجال الدين عندنا كانوا يؤيدون بإخلاص سياستنا ويتفهمونها ويقدرونها وشاركونا في جهودنا في طريق التقدم، وبرهنوا في أكثر من مناسبة على تأييدهم وحماسهم.

وكمثال على ذلك أذكر أنه في ربيع عام ١٩٧٨م (كنت أقوم بالحج في الأماكن المقدسة في (ما شاد) كما هي العادة كل عام، وهناك كان الاستقبال الذي لقيته حارًّا جدًّا من قبل الشعب ورجال الدين الموجودين من خلال حديثي معهم أنهم يقدرون ويحترمون وجهة نظري والخطط التي وضعتها للنهوض بالبلاد، وأنهم مخلصون جدًّا في مساعدتهم لي على تحقيق ذلك.

■ لا علاقة لرجال الدين:

وأنا على يقين أن الأحداث التي جرت في إيران لم تكن بسبب الأوساط الدينية في البداية بل أنها انطلقت في نهاية عام ١٩٧٦م بين الأوساط التحررية واليسارية الذين كانوا يستمدون قوتهم من المساعدات

التي يتلقونها من بعض المصادر الخارجية التي كانت تريد الخراب لإيران، بالإضافة إلى مجموعة من المنفذين القدامى من الإقطاعيين وكبار أصحاب رؤوس الأموال الذين أزعجتهم الإصلاحات التي قمت بها، وقد بدأ تدخل رجال الدين في هذه الأحداث في بداية عام ١٩٧٨م عندما ظهرت مجموعة من (الملا) في وسط المشاكل التي ما لبثت أن أوقعت الخراب والفوضى في البلاد، وزادت حدّة تأثير رجال الدين عندما انقادت مجموعة جديدة منهم لزملائهم الذين تورطوا في البداية بطريقة أو بأخرى وانساقوا في التيار الفوضوي الجنوبي الذي سيطر بشكل عام على البلاد، وبالتأيد فإن قسماً كبيراً منهم انساق مجبراً إلى المشاركة في الأحداث، أما بواسطة عزوفه عن محاولة اعتراض التيار العام في البلاد وإما بسبب خوفه من التهديدات التي وجهت إليه من قبل بعض الفئات الضاغطة، وكان الصوت الضعيف الذي صدر في (نوفيل لوشاتو) بفرنسا هو الذي سبب الحركات التي قام بها رجال الدين والذي بدأ ضعيفاً ثم استغل من قبل بعض الجهات فتعالى وانتشر تأثيره خاصة عندما أعتقد الناس أنه يتكلم باسم الله، وأنا مقتنع تماماً أن الأغلبية من رجال الدين أخذوا في الوقت الحالي يشعرون بالأسف والفجيعة على الأحداث التي أصابت شعبنا، وأنا لا أتكلم فقط عن النتائج المؤسفة التي أصابت ذلك الشعب من ناحية الضحايا، بل من ناحية العائلات التي انفرطت وتوزعت هنا وهناك خائفة قلقة تبحث عن معونة فلا تجدها، إنني أتلم عن العدد الكبير من العاطلين عن العمل الذين يبلغ عددهم أكثر من أربعة ملايين شخص، والذين أطاحت بهم الفوضى الاقتصادية التي حدثت في بلادنا التي كانت قبل عام واحد فقط تقدم فرصاً جيدة للعمل إلى حوالى مليون عامل وموظف أجنبي. إن الذين يخدمون الله فعلاً لا بد أن يشعروا بالأسف والأسى وهم يرون المبادئ الدينية والإسلامية المقدسة تستغل على هذا الشكل.

■ الشيوعيون ينتظرون:

إنني لا أستطيع الآن أن أتكلم عن شعور أولئك الذين يبدون في الظاهر أسياد الموقف، فهم بالإضافة إلى الأخطاء التي ارتكبوها والجرائم التي حدثت باسمهم والتي نسبت ظلماً إلى التعاليم الإسلامية، هم يعتقدون أنهم كسبوا المعركة، ولكن أرجو منهم أن يفهموا أن الثورة التي قاموا بها ويعتقدون انها نصر كبير لا علاقة لها بالانتصار للذين وبالله على الأطلاق، لأنها لا تخدم سوى قوى الشر والظلم والسوء. لقد ضمّوا ضيوفهم مع صفوف جماعة من الناس المأجورين المدفوعين من قبل بعض الجهات الخارجية، ولم يكن للحزب الشيوعي في الأعوام ٧٧، ٧٨، القوة الكافية لتنفيذ المخطط المرسوم، ولذلك فقد تعاون مع رجال الدين الذين عميت أعينهم وأمدوهم بالقوى اللازمة وسايروهم لخلق الفوضى، لأن الحزب الشيوعي لا يستطيع العيش والنمو إلّا إذا كانت البلاد مليئة بالفوضى والبؤس والعاطلين عن العمل والحقد، وهذه هي تماماً حالة البلاد والآن وهي الهدية الكبيرة التي سيقدمها هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يحمون البلاد الآن إلى الشيوعيين الذين ينتظرون عندما تحين اللحظة المناسبة لينقضوا على الحكم. وأعتقد أنهم لن ينتظروا طويلاً.

الفصل الثامن والعشرون

هكذا بدأ الإرهاب في إيران(*)

انساق أصحاب العمائم السوداء إلى نداء الشيوعيين

وتمّ الاتحاد بين السود والحمر ضد النظام

■ **بداية الإرهاب:**

الصحافة العالمية لم تكشف الحوادث الإرهابية التي تحدث في إيران إلّا في عام ١٩٧٨م، إلّا أنه جرت عدة حوادث من هذا النوع خلال السنوات السابقة، وكانت هناك محاولات اغتيال سياسية عديدة استهدفتني وساتهدفت وزرائي وقواد جيشي. وبالنسبة لي فقد نجوت بأعجوبة من الموت مرتين، الأولى كانت عام ١٩٦٤م في العاشر من أيلول، وذلك عندما حاول جندي شاب يدعى (شام عبادي) أصابتني عندما كنت أعمل في مقصورتي وقد مرّت رصاصة لحسن الحظ قربي ولمستني فقط، ولكي يستطيع الوصول إلى المقصورة فقد قتل بستانيًّا كان يعمل عندي وجرح حارسين جروحاً قاتلة وقد قتل أثناء محاولته الفرار. وقد دلّت التحريات التي أجريناها على أنه كان مدفوعاً من قبل منظمة يسارية متطرفة، وقد تمّ العثور على الدماغ الذي خطط للعملية وكان شخصاً يدعى (نيخاه) فحوكم وأدين وحكم عليه بالسجدن عشر سنوات ثم عفوت عنه، وقد تبيّن في ما بعد أن أعوانه كانوا كلهم من

(*) صحيفة الرأي الكويتية، العدد ٥٨٤١، التاريخ ١٠/٢/ ١٩٨٠م، ص١٦.

المهندسين الشباب الذين درسوا في جامعة مانشستر في الولايات المتحدة، وقد عفوت عنهم بدورهم.

وبعد ذلك، في السابع من مارس عام ١٩٥١م قتل رئيس الوزراء الجنرال (رازمارا) وهو في الجامع الكبير يصلي، وقام بالعملية شخص مهووس دينيًّا. ثم في شهر يناير من عام ١٩٦٥م قتل رئيس الوزراء علي منصور وكان القاتل غالباً في كلية الشريعة واسمه محمد بخارى، وبالإضافة إلى ذلك فقد تمّ اغتيال عدد من القادة العسكريين من بينهم الجنرال (مولافي) والجنرال (طاهري)، وفي عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣م تمّ اغتيال ثلاثة عسكريين أميركيين برتبة كولونيل في شوارع طهران، ومن المؤلم أن نحصي عدد الذين اغتيلوا في هذه الحوادث خاصة وأنهم كانوا على درجة كبير من القدرة والكفاءة، بالإضافة إلى وجود ضحايا تقع على الهامش من خلال تنفيذ عمليات الاغتيالا ومن بينهم سائقو تكسي وأناس أبرياء يتصادف مرورهم في مكان الحادثة وغسالو السيارات إلخ. . .، وفي نهاية عام ١٩٧٦م تلقى الإرهابيون والفئات التي تعمل ضد النظام مساعدة كبيرة من الخارج جاءت عن طريق الصليب الأحمر العالمي وجمعية القانونيين العالميين وبعض المنظمات الدولية الأخرى التي تمارس نشاطات مشابهة، وذلك عندما طلبت هذه الجمعيات ارسال لجنة خاصة للقيام بالبحث والاستقصاء عن الحالة العامة في إيران. وقد قبلت ذلك الطلب على الفور ورجوت هذه اللجنة أن تشاركنا وإن تطلعنا على ملاحظاتها وانتقاداتها واقتراحاتها، وبالفعل فقد اقترحت علينا هذه اللجنة اجراء عدة اصلاحات فأخذناها بعين الاعتبار، وبالرغم من الحملات الصحفية العالمية الكبرى التي أحاطت بزيارة هذه اللجنة إلى إيران والاتهامات التي سيقت ضدنا من قبل بعض الصحف العالمية، إلّا أن هذه الصحف لم تظهر أي اهمام بنتائج التحقيق التي أجرته اللجنة المذكورة لأنه كان ايجابيًّا ومؤيداً لنا.

■ السياسيون يخرجون من الظل:

في بداية عام ١٩٧٧م اتخذت الأحداث اتجاهاً غريباً ومثيراً للاهتمام، ذلك أن الحوادث الإرهابية قد توقفت فجأة في إيران، وقد فهمت على الفور أن هناك شيئاً آخر يجرى تحضيره، وبالفعل فقد تبيّن لي بعد ذلك أن السياسيين الذين كانوا خلالا لأحداث الماضية في الظل ما لبثوا أن بدأوا تحركاتهم بصورة علنية، وقد تبيّن لهم أن الإرهاب الذي قاموا به لم يؤد إلى النتائج المطلوبة، ولذلك فيجب أن يتم اللعب بطريقة أخرى هي الطريقة السياسية، وكان ذلك كله مرتباً بطريقة جيدة ومتناسقة، وكانت التحركات الأولى في هذا الميدان بواسطة أصحاب رؤوس الأموال والإقطاعيين الذين تضرروا من الحركات الإصلاحية التي قام بها النظام، الذي سمع لهم بممارسة الأعمال التي يريدونها بعد ذلك، فشكلوا مجموعات ضاغطة ومنظمات تحررية وأصبح للقسم الأعظم منهم علاقات جيدة مع الدول الغربية، فبدأوا بمضاعفة التصريحات الديمانوجية التي كانوا يطلقونها في كل مناسبة وبدأوا يتحدثون بحرارة عن الحياة الديمقراطية البرلمانية الحقيقية والأوضاع العامة التي تسود في البلاد وذلك في حملة عنيفة من الانتقادات الموجهة ضد النظام ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الديمقراطية التي حاولت تطبيقها في إيران كانت صحيحة وتهتم بالدرجة الأولى بتأمين مصلحة البلاد العامة وتأكيد استقلالها في كل الميادين، كنت أريد ديموقراطية حقيقية تختلف عن هذه الأشكال المشوّهة والسخيفة من الديمقراطيات التي كانت معروفة والتي كانت مسرحاً تلعب فيه الأحزاب مختلف اللعبات السياسية، وقد بدأت التحركات التي قام بها السياسيون والحملات الإعلامية التي تمّت بواسطتهم حول الدعاية للديمقراطية والحرية، تحدث بعض التأثيرات الضارّة على البرنامج الذي كنت أقوم بتنفيذه من أجل تحقيق التحرر

المناسب للمواطنين بصورة تدريجية، وقد توصلت في النهاية إلى قناعة تامة بأنني أسير في طريق خاطئ ذلك أنني كلما تقدمت خطوة في طريق تحقيق المزيد من الحرية كلما زادت خطورة الحالة الداخلية في البلاد، وكل حركة أقوم بها في هذا المجال سوف يجرى تفسيرها من قبل أعداء النظام على أنها عبارة عن علامة تدل على ضعفي أو ضعف الحكومة التي تحكم باسمي.

■ طريقة جديدة للصراع:

إن الأشخاص الذين كانوا يحلمون بأن يحصلوا على السلطة سيجدون أنفسهم بدون شك يجابهون الأمور بطريقة تختلف عمّا كانوا يظنون، ذلك أن الإنجازات الموجودة أمامهم ستستغرق وقتاً طويلاً، لذلك فقد كان عليهم أن يستعينوا بجهات جديدة تزيد من سرعة هدم النظام القائم، وعلى هذا الأساس فقد بدأنا نرى بعض أصحاب العمائم السوداء من رجال الدين والملا يظهرون وسط الأحداث الأمر الذي يدل على أن الاتحاد بين السود والحمر أصبح شيئاً واقعاً واتفق الطرفان المتناقضان على هدم الحكم في إيران. وقد جرت أول حركة احتجاج من رجالالدين بتاريخ السابع من يناير عام ١٩٧٨م في مدينة قم عندما اجتمع عدد منهم على قبر (معصومة) أخت الإمام رضا. وكانت النتيجة وقوع ستة قتلى وعدد لا بأس من الجرحى الأمر الذي جرى تضخيمه كثيراً من الصحف العالمية، وابتداء من هذه اللحظة بالذات، بدأ الصراع .يأخذ تتيكاً جديداً .يسمح للجهات الموتورة بتحريك الجماهير في كل مكان خلال أربعين يوماً تلت هذه الحادثة، وكانت الحشود الجماهيرية تخرج في مسيرة احتجاجات ضخمة كل يوم، ولأن هذه الحشود الجماهيرية تخرج في مسيرة احتجاجات ضخمة كل يوم، ولأن هذه الحشود كانت

تتميّز بالشراسة والعنف فقد كانت تقع حوادث عنف جديدة عند كل مسيرة، وفي اليوم التالي تقوم مسيرة احتجاج على القتلى والجرحى الذين ذهبوا ضحية المسيرة السباقة.

وهكذا كانت تستمر هذه العملية يوماً بعد الآخر وبذلك وصل الغضب لدى أفراد الشعب الإيراني من السلطة إلى ذروته ولم يعد بالإمكان اطفاءه بسهولة، وحسب التقاليد الإسلامية المعمول بها عندنا فإن أهل الميت وأقرباءه يجب أن يتواجدوا كل يوم على قبره ولمدة ثمانية أيام، وفي كل يوم كانت التجمعات تحدث فوق القبور لتبدأ المسيرات منها، وكانت الجهات الموتورة تستغل هذه الجموع بدون رحمة وبقسوة شديدة وتدفع بأهالي الموتى مستغلة حزنهم وحقدهم في مسيرات تشتعل فيها أعمال العنف تاركة المجال لسقوط المزيد من الضحايا، والأنطى من ذلك أنه كان في بعض الأحيان تجرى عمليات استغلال من نوع آخر، ذلك أنه في كل يوم كان يوجد عدد من الأشخاص الذين يموتون بصورة طبيعية في مختلف انحاء البلاد، ولكن الأطراف الموتورة كانت تقوم باستغلال هذه الوفيات مدعية بأن الأشخاص الذين شيعت جنازاتهم هم من ضحايا السلطات وبذلك كانت تتضاعف النقمة ضد النظام وضد رجال (السافاك)، المخابرات الإيرانية، كما أنه كانت تجرى حالات أخرى تعمد بها الجهات الموتورة إلى استعمال نوع من الأدوية الحمراء اللون (ميركوركروم) تصبغ بها وجوه وأيدي وأجسام بعض المواطنين حيث يأتي المصوّرون لتصويرهم ويضاف كل ذلك إلى ضحايا النظام الحاكم بإيران وإلى (السافاك).

■ استغلال الطلاب:

والشيء الذي لا يمكن أن أغفره لصيادي الفتن ومسببي الشغب هو

أنهم استعملوا الشباب والطلاب للوصول إلى غاياتهم، فقد كانوا يفتشون عن المجموعات الضخمة التي يمكن أن تشكل عاملاً حاسماً في تحقيق أغراضهم وقد وجدوها في الجامعات ثم في المدارس الثانوية العادية، واستطاعوا لسوء الحظ أن ينجحوا في جذب الطلاب إلى صفوفهم، وأنا بالطبع لم أكن أنتظر من شبابنا أن يكون لديهم شعور بالانتماء إلى النزعة المحافظة في الحكم، بل كانوا يحملون أفكاراً مثاليًّا تدعو إلى تحسين الأوضاع في المجتمع الذي يعيشون داخله، ويمكن للأذكياء أن يسوقوا عشرات الآلاف من هؤلاء الطلاب باسم العدالة والحرية وبقية التعابير الرنانةى وأن يحققوا انتصارات كبيرة ضد النظام. ولكن الخطر يكمن هنا أن هؤلاء الطلاب سوف يجتازون مرحلة صعبة جدًّا عندما تصطدم مبادئهم بصخرة والواقع يرون أن الأمور تختلف كثيراً عن الأفكار التي كانوا يحملونها. وكان الخطأ الكبير الذي ارتكبته في هذا المجال هو أنني لم أحاول استعمال الوسائل التي تملكها الحكومة للجهاد ضد محاولات ادخال الطلاب وزجّهم في زخمة الصراعات، وأنا على يقين بأن كثيراً منهم كانوا سيستمعون إلى صوت العقل ويحكمون ضمائرهم ويعودون عن الخط الذ كانوا يسيرون به.

الفصل التاسع والعشرون

حاولت تطبيق الديمقراطية فاعتبروا ذلك ضعفاً من السلطة(*)

حقيقة السافاك وسلطاتها والدور الذي قامت به

■ **بين الحرية والضعف:**

في شهر أغسطس من عام ١٩٧٧م اخترت السيد (اموزيفار) رئيساً للوزراء، وفي ذلك الوقت كانت المشاكل الخارجية تشغل بالي كثيراً، وبشكل يفوق اهتمامي بالأحداث الداخلية، وكنت أعتقد وأتمنى أن يكون ذلك هو الاختيار الصحيح بأن أضع على رأس الحكم في إيران رجلاً يتمتع بخبرة كافية وصوت مسموع في الأوساط السياسية والاقتصادية الخارجية، لأن السيد (اموزيفار) كان ممثّل إيران في معظم الاجتماعات التي عقدتها منظمة (الأوبيك).

وكان اموزيفار مهندساً أنهى علومه في الولايات المتحدة حيث بقي محتفظاً بصداقات وطيدة هناك، وقد استطاع بفضل خبرته وكفاءته أن يصل إلى منصب السكرتير العام لحزب النهضة. ولم يكن قراري بتغيير رئيس الوزراء السيد أمير عباس هويدا يعني أنه لم يكن كفوءًا لهذا المنصب، بل على العكس فقد كان هويدا بثقافته وسعة اطلاعه خادماً أميناً للبلاد خلال (١٣) سنة، ولكن تطوّر الأحداث لم يكن يتفق مع وجود شخصية مثله في

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٤٢، التاريخ ١١/٢/١٩٨٠م، ص١٦.

الحكم، ولكي أبرهن له بأنني ما زلت أوليه ثقتي الكاملة فقد جعلته وزيراً للبلاط، وهو منصب يجعل السيد هويدا مني دائماً بحيث أحادثه وأستشيره باستمرار.

ومنذ أن تشكلت الحكومة أعلنت أنه سيجري العمل على تطبيق مبدأ ضمان الحرية لكل المواطنين ولن بشرط أن لا تسبب هذه الحرية خراب البلاد، وفي الخامس من أغسطس عام ١٩٧٨م، أي بعد عام من وصول السيد أموزيفار إلى الحكم، كنا نحتفل بمناسبة «يوم الدستور» حيث أعلنت أن إيران ستبدأ منذ الشهر القادم مسيرتها لتحقيق نظام ديمقراطي في الحكم شبيه بالأنظمة المعمول بها في الدول الغربية، ولكي أبرهن بأن كلامي ليس مجرّد وعود غامضة لا يدري أحد نتيجتها فقد أعلنت أن الانتخابات النيابية المقبلة في البلاد ستجرى بالتأكيد خلال عام ١٩٨٠م، وأوضحت بالإضافة إلى ذلك إلى أن كل من يعارض الحكومة الحالية يمكن أن يرشح نفسه للانتخابات المقبلة وأن يعمل بالاستعداد لها بين الناخبين والناخبات بشرط يتقيّد ويحترم أحكام الدستور.

وإذا كنت أشعر بأي شك في نية السياسيين لما سمحت لهم بمثل هذه الحرية، ولكنهم كانوا لا يهدفون سوى قلب النظام ووجدوا في ذلك فرصة ذهبية لا تعوّض، وقد برهن لي المسؤولون في الحكومة على هدفهم هذا في الأيام التالية، وكيف أن هؤلاء رأوا في خطوتي هذه بالسماح لهم بممارسة العمل السياسي بكل حرية ليس سوى اشارة تدل على ضعف النظام، وقد اشتعلت المظاهرات على أثر ذلك في اصفهان، ثم في شيراز وبعدها في طهران.

ثم جاءت الضربة المؤلمة جدًّا في عبدان بعد بضعة أيام وبالتحديد بتاريخ ١٩ أغسطس عندما انفجرت قنبلة في دار للسينم وكانت حصيلتها (٤٧٧) شخصاً لاقوا حتفهم أما اختناقاً أو أحرقوا وهم أحياء، وعلى الأثر

انتشرت الشائعات بأن الحكومة هي التي ضربت هذه الضربة ونسبتها إلى جهات أخرى، وقد هرب مؤلف هذه الحادثة إلى العراق حيث قبض عليه وسجلت اعترافاته ولكن القضية تمّ اخمادها وانطفأت لأسباب سياسية، ووحدة ذلك الشخص الذي يستطيع القول لحساب من قام بمثل هذه الضربة الموجعة والمجرمة.

■ حقيقة السافاك:

منذ أن أظهر الإرهاب في إيران أصبح «السافاك» الهدف المفضل للصحافة العالمية، ولكن المؤسف أنهم لم يتكلموا عنه بطريقة حقيقية فقد نسوا أن رجال «السافاك» لم يتحركوا إلّا بعد أن وصلت الحوادث الإرهابية إلى حد أدى إلى الإسراع في تدخلهم واعطائهم صلاحيات واسعة، وقد وجهت الصحافة العالمية اللوم إلى «السافاك» على أنهم كانوا السبب في تلك الأحداث الدامية وقالوا بأنهم جنّدوا ملايين الإيرانيين بين صفوفهم، وهذا قول سخيف جدًّا، لأنهم وهم الحريصون على النظام والمخلصون له بطبيعة الأمور ما كانوا ليتركوا الأمور تصل إلى حد أن ينهار نظام الحكم وهم يعدون بالملايين، والحقيقة أن عدد رجال السافاك وصل في بداية عام ١٩٧٨م إلى (٣٢٠٠) شخص ولم يتعد أربعة آلاف في نهاية العام، والسافاك منظمة تدعى منظمة الأمن والملومات التابعة للدولة، ويوجد تنظيمات مشابهة للسافاك في جميع بلدان العالم لأن من واجب كل دولة أن تقاوم المحاولات التي تستهدف العبث بأمن البلاد وسيادتها الداخلية والخارجية على السواء، ورجال المخابرات موجودون سواء في الدول الدكتاتورية أو بالدول الديمقراطية، بالدول الشيوعية أو الدول الغربية وأسماؤهم تختلف من دولة إلى أخرى، فتارة يطلقون عليهم اسم (كي. أي. ايه) أو (أف. بي. أي) في الولايات المتحدة

الخ...، والسؤال الآن هو: أليس من حق الحكم في إيران مقاومة الإرهاب كما هو من حق الحكومة الإيطالية مثلاً مقاومة النشاط الذي تقوم به جماعة الألوية الحمراء؟

ومن حق الحكومة الألمانية مقاومة النشاط الذي تقوم به منظمة (بارومانيهوف)، وعندما حدث ذات يوم في المانيا أن انتحر ستة من المسجونين بأن أطلق كل واحد منهم على نفسه رصاصة في عنقه وقتل على الفور لكل لا يعترفوا خلال الاستجواب، تقبلت ل لاصحف العالمية التفسير البسيط الذي قدمته السطلات الألمانية ولم نتساءل كيف وصل المسدس الذي انتحرت به هذه المجموعة إلى داخل السجن وفي الزنزانة ورضي الرأي العام العالمي عن سير هذه المجموعة واعتبرها من المصادفات في تلك الحالة دون أن يبحث في صحتها ودون أن يرسل لجنة لتقصي الحقائق كما فعل في إيران.

■ ضد التخريب الشيوعي:

والحقيقة أن السافاك قام بالأساس لمقاومة التخريب الذي يحدثه الحزب الشيوعي، وذلك بعد التجربة التي ألمتنا بشدّة في عهد مصدق، وليس لي أن أحكم هنا على وجهة نظر الحكومات الغربية بالنسبة للشيوعيين العاملين في بلادها ولكن لا يمكن مشاهدة الأمور من جهة واحدة إذا كان لهذه الدول أو لم يكن لديها مثل تلك الحدود الواسعة مع الاتحاد السوفياتي، وإذا كنت قد توصلت لحسن الحظ أن أقيم علاقات سياسية وتعاوناً اقتصاديًّا واسعاً مع روسيا فإننا يجب أن نتذكر أن قسماً كبيراً من بلادنا كان تحت الاحتلال السوفياتي وأن الجنود السوفيات لم يتركوا بلادنا إلّا في ابريل عام ١٩٤٦م، حيث كان الحزب الشيوعي في إيران (قودة) قد وصل إلى مرحلة من القوة كان يعتقد فيها أنه سيستطيع

استلام دفة الحكم خلال الأشهر الأخيرة من تجربة مصدق، وكان علينا أن نمنعه بكل طريقة ممكنة، لأنه ليس فقط النظام هو الذي كان مهدداً بل كانت سيادة البلاد كلها مهددة، إذن فالسافاك كان قد أوجد من أجل مقاومة النشاط الهدام الداخلي والخارجي الذي يهدّد بالخطر بلادنا.

ومهمة إعداد السافاك أعطيت في عام ١٩٥٢م إلى الجنرال بختيار، الذي استقدم بعض الخبراء من وكالة المخابرات المركزية الأميركية (سي. أي. ايه)، كما تمّ ايفاد مجموعة من رجال السافاك إلى الولايات المتحدة ليتدربوا داخل وكالة المخابرات، كما قامت مجموعة أخرى بالسفر إلى عدد من الدول الأوروبية الغربية للاطلاع على أنظمة المخابرات فيها والتعود والتدرب على الوسائل التي تستعملها المخابرات الغربية في مقاومة الأنشطة الهدامة في الداخل وفي الخارج. وقد استمر بختيار في منصبه حتى عام ١٩٦٢م، حيث كان عليّ أن أفصل ذلك الشخص عن هذه المنظمة لأنه كان طموحاً أكثر مما يجب واستغل جهاز السافا لمصالحه الخاصة، فغادر البلاد وذهب إلى بيروت ليقوم بمؤامراته فيها حيث قتل بعد بضع سنوات.

■ دور السافاك وسلطاتهم:

في إيران كما في غيرها من الدول الأخرى: خونة، جواسيس، مشاغبون ومخربون محترفون، وبطبيعة الأمور فإن الحكومة الإيرانية كان يجب أن تسعى لجمع المعلومات عن نشاط هذه المجموعة من الناس لكي تستطيع الدفاع عن الشعب وعن النظام، وكان ذلك هو دور رجال (السافاك) منظمة لجمع المعلومات ومقاومة التجسس، وكان هؤلاء يهتمون أيضاً بالقضايا الناتجة عن حوادث مدنية عادية إلّا أن هذه المهمة أعطيت إلى رجال الشرطة العاديين، بعد أن طلبت منا اللجان الدولية التي

جاءت إلى إيران لتقصي الحقائق عن رجال المخابرات. وتألف الكادر الخاص للسافاك من مجموعات من العسكريين الموثوق بهم والذين كانوا يقومون بدور مشابه داخل الجيش وداخل البوليس بالإضافة إلى قسم كبير من المدنيين العاديين، وكان مخطئاً جدًّا ذلك القول أن السافاك كانوا يتدخلون في الأحكام القضائية، لأننا كنا نعمد في محاكمنا إلى استعمال كافة الوسائل المعروفة لدى الدول الغربية، فهناك محاكمات عادلة ومحامون وفي الأشهر الأخيرة من عام ١٩٧٨م قامت لجان عالمية بالاطلاع على أنظمة الاستجواب لدينا وأقرّتها، وقد امتد نشاط (السافاك) بل الأمور التي يمكن أن تهدّد النظام والتقدم في البلاد. وحسب الأرقام التي نشرتها الصحف العالمية فإن عدد المسجونين السياسيين في إيران كان يتراوح بين (٣٥) ألف إلى (١٠٠) ألف سجين، ولكن الأرقام الصحيحة الموجودة في السجلات تدل على أنه في الفترة ما بين ١٩٦٨ و١٩٧٧م لم يتم توقيف سوى (٣١٦٤) سجيناً لأسباب سياسية.

■ **قانون العفو:**

في كل البلاد، تلقى مسؤولية قيادة الشرطة ورجال المخابرات على عاتق وزير الداخلية أو وزير الدفاع أو رئيس الوزراء وليس على الملك أو الحاكم أو الرئيس، وفي إيران فإن السافاك مرتبط مباشرة برئيس الوزراء، ورؤساء الدول لا يتدخلون في الشؤون القضائية إلّا عندما يتلقون طلباً من وزير العدل بشأن استعمال حق العفو عن الأشخاص المدانين بشتى التهم، ولم استثنى من هذه القاعدة. وقد علمت في ما بعد أن السيد هويدا، رئيس الوزراء، والجنرالات حسن باكراخان، ونصيري ومقدم وهم كلهم من رؤساء السافاك السابقين أعلنوا خلال محاكمتهم وقبل أن يدانوا ويعدموا أنهم لم يتلقوا مني أية أوامر تتعلق باعتقال أحد من المواطنين أو إدانة

واحد آخر أو أي شيء من هذا القبيل بل على العكس لقد استعملت كل الحالات التي أتيحت لي لاستعمال حق العفو لصالح المسجونين السياسيين حتى أنني استعملت هذا الحق ضد رغبة الحكومة والسلطات المسؤولة أكثر من مرة.

■ **استغلال لا يمكن تجنبه:**

وأنا في هذا المجال لا أستطيع أن أبرر كل الأعمال التي قام بها «السافاك» فقد كان هناك بعض التصرفات الخاطئة، إلّا أننا أعطينا تعليمات دقيقة وواضحة حاولنا بواسطتها أن نمنع أي استغلال في هذا المجال. وعندما جاءت بعثة من الصليب الأحمر الدولي لتقصّي الحقائق بعد سنة تقريباً فتحنا أبواب السجون أمام أعضائها حيث أطلقوا عليّ كافة الإجراءات التي كنا نستعملها، وقد قدم إلينا ممثلو الصليب الأحمر بعض التوصيات في هذا المجال أخذناها بعين الاعتبار وحققناها.

والحقيقة أنه كان يمكن أن نجد عندنا، كما هي الحال في البلدان الأخرى شيئاً من الاستغلال للسلطات الممنوحة لأجهزة المخابرات من ناحية خرق الأنظمة والقوانين، وهذا برأيي شيء لا يمكن تجنّبه ولكن يجب أن نميّز هنا بين الإرهابيين وبين السجناء السياسيين، فإذا كانت قد حدثت بعض حالات الوفاة بين الإرهابيين أثناء عملية الاستجواب فهذا شيء ممكن ولا يمكن تجنّبه، ويمكننا أن نوجه لهؤلاء الإرهابيين السؤال التالي: لماذا قاموا بإشعال النيران أو فجّروا القنابل أو قتلوا بعض المسؤولين...؟ إن هؤلاء الإرهابيين يذهبون نتيجة لأعمالهم.

أما في ما يتعلق بالسجناء السياسيين فإنني لا أستطيع أن أعتبرهم ضمن فئات المخربين والمشاغبين، وأنا أؤكد أن هؤلاء عوملوا بطريقة قانونية تماماً، ولا يوجد أحد يمكن أن يذكر لي اسم أحد رجال السياسة

الذي تمّت تصفيته بواسطة رجال السافاك، بل على العكس ففي عام ١٩٧٨م، عمد الجنرال أزهري رئيس الوزراء في ذلك الوقت إلى اعتقال رئيس السافاك السابق وحوالى (٣٠) شخصاً من هذا الجهاز وحاكمهم بتهمة العبث بقوانين البلاد، ولم أتدخل في المحاكمة وتركت العدالة تأخذ مجراها في هذا المجال، ويمكننا مشاهدة الفرق بين ما كانت الحالة عليه في ذلك الوقت وبين الحالة التي هي عليها! الآن حيث جرت محاكمة صورية لعدد كبير من المسؤولين وحكم عليهم بالموت وقتلوا.

إن الصحف العالمية هلّلت وأشادت الآن بالذين يحكمون إيران وحوّلت المجرمين إلى أبطال للحرية والمخربين الشيوعيين إلى دعاة للديمقراطية ومدافعين متحمسين عن حقوق الإنسان. من الذي يستطيع الآن أن يكتب عن حقيقة الأحداث في إيران؟... من الذي يستطيع أن يصف الوضع الصحيح؟ لا أحد سوى حفنة قليلة من الكتاب الشجعان.

الفصل الثلاثون

حين تدهور الموقف(*) كنت أستطيع الاستمرار في الحكم لو ضربت بشدّة

■ **انقلاب مجهز بعناية:**

خلال الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٧٨م تضاعف عدد المظاهرات والمسيرات في كل البلاد، ولكي نحاول أن نمنع الاضطرابات من الانتشار أكثر من ذلك فقد قمت مع حكومتي باتخاذ اجراءات عديدة لتهدئة الخواطر حيث قمنا بإطلاق سراح عدّة مئات من السجناء السياسيين، ولكن الأحداث الخطيرة التي جرت في أصفهان أجبرت الحكومة على اعلان قانون الطوارئ، ذلك أن الخطة التي كانت مرسومة بعناية من أجل تحطيم البلاد.

وفي نهاية شهر أغسطس من عام ١٩٧٨م جاءني رئيس الأمن العام الجنرال (مقدم) بعد أن أجرى محادثات طويلة مع أحد المراجع الدينية الهامة وبالطبع فإنني لن أذكر اسمه حيث حمل لي وجهة نظر ذلك المرجع بقوله: سيدي. . . أتوسل إليك، يجب القيام ببعض التحركات التي يمكن أن ترضي الجماهير، وكان يقصد هنا بعض الحركات المسرحية التي تؤثر في عواطف المواطنين. ولم يكن بالإمكان أن أبقى أصم الأذنين عن مثل

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٤٣، التاريخ ١٢/٢/١٩٨٠م، ص١٦.

هذا العرض في الوضع الصعب الذي تجتازه البلاد، ولم يكن أمامي سوى حل واحد وهو تغيير الحكومة الحالية وتشكيل حكومة جديدة أعطيها الحرية الكاملة في العمل، واستدعيت رئيس الوزراء الحالي السيد (موزيفار) وأجريت معه حديثاً طويلاً، قدم لي على أثره استقالة حكومته فقبلتها، كان ذلك بمثابة خطأ فاح من قبلي لأنني تركت مثل هذا الرجل المخلص وجعلته يبتعد عنّي، وكان خلفه السيد شريف أمامي، الذي شكل الحكومة الجديدة يقصد أنه يجب اتخاذ الإجراءات المناسبة لكي يقلب كل ما كان قد قام به سلفه، وأول طلب تقدم به هو أنه حاول الابتعاد عن حزب النهضة وحاول ابعاد أعضائه عن الحكم، ثم جرب أن يرضي رجال الدين من أئمة الشيعة فأصدر مجموعة من القرارات تضمّنت وجوب استعمال التاريخ الهجري في البلاد وأغلق كافة الكازينوهات ودور لعب القمار.

■ قانون الأحكام العرفية:

ولكن المظاهرات والمسيرات كانت تزيد كل يوم، وكان لا بد من تطبيق قانون الطوارئ أو قانون الأحكام العرفية في كل البلاد، وبالفعل فقد تمّ الإعلان عن بداية تنفيذ هذا القانون في كل المدن الكبرى في إيران وذلك يوم ٨ سبتمبر حيث أطلقت عليه المعارضة والجهات الضاغطة الأخرى اسم (يوم الجمعة الأسود).

ونتابع بعد ذلك مسلسل حوادث العنف، وكنت أشعر بالأسف والحزن على جنودي وعلى رجال الشرطة الذين كانوا يحاولون الاحتفاظ بالهدوء والتعقل والصبر وهم يرون بأم أعينهم المشاغبين والمخربين يهدمون ويضربون زملاءهم ولا يسعون للانتقام لهم، ومن المؤكد أنه إذا تمّ تطبيق قانون الأحكام العرفية بكل أحكامه لكان على القضاة أن

يعقدوا جلساتهم نهاراً وليلاً لمحاكمة المتهمين بالشغب والتخريب، والحقيقة أننا ما قصدنا من اعلان هذا القانون إلّا لكي يكون تحذيراً لهؤلاء الذين يقومون بكل هذه العمليات، وهذا أيضاً ما فهمه المعارضون وأيقنوا بأن الجنود والشرطة لن يطلقوا النار إلّا على كل من يحاول التخريب وإشعال الحرائق أو المتظاهرين الذين يحملون الأسلحة المختلفة.

■ أوضاع ثورية جاهزة:

لقد كانت الأوامر تعطى من قبل الجهات المحرضة إلى المتظاهرين بأن يتجمعوا في المساجد وينطلقوا منها وينظموا اتصالاتهم وتحركاتهم فيها واستعمال المساجد بهذه الطريقة سمح بالقيام بحملات اعلامية واسعة القصد منها تبيان كيف أن الفروقات والاختلافات بين العناصر الإسلامية والعناصر الاشتراكية في إيران قد اختفت، وهذه النظرية أصدرت إلينا من الخارج بواسطة (المقاتلين الشعبيين) الذين تدربوا على أعمال الكوماندوز في لبنان وفي ليبيا. وكانت حملات الصحف العالمية علينا تشتد، بحيث كانت تتهمنا بإشارة الاضطرابات والقلاقل وباستغلال قانون الأحكام العرفية لذبح المعارضة وادعت بأن قوات الأمن اعتقلت خلال هذه المرحلة أكثر من (١٠٠) ألف شخص من المعارضة وألقتهم في غياهب السجون ولكن الرقم الحقيقي للسجناء السياسيين كان لا يزيد عن (٣١٦٤) شخصاً وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٧٨م لم يكن لدينا أكثر من (٣٠٠) سجين سياسي وهؤلاء قد احتفظنا بهم لأن لكل منهم ملفًّا اجراميًّا سميكاً، وكان من المؤكد أن الأوضاع الثورية التي شملت البلاد كانت مسبقة الصنع ومجهزة بعناية فائقة وقد بدا هذا واضحاً من الأسلحة التي كان يستعملها المتظاهرون وهي أسلحة أوتوماتيكية حديثة وقنابل يدوية

متطوّرة بالإضافة إلى بقية أنواع الأسلحة الخفيفة، وكانت الأوامر المعطاة لهم تقضي بمهاجمة السفارات والمصالح الحكومية وكل ما من شأنه أن يحدث في البلاد الفوضى والخراب المادي والمعنوي على أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن.

■ تنقلات سنجابي وبازركان:

عندما رأيت أن الحالة قد وصلت إلى الطريق المسدود استدعيت السيد (عبد الله انتظام) وحاولت بوساطته تأليف حكومة جديدة، وقد قبل السيد انتظام ذلك العرض بالرغم من كبر سنّه واعتلال صحته، وبدأ بتشكيل حكومة ائتلافية تضم جميع الأطراف بما في ذلك الجبهة الوطنية، وقد دخلت خلال ذلك الوقت في اتصالات مع بعض زعماء المعارضة لمعرفة آرائهم ولكن المتطلبات التي تقدم بها السيد سنجابي السكرتير العام للجبهة الوطنية كانت من النوع الذي لا يمكن قبوله، خاصة وأنه قام بزيارة (نوفيل لوشاتو) في فرنسا حيث كان يقيم الخميني قبل أن يقدم هذه المطالب. وفي نفس الوقت كان رئيس جمعية حقوق الإنسان السيد مهدي بازركان، وهو رجل أعمال ثري يقوم بزيارة إلى (نوفيل لوشاتو) أيضاً ثم توجه بعد ذلك إلى لندن وبعدها إلى إيران، وفي الخامس من نوفمبر عام ١٩٧٨م، عادت الاضطرابات للاشتعال من جديد واجتاحت العاصمة وفي هذه المرة كانت تشتمل على المدارس حيث كانت تذاع بمكبرات الصوت رسائل مليئة بالحقد تهدف إلى تعبئة الطلاب وتحطيم نفسيتهم وسلب إرادتهم، وبالفعل فقد سار هؤلاء الطلاب في المظاهرات جنباً إلى جنب مع مقاتلي الثورة الإسلامية.

وقد أعطيت الأوامر لرجال الشرطة والجيش بمقاومة وتفريق المظاهرات ولكن بالوسائل العادية دون استعمال الأسلحة النارية إلّا في

حالات الضرورة القصوى، وإلى الغرب من مركز المدينة تمّ إحراق معظم البنوك ومئات من المخازن وعشرات الفنادق والأبنية الكبيرة وعدد كبير من صالات السينما وكذلك لم يستطع الحرس الذي كان يحمي السفارة البريطانية من أن يمنع الجماهير من احراق قسم منها وكذلك حدث نفس الشيء لوزارة الاعلام.

■ توقيف السيد هويدا:

في الخامس من نوفمبر استقال السيد شريف امامي فطلبت من الجنرال غلام رضا أزهري، رئيس أركان الجيش بتشكيل حكومة جديدة، والجنرال أزهري رجل شريف ومخلص كان دائماً يحاول الابتعاد عن السياسة، ولكن المدنيين في ذلك الوقت كانوا يهربون من السلطة، فاضطر إلى قبول العرض الذي قدمته. ومنذ البداية كان هم الجنرال أزهري الأول السعي لإيقاف المظاهرات وأعمال الشغب فقام باعتقال بعض الأشخاص ومن ضمنهم السيد هويدا الذي وضع في منزله تحت الإقامة الجبرية، وطلب مني تكليف بعض القضاة بمحاكمتهم وذلك باعتبارهم مسؤولين نوعاً ما عن حوادث الشغب ولم أكن مقتنعاً في قرارة نفسي بأن الحاكم رئيس الوزراء السابق وبعض أعوانه، ولكن بدا الأمر وكأن السيد هويدا كان الهدف الرئيسي للمعارضة ولكن الحقيقة كانت هي أن المعارضة كانت تستهدف إصابتي شخصيًّا بوساطته. فاقترحت عليه أن يأخذ منصباً في الخارج وقدمت له السفارة الإيرانية في بروكسل ببلجيكا، ولكنه كان واثقاً من نفسه وشديد العناد فرفض ذلك العرض وبقي في إيران إلى أن تمّ القبض عليه وأجريت محاكمته وقتل.

■ أمل وخيبة أمل:

خلال الأيام الأولى من عمر حكومة أزهري كان لا يزال لدينا أمل

بأن تهدأ الأمور، فقد عاد الناس إلى أعمالهم وبدأ الإنتاج اليومي يرتفع فصعد إلى خمسة ملايين و(٣٠٠) ألف برميل، وكان هناك تجاوب واضح من المواطنين وقد لقي الإضراب الذي تمّ اقتراحه في (نوفيل لوشاتو) بتاريخ ١٢ نوفمبر فضلاً ذريعاً وقد عملت الحكومة كل ما في وسعها لكي تخفف من حدّة الاضطرابات، وفي هذا المجال فإننا لم نقم فقط بإطلاق سراح عدة مئات من السجناء السياسيين في أربع أو خمس مناسبات، بل أن الحكومة قد أعلنت بتاريخ ١٩ أكتوبر عام ١٩٧٨م عن قيام هدنة شاملة ستنال موافقة الإيرانيين طالما أنهم يحترمون الدستور في البلاد، وفي شهر ديسمبر عاد الجنرال أزهري فأكد ذلك الموقف، وفي نفس الوقت أطلقنا سراح آخر الموجودين لدينا من السجناء السياسيين بالرغم من أنه يوجد بينهم أشخاص مدانون بشكل رسمي بتهمة القتل والتخريب. ولكن القضية لم تنته عند هذا الحد لأن القوى المضادة كانت لا تريد أن يعود الهدوء إلى إيران، تلك الدولة التي سارت في طريق النمو وحقّقت انجازات رائعة، إيران الحديثة النامية، فقاموا بجملة واسعة من الاغتيالات تستهدف القضاء على الأشخاص الموجودين في مواقع السلطة الذين يريدون منع البلاد من السقوط في الهاوية والخراب. ولذلك فقد عاد الإضراب العام الذي يفترض به أن يجبر البلاد على الركوع، فانقطع التيار الكهربائي عدّة ساعات في اليوم وانقطعت المواصلات والمياه والنفط ثم توقفت المصارف وبعدها الوزارات والمؤسسات العامة وغير ذلك وقد أدى هذا التوقف في العمل وفي النفط والمصافي إلى حصول خسائر لا تقدّر وذلك خلال شهرين فقط. ولم تنفع كل المحاولات التي بذلت لإعادة هيبة السلطة والقبض على زمام الأمور وخاصة أنه في نهاية شهر ديسمبر ١٩٧٨م لم يعد الجنرال أزهري يستطيع الاستمرار في الحكم بسبب تدهور صحته فاستقال مع حكومته.

بعض الخبراء قالوا لي أنك لو قمت بضرب المخربين بشدّة وحزم لاستطعت إعادة الأمور إلى نصابها ولبقيت على العرش، ولكني كنت لا أريد أن استمر على عرش من الدماء فقد كانت الأوامر المعطاة في كل لحظة إلى الجنود والقوات العسكرية، وحتى خلال أقسى اللحظات: افعلوا المستحيل لكي تتجنّبوا إراقة الدماء.

الفصل الواحد والثلاثون

حاول بختيار أن يتعاون لإنقاذ البلاد فنسفوه(*)

الولايات المتحدة وبريطانيا ولعبة الكشاتبين في إيران

■ **بختيار رئيساً للوزراء:**

خلال كل هذا الدور كنت ما أزال أعتقد أنني أواجه معارضة ذات نيّة حسنة، وأن المعارضين يريدون منا أن نمضي قدماً في طريق التحرّر، فقرّرت إذاً أن أمضي بها، وكنت أريد بكل قوتي أن نتوصل إلى ايجاد الحل المناسب لهذه المشاكل التي نمرّ فيها، وأن يكون هذا الحل مستنداً إلى قواعد دستورية وفي جو من التفاهم والهدوء، ولذلك فقد خطر لي أن حكومة مدنية قد تقوم في البلاد يمكن أن تتوصل إلى حل الأشكال، وخاصة إذا دخل فيها عدد من زعماء المعارضة، وبذلك نضع البلاد مرة أخرى على طريق العمل.



محمد

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٤٤، التاريخ ١٣/٢/١٩٨٠م، ص١٦.

في البداية، عرضت الموضوع على الدكتور (صديقي) عضو الجبهة الوطنية، وكنت أعتبره وطنيًا حقًّا، وبدون أن يضع شرطاً واحداً أعلن عن استعداد، لتشكيل حكومة جديدة ائتلافية، ولكنه طلب فقط مني مهلة أسبوع واحد للتفكير في الأمر، فأعطيته موافقتي. ولكن (صديقي) ترك نفسه ينقاد إلى الضغوط التي مارسها عليه رفاقه من أعضاء الحزب، فطلب مني أن أسمي مجلساً للوصاية على أن أبقى في الحكم، وكان هذا أمراً غير مقبول، لأنه بذلك يعتبر غير أهل للقيام بواجبي وسلطاني وواجباتي كإمبراطور، ولكن الدكتور (صديقي) كان الشخصية السياسية المدنية الوحيدة التي لم يطلب منّي التنحي عن الحكم بل تضرّع إليّ أن لا أترك الحكم مهما كان الثمن.

■ سنجابي وبازركان:

بعد عودتهما إلى طهران اندفع كل من سنجابي وبازركان للقيام بتحركات سياسية ضد الحكومة، فألقينا القبض عليهما لإلقائهما تصريحات معادية للدستور، وفي سنه طلب السيد سنجابي رؤيتي، وتوسط في ذلك لدى رئيس السافاك نفسه الذي نقل إليّ رسالة من المرجع الديني العالي، وقد أردت أن أمضي في جهودي من أجل السلام حتى النهاية فأطلقت سراح السيد سنجابي وبعده السيد بختيار، وقد قبّل سنجابي يدي ودافع بحرارة عن إخلاصه لي وأعلن عن استعداده لتشكيل الحكومة بشرط أن أترك إيران لفترة قصيرة تكون لي بمثابة عطلة أو إجازة، ولم يكن وارداً بالنسبة له أن يعود مرة أخرى إلى حديث مجلس الوصاية الذي يتعارض مع الدستور، طكت أنه لم يطلب مني قبل رحيلي أن أطرح الثقة على البرلمان ولذلك فقد كان يجب عليّ أن أرفض ذلك الحل وأفتش عن حل آخر عن طريق استشارة عدد من القياديين لأن القضية تزداد خطورة.

وأنا أتساءل: ألم يدرك هؤلاء السياسيون أن البلاد أصبحت على شفا الهاوية؟ ألم يدرك هؤلاء أن القضية لم تعد مسألة أنصار وانتخابات وخصومات سياسية بل أن القضية أصبحت قضية حياة أو موت بالنسبة للبلاد كليًّا، ويجب أن نعمل بسرعة لتناسي الأحقاد ولنتدارك الأمر.

■ كيف نسف بختيار:

لم تكن الفوضى الاقتصادية التي حلّت بالبلاد على درجة من الخطر بحيث تعادل الفوضى السياسية والتحركات الشعبية في الطرقات والجامعات والمدارس، فقد كانت الاضطرابات تتوالى. والحقيقة أن تأثير هذه الاضطرابات كان رهيباً، فقد انخفض انتاج النفط من مستواه العادي، خمسة ملايين و(٨٠٠) ألف برميل يوميًّا، إلى مليون و(٧٠٠) ألف برميل الأمر الذي يعتبر كارثة اقتصادية بالنسبة لنا، وحالة مثل هذه يجب أن لا تستمر لأنها تقتل البلاد وتهدمها. وفي هذا الوقت بالذات وصلتني رسالة من السيد شابور بختيار وهو في سجنه يطلب مقابلتي وذلك بوساطة رئيس السافاك الجنرال (مقدم)، علماً بأنه من أعضاء الجبهة الوطنية، وأجريت أول اتصال معه بوساطة السيد (اموزيفار) الذي كان منذ نهاية شهر أغسطس لم يكن يتمتع بأية مسؤولية سياسية بل بقي يعمل معي كصديق ومستشار يتحدث وله آراء ثمينة وصائبة.

وبالفعل استقبلت السيد بختيار عندي ذات مساء في قصر (النيافاران) بعيداً عن أعين المراقبين وجاء به إلى القصر الجنرال (مقدم) نفسه. وهناك كان لنا حديث طويل، حيث أكد على إصراره بأنه مخلص للعرش الإيراني وأنه يريد أن يبرهن على هذا الإخلاص، وأعلن بأنه الوحيد الذي يقدر على تشكيل حكومة في ذلك الظرف الصعب الذي تجتازه البلاد، وقال بأنه سيحترم الدستور والأنظمة الدستورية المتبعة وطلب منّي أن تجرى

تسمية مجلس للوصاية قبل مغادرتي البلاد في الإجازة المقترحة وأن يكون هذا المجلس قد حصل على موافقة مجلس الشيوخ والنواب، وقد بدا لي العرض الذي قدمه بختيار معقولاً جدًّا، فقبلته، فقام بتشكيل الحكومة المطلوبة بعد أن واجه صعوبات كبيرة، وكانت حكومة مدنية حصلت على أغلبية مريحة بلغت (١٤٩) صوتاً مقابل (٤٣) وامتناع (١٣) عضواً عن التصويت، كما حصلت على أغلبية مريحة أكثر في مجلس الشيوخ، لكن بختيار لم يكن يستطيع تنفيذ البرنامج الذي حدّده أمام مجموعة من ممثلي الصحف العالمية الذين اجتمعوا في طهران، ذلك أن أصدقاءه القدماء من الجبهة الوطنية سحبوا البساط من تحته ونسفوه. وقد نصحني بعض الأشخاص المحيطين بي بأن أتر البلاد لفترة بضعة أسابيع ريثما تهد الأمور إلّا أن قواد الجيش كانوا على العكس معادين لهذه الفكرة وقالوا لي: **سيدي إذا ذهبت فإن كل شيء سينهار فوق الرؤوس.**

■ لعبة الكشاتبين:

أستطيع أن أقول اليوم بأنني كنت أظن منذ مدة طويلة أن كل ما حدث في إيران كان مرسوماً وأن «لعبة الكشاتبين» كانت تدور في البلاد منذ أسابيع عديدة. وقد نجحت هذه اللغبة واصطادت زبائنهاوبدأت باستغلالهم وسرقتهم. والحقيقة أنني منذ حوالي سنتين بدأت ألاحظ جوًّا من القلق يحيط بمجموعة من الأميركيين العاملين لدينا، وكنت أعرف أن عدداً منهم كان يعارض خطتنا في التسليح، وكانوا دائماً يعلنون بأن الخبراء والمستشارين الأمريكيين يصلحون لكي يكونوا رهائن مثاليين لفرض الشروط اللازمة على الولايات المتحدة، وهذا يعني أنهم يفكرون دائماً في المعاهدة التي تربط بيننا وبين الأميركيين ويريدون إجبار هؤلاء على التدخل في إيران عند حصول أي تهديد من قبل

الشيوعيين، وقد سببت لي هذه الإشاعات قلقاً كبيراً فأرسلت مستطلعاً وجهة النظر الأميركية في هذا الموضوع فأجابوني: إن الولايات المتحدة تحترم دائماً ارتباطاتها وتعهداتها.

وبعد بضعة أشهر أتيح لي أن ألتقي مع صديقي الكبير السيد نلسون روكفلر فسألته: ألا يمكن التكهن في مثل هذه الظروف بأن الروس والأميركيين متفقون على اقتسام العالم، فأجابني: لا بالتأيد ثم استدرك قائلاً: كلا بالتأكيد... على حد علمي على الأقل.

ومنذ شهر سبتمبر عام ١٩٧٨م، عندما زادت الحالة خطورة في البلاد جاءني السفيران الأميركي والإنكليزي يعرضان عليّ حماية بلادهم، فهل احتاج الأمر من الدولتين تفكيراً مدته سنتان لكي يستطيعا أن يقرّرا مثل هذا الأمر؟

■ **إنذار من البرافدا:**

وقد كنت دائماً التقي مع السفير السوفياتي سواء في زيارات خاصة أو في بعض المناسبات، وفي كل مرة كان يؤكد لي على التعاون والصداقة التي تربط بين بلدينا ولكن منذ نهاية صيف عام ١٩٧٨م ذهب في إجازة ثم لم أعد أرى له وجهاً وحتى بعد عودته من إجازته إلى عمله في السفارة السوفياتية بطهران.

وقد شغلت أحداث إيران بال السوفيات إلى حد كبير وقد بدا ذلك بوضوح في مقال كتبته صحيفة البرافدا يوضح وجهة النظر السوفياتية بشكل صريح وحازم. إن الاتحاد السوفياتي، الذي تربطه بإيران علاقات طيبة منبثقة عن الشعور بحسن الجوار يعارض بأنه سيقف ضد كل تدخل خارجي في شؤون إيران من أية جهة كانت وتحت أي شكل كان ذلك التدخل. إن إيران تعاني الآن من مشاكل داخلية بحتة، وهذه المشاكل

يجب أن تجد الحل المناسب من قبل الإيرانيين أنفسهم، وكل الدول يجب أن تتمسك بالعمل بمبادئ الأمم المتحدة وبقية المبادئ الأساسية العالمية ويجب احترام سيادة واستقلال إيران والشعب الإيراني ويجب أن يكون واضحاً للجميع بأن كل تدخل، وخاصة من الناحية العسكرية في شؤون إيران الدولة الصديقة المجاورة للاتحاد السوفياتي مباشرة وفي أمنه وسلامته.

وفي السابع من ديسمبر، أعلنت الولايات المتحدة في تصريح رسمي بأنها لن تتدخل بأية طريقة في إيران، وعلى العموم فإن السفيرين الأميركي والبريطاني كانا خلال الزيارات التي يقومان بها إليّ وخلال اللقاءات العابرة يؤكدان لي دائماً الكلمات المعتادة: سنحميكم... وخلال فترة الخريف (١٩٧٨-١٩٧٩م) كان السفيران يدفعاني دائماً لمتابعة السير في طريق السياسة التي تتضمّن إعطاء المزيد من الحريات، وهذه السياسة بالتأكيد كانت الهدف الذي أسعى إليه، ولكن الإسراع في تنفيذها خلال الظروف التي كانت إيران تمر بها والتي كانت تشيع فيها الاضطرابات وأعمال العنف والتخريب عملية لا يمكن تحقيقها، بالإضافة إلى أننا لم نكن نملك الكادر اللازم الذي يستطيع ممارسة هذه التدابير التحررية التي يمكن أن تنتج عن تنفيذ مثل هذه السياسة، الأمر الذي يمكن أن يؤدي بنا وبإيران إلى كارثة حقيقية.

ويتصادف في بعض الأحيان أن أستقبل بعض المبعوثين الأميركيين الذين يأتون إلى إيران في بعض المهمات ويقدمون لي النصائح ويطلبون مني فيها أن أكون حازماً حيال هذه الاضطرابات وأعود بعد ذلك لأستشير السفير الأميركي فيها فيقول لي، إنه لم يستلم أي شيء رسمي من حكومته بهذا الخصوص وبذلك تكتمل حلقة أخرى من «لعبة الكشاتبين» التي كانت تجرى في إيران.

الفصل الثاني والثلاثون

ماذا دبر لنا الأميركيون والبريطانيون الذين كنا نعتبرهم(*) من أخلص أصدقائنا ونضع كل ثقتنا فيهم؟

■ قريباً نظام جديد:

كانت الحالة الداخلية تزداد سوءًا في البلاد، وزاد الطين بلّة الموقف المتأرجح الذي كانت الولايات المتحدة وانكلترا تتخذانه تجاه الأحداث الجارية، وخير دليل على ذلك قبل بضعة أسابيع استقبلت الممثل الجديد لوكالة المخابرات المركزية الأميركية (سي. اي. ايه) في طهران وجرى بيننا حديث طويل عن الحالة في إيران، وكنت أشعر بالدهشة والاستغراب الشديد خلال ذلك اللقاء، لأن ذلك المسؤول الأميركي كان لا يريد التحدث سوى عن ضرورة اعطاء المزيد من الحرية والتحرّر في البلاد وأفاض في شرح مزايا الحرية بشكل عام إلخ...، إذن فكل ما يهم الولايات المتحدة من عملية تردي الوضع في إيران هو الحرية والتحرّر بغض النظر عن أمن البلاد واستقرارها ومن ناحية أخرى أذكر على سبيل المثال أيضاً أنه عندما أحرقت الجماهير الغاضبة السفارة البريطانية في طهران، جاءني واحد من الجنرالات وأخبرني أنه صادف الملحق العسكري للسفارة البريطانية في إحدى المناسبات وتبادل معه أطراف

(*) صحيفة الرأي الكويتية، العدد ٥٨٤٥، التاريخ ١٤/٢/١٩٨٠م، ص١٦.

الحديث حول الأوضاع في إيران حيث أخبره قائلاً: ألم تفهم حتى الآن أن الحل الوحيد للمشاكل في إيران هو حل سياسي فقط. ومثال ثالث على ميوعة موقف الولايات المتحدة وانكلترا هو أنه في نهاية شهر ديسمبر جاءني السناتور محمد علي المسعودي وأخبرني أنه سمع من السكرتير الأول في السفارة الأميركية السيد (جورج الأميراكيس) سرًّا مفاده أن نظاماً جديداً للحكم في إيران سيحل.

ولذلك فقد أخذت أتساءل في كل مناسبة ماذا يخبئ لنا من تدابير أولئك الذين كنا دائماً نعتبرهم من أخلص أصدقائنا ونضع كل ثقتنا فيهم، إن الأمور كانت بحاجة إلى توضيح سريع من قبل هؤلاء الأصدقاء ولكننا لم نتلق منهم أي شيء سوى بعض التطمينات: إننا سنحميكم.

■ المهمة الغربية للجنرال هويزر:

في بداية شهر يناير حملوا إليّ خبراً مدهشاً وغريباً فقد قيل لي: سيدي أن الجنرال (هويزر) في طهران منذ عدة أيام... وقد شعرت بالاستغراب فعلاً بالرغم من أن مجرى الأحداث الأخير في إيران قد علمني أن أستغرب أي خبر أسمعه، ولماذا لا أستغرب، فالجنرال (هويزر) ليس شخصاً عاديًّا بسيطاً، فقد كان يشغل منصباً رفيعاً في القيادة العسكرية لحلف شمال الأطلسي هو مساعد القائد العام، وقد سبق به إن جاء عدة مرات إلى طهران وفي كل مرة كان يتقدم بطلب يعلمنا فيه بالزيارة مسبقاً، ولم يكن من المعقول أن تكون أسباب زيارته عادية وبسيطة، وكان من الضروري أن أعلم بها أنا بصفتي قائداً للجيش وبصفة إيران عضواً في حلف السنتو، فلماذا جاءت زيارة الجنرال (هويزر) غامضة بهذا الشكل، وكان قدومه إلى طهران سرًّا غامضاً، ولكن الأميركيين العسكريين تعودوا على الحضور إلى إيران والذهاب

بطائراتهم الخاصة يهبطون في مطاراتهم العسكرية في قواعدهم ويطيرون منها متى أرادوا دون أن يخضعوا للشكليات المتبعة عادة في المطارات.

اجتمعت بقوادي وسألتهم عن هذه الزيارة، ولكن أحداً منهم لم يكن يعلم أي شيء عنها، فماذا جاء الجنرال (هويزر) يفعل في إيران والحقيقة أن وجود هذا القائد العسكري الأميركي غامض حقيقة، وأعتقد أن رجلاً مثله له قيمته العسكرية لا يأتي إلى إيران سرًّا دون علم السلطات لمجرّد أنه يلعب لعبة الاختفاء، بل لا بدّ أن يكون له أسبابه القوية التي دعته إلى إخفاء أمر وصوله.

■ موسكو: «هويزر» يحضر لانقلاب في إيران:

والحقيقة أنه ما كادت أنباء زيارة الجنرال هويزر تنتشر في البلاد وفي العالم حتى سارعت موسكو بإعطاء تحذير جاء على لسان ناطق رسمي باسم الكرملين حيث قال: إن الجنرال هويزر جاء إلى طهران لطبخ وتدبير انقلاب عسكري وأكدت الصحافة السوفياتية هذه الأنباء.

ومن باريس سارعت صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون إلى تطمين المستشارين العسكريين بقولها أن زيارة الجنرال (هويزر) إلى طهران لها علاقة بالانقلاب فعلاً، ولكن على عكس ما كان الروس يقصدون، ذلك أن هويزر جاء ليمنع حدوث الانقلاب وليس لتنفيذه، فهل هذا هو الشاغل الوحيد للأميركيين منع الانقلاب العسكري في إيران؟ ودعونا نسأل هنا: هل كان المجال مهيئاً في طهران لحدوث انقلاب عسكري حقيقي؟... أنا لا أعتقد ذلك على الإطلاق لأنني لم أشعر بأية شائبة من الشك في اخلاص قوادي لي وللعرش ولإيران نفسها والدستور، وطالما كان الدستور محترماً في إيران فإن الجيش الإيراني لن يتحرك قيد أنملة، ولكن المصادر المختلفة للمعلومات التي تستقي منها إدارة المخابرات

المركزية الأميركية كما يبدو، كان لديها معلومات بأن الدستور الإيراني قد انتهك، ولذلك فمن الضروري إبقاء الجيش الإيراني على الحياد، وهذا ما جاء يفعله الجنرال هويزر في طهران. ومن جهتي فإنني لم أقابل المسؤول العسكري الأميركي سوى مرة واحدة فقط خلال إقامته عندنا، وكان قد جاء مع السفير الأمريكي سوليفان لزيارتي وخلال هذه الزيارة لم يكن مهمًّا لدى المسؤولين الأميركيين سوى أن يعرفا اليوم والساعة التي أنوي فيها مغادرة البلاد.

■ **إعدام الجيش:**

ثم علمت بعد ذلك أن الجنرال (هويزر) تحدث إلى الجنرال (غارا باغي) رئيس الأركان العامة للجيش الإيراني حيث عرض عليه أن يدبر له مقابلة مع السيد بازركان، وقد قال لي الجنرال (باغي) عن هذا العرض، فساءلت نفسي كثيراً ما هو القرار الذي تمّ اتخاذه، إنني أعلم فقط أن الجنرال (باغي) استخدم سلطته ليفرض على الضباط الذين تحت إمرته بأن لا يتحركوا، وهؤلاء الضباط تمّت محاكمتهم واحداً بعد الآخر وجرى إعدامهم، ووحده الجنرال باغي استطاع الإفلات من هذا المصير الدامي بعد أن استطاع السيد بازركان الطرف المختار من قبل الجنرال (هويزر) إنقاذه.

وقد بقي الجنرال هويزر في طهران بعد رحيلي ببضعة أيام، فماذا حدث؟ . . .

كل ما أستطيع أن أقوله أن الجنرال (ربيعي) قال خلال المحاكمة الصورية والهزلية التي جرت له والتي سبقت إعدامه أن الجنرال هويزر رمى الملك خارج البلاد كالفأرة الميتة. وللعلم فإن الجنرال ربيعي هو القائد العام للقوات المسلحة الإيرانية فهل من يستطيع تفسير ما قاله؟

■ الاستعداد للرحيل:

لقد كان مقرراً أن نغادر البلاد، الإمبراطورة وأنا لنقوم بإجازة لمدة بضعة أسابيع حالما يستطيع السيد بختيار الحصول على موافقة مجلس النواب والشيوخ، وللعلم فإن رحيل الشاه أعلن من واشنطن وليس من طهران بتاريخ ١١ يناير خلال مؤتمر صحفي عقدة وزير الخارجية الأميركي السيد سايروس فانس، وكانت الأيام الأخيرة لي أياماً ممزقة عانيت منها كثيراً حيث لم أكن أنام فيها، فقد كان عليّ أن استمر في العمل بالرغم من أنني كنت أعرف بأنني سأغادر البلاد بعد قليل، فقد كان موعد الرحيل يقترب، إلّا أن الحالة التي سادت في بلادي كانت تستدعي منّي أن أمنح لها كل وقتي خلال كل الساعات القليلة الباقية لي.

■ الوداع:

ثم حانت ساعة الوداع، ولا أستطيع، ولا أرغب بالتعبير عن العواطف التي اجتاحتني عندما أخذت طريق المطار مع الإمبراطورة بتاريخ ١٦ يناير عام ١٩٧٩م، فقد كانت تعصر قلبي غصة، وكثير من الخبرة لكي لا أتصوّر ماذا يمكن أن يحدث. كنت أريد أن يكون رحيلي سبباً لتهدئة الخواطر وإزالة الأحقاد ونزع الأسلحة من أيدي القتلة، وكنت آمل أن يستطيع السيد بختيار إنقاذ البلاد بشيء من الحظ وإعادة الحياة إلى طبيعتها بالرغم من كل الخراب والدمار الذي حدث في إيران من قبل المجانين الغاضبين الذين عاثوا في إيران تحطيماً.

وفي ذلك اليوم الذي عزمت على الرحيل كان الهواء ثلجيًّا، كما هي العادة في مثل هذه الأيام من كل عام، يمسح أرض مطار مهر أباد حيث كانت تجثم صفوف عديدة من الطائرات التي تركت بدون عمل بفعل الإضراب العام الذي اجتاح كل وسائل النقل، وتحت طائرة البوينغ التي

كانت جاهزة للرحيل وقفت مجموعة من كبار الشخصيات في الدولة لكي يقوموا بوداعنا، وكان بينهم شابور بختيار ورؤساء مجلس النواب والشيوخ والوزراء وقادة الجيش. وتحدثت مع كل واحد منهم كلمات قليلة كنت أوصيه فيها بالحذر والسهر على البلاد ومتابعة الجهود لإنقاذها، ويعلم الله أنني فعلت كل ما في وسعي لكي أخدم الذين تعاونوا معي وأنقذهم من الأحداث التي ستجرى بعد رحيلي.

الإمام (جوم) الذي كان يودعني في كل رحلة أقوم بها لم يكن موجوداً هذه المرة، ولكنني كنت أعلم أن غيابه هذا لم يكن بسبب الأحداث بل لأنه كان مريضاً بالفعل وبعد عدة أيام سافر إلى جنيف للعلاج، وحمدت الله على أنني أحتفظ بالقرآن معي لا أفارقه على الإطلاق أينما توجهت. وكانت مظاهر الإخلاص العميق تبدو بوضوح على وجوه هؤلاء الذين جاءوا لوداعي ساعة ذهابي، وأحدثت في نفسي هذه المشاهد تأثيراً كبيراً، فساد بيننا صمت ثقيل ينقطع بين الفينة والفينة بشهقة بكاء ودموع تنبعث من هؤلاء الأصدقاء المخلصين وكانت النظرة الأخيرة التي ألقيتها قبل رحيلي على بلادي التي عشت فيها وحكمتها لمدة (٣٧) عاماً والتي قدمت لها كل جهودي وأفضل سنوات حياتي، كانت النظرة مؤلمة كثيراً بسبب الحزن العميق الذي لمحته على الوجوه، وبسبب الدموع التي سالت بغزارة من عيون هؤلاء المخلصين الذين جاؤوا لوداعنا.

الفصل الثالث والثلاثون

أصلّي لإنقاذ بلادي وحماية شعبي(*)

من محاكم التفتيش الجديدة في إيران

■ البحث عن ملجأ:

أسوان كانت أول محطة في رحلة النفي التي قمنا بها، ولم أدهش أو أستغرب للاستقبال الذي شاهدته من قبل الرئيس المصري محمد أنور السادات وزوجته، فقد عرفت من قبل مقدار نبله وطيبة نفسه وكرمه.. وخلال الأيام القليلة التي قضيتها عندهم نقاسمهم حياتهم العائلية، كان الرئيس السادات وزوجته يضاعفان عنايتهم بنا وترحابهم، وكانت البساطة والرقة التي أظهراها لنا ذات تأثير كبير في نفس الإمبراطورة وفي نفسي الأمر الذي منحنا شيئاً من الراحة النفسية وساعدنا على تحمّل هذه اللحظات الصعبة، وكان الرئيس السادات يريد أن نبقى عنده، إلّا أنني كنت أعتقد أن من الأفضل لنا أن نبتعد أكثر من ذلك خلال الأيام المقبلة، وفي هذا الوقت بالذات كانت نيّتي تتّجه إلى الذهاب فوراً للولايات المتحدة حيث كان أولادي يقيمون، ولكن الأصدقاء من كل جانب كانوا ينصحونني قائلين: على الأخص.. لا تذهب إلى الولايات المتحدة. وعلى كل حال فقد كانت المحطة الثانية

(*) صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ٥٨٤٦، التاريخ ١٥/ ٢/ ١٩٨٠م، ص١٦.

في طريقي هي المغرب، وهذا ما فعلته، حيث استقبلني الملك الحسن الثاني كأخ وقدّم لي الضيافة في أحد القصور الموجودة في مراكش.

وعندما اتخذت القرار بالذهاب إلى جزر (البهاما) في بداية شهر مايو، أعارنا الملك الحسن طائرته الخاصة فسافرنا بها إلى المنطقة المقرّرة، وكانت هذه المرحلة من أكثر المراحل تعباً خلال سفرنا في المنفى، فقد كنا نسمع الأنباء يوماً بعد يوم عن الحالة السيئة في إيران وأن حملات الإعدام ما زالت مستمرة وإن الكابوس الرهيب ما زال يسيطر على البلاد ويمنع هدوءها واستقرارها. وفي جزر (البهاما) أقمنا في فيلا على شاطئ البحر، الأمر الذي يستطيع عه أي شخص الاقتراب منا ومشاهدتنا، ولذلك فقد كان يجب تأمين العدد الكافي من رجال الشرطة لحراستنا وضمان سلامتنا، وكانت هذه الفترة سيئة بالفعل، إلّا أن ما ساعدنا قليلاً على تحمّلها المشاعر الذي أظهرها لنا السواح من الأميركيين والألمان والفرنسيين الموجودين على هذه الجزر، وكان هؤلاء ينظرون إلينا من بعيد ويومؤون لنا بإشارات مليئة بالود والترحيب، وعلى كل حال فقد كان يخفّف علينا كثيراً أننا كنا نعرف أن إقامتنا في جزر (البهاما) ليست سوى مرحلة أخرى من رحلتنا، بانتظار أن تتقدم دولة ما بعرضها لاستقبالنا حيث تطول إقامتنا، وكانت هذه الدولة هي المكسيك، وكانت لي فرصة بزيارتها في وقت سابق حيث تأثرت كثيراً بالحفاوة البالغة التي استقبلني بها رئيس وشعب المكسيك، وقد أتاحت لي هذه الدعوة معرفة الرئيس المكسيكي السيد (لوبيز بورتيللو) بشكل وثيق ورأيت فيه ملامح رجل الدولة المخلص والخبير، واكتشفت أنه توجد بيننا نقاط كبيرة من التشابه في وجهات النظر في ما يتعلق بمشاكل بلدينا من ناحية الطاقة ومن ناحية العلاقات التي يجب أن تقوم بين الدول الصناعية والدول السائرة في طريق النمو ومدى ضرورة قيام الدول بمنح المساعدات للدول النامية.

■ **زيارة نيكسون:**

كانت حالتي الصحية قد تضعضعت بعض الشيء بحيث لم تسمح لي بالقيام بزيارة المكسيك كما كنت أرغب، ولكني من ناحية أخرى تلقيت بفرح كبير زيارة الدكتور هنري كيسنجر والرئيس ريتشارد نيكسون، وقد برهنت هاتان الزيارتان على أنه لا يزال يوجد بين الأميركيين من يحتفظون بصداقاتهم. وقد كان على الرئيس نيكسون أن يأتي لزيارتنا مع زوجته حيث سأقوم أنا وزوجتي باستقبالهم، ولكن في اللحظة الأخيرة أصيبت زوجة نيكسون بطارئ صحّي مفاجئ فقام نيكسون بالسفر إلينا بمفرده وأمضينا معاً (٢٤) ساعة كانت ممتعة حقًّا، وكانت علاقتنا تقوم على أكثر من الصداقة، لأنه كانت بيننا كثير من وجهات النظر المتشابهة وخاصة من ناحية الجغرافيا السياسية، وكان نيكسون قد زار طهران قبل عدّة سنوات عندما كان لا يزال يقوم بالدعاية الانتخابية لنفسه ويزور عواصم العالم معرفاً زعماءها بنفسه، ولم يكن هناك أحد غيره يمكن أن يفهم مقدار ضرورة واحتياجات العالم الغربي إلى حليف قوي مثل إيران في هذه المنطقة الهامة جدًّا من العالم.

الخاتمة

في ١٣ يونيو الماضي أعلنت في مؤتمر صحفي في (غيرنافاكا) حيث كنت أقيم في المكسيك: في إيران لا توجد دولة ولا حكومة وبلادي تسير في طريق الانحلال. وقد قلت ذلك لأنني على يقين أن بلادي وقعت ضحية عمليات مضادة الثورة كانت تستهدف القضاء على كل ما فعلناه من خلال الثورة البيضاء وما استطعنا تحقيقه ولم أكن أستطيع تتابع الأحداث التي تجري في بلادي التي تسير نحو الهاوية، وفي نهاية الطريق المرسوم لها فإن إيران بدون شك إحدى نتائج الشيوعية، إن ما يجري في إيران اليوم هو كارثة ولكنها تقع بشكل أكثر ضراوة وأكثر عناء وأكثر إسالة للدماء، الأمر الذي يذكرني بقصة محاكم التفتيش في إسبانيا قبل خمسة قرون، وللأساليب التي كانت تتبعها هذه المحاكم هي حكم البلاد بالحديد والنار باسم الدين، وهذه الأساليب لم تكن وفي يوم من الأيام صالحة للحكم، لأن السلطات التي تحكم إيران اليوم ليست سوى محاكم تفتيش تستهدف قيادة البلاد نحو الدمار وهكذا فإننا نجد أنه بعد انقضاء خمسة قرون على إزالة هذه المحاكم من إسبانيا، نجدها اليوم في إيران حيث تعيش بلادنا في ظلمات الإرهاب والخوف في ظل حكام أشد قسوة من سابقيهم في إسبانيا.

■ أيها الإله القوى أنقذ بلادنا:

أنا أعلم جيداً أنه تقوم في إيران صرخات حاقدة تقول: الموت للشاه، وبالتأكيد، قد أكون ذهبت بعيداً في تطبيق بعض الأساليب في الحكم، ولكن بالتأكيد أيضاً أنه كان يوجد عملاء لدول خارجية استغلّوا ذلك وتدخلوا في الشؤون الداخلية لإيران بسهولة تامة، وتبقى لي في النهاية ملاحظة عليّ أن أسوقها في هذا المجال، وهي ضرورية جدًّا تتلخص في ما يلي:

إذا كانت إيران موجودة قبل ظهور الإسلام فإننا يجب أن لا ننسى أن الإيرانيين المعاصرين لولادة إيران كانت لهم صلات وثيقة بالنبي (ﷺ) الذي **وصفهم بقوله**: إنهم الباحثون عن الحقيقة. وهذا هو السبب الرئيسي الذي دفعني إلى التحدث عن أخطائي والذي دفعني في النهاية إلى محاولة إصلاحها، وأعتقد أنه خلال الفترة التي حكمت فيها إيران لم يكن الإيرانيون إطلاقاً من الباحثين عن الكذب والرياء.

إن مصير إيران في المستقبل لا يفارق خاطري على الإطلاق، فأنا لا أزال أفكر بكل هؤلاء الذين استمرّوا على إخلاصهم وولائهم للعَلم الإيراني ولوطنهم ولملكهم، إنني لا أزال أفكر في أولئك الذين يقفون أمام قضاتهم وجلاديهم دون أن يتراجعوا عن إخلاصهم يتلون صلواتهم استعداداً للموت، إنني أفكر في كل المواطنين الذين كانوا تحت حكم والدي ثم تحت حكمي يعملون لانتزاع إيران من هوة الجهل والفقر والمرض لكي يخلقوا منها إيران الكبرى التي كانت ولا تزال موجودة حتى عام ١٩٧٨م، والآن فإن ملك إيران وهو البعيد عن وطنه، لا يستطيع أن يبرهن عن شكره وعرفانه بالجميل لهؤلاء الذين أشرت إليهم إلّا بوسيلة واحدة وهي باعتقادي أقوى الوسائل وأشدها هي: الصلاة.

إنني أصلي لأجل كل الذين تعذبوا وأهينوا والذين اجتازوا محناً

قاسية في البلاد التي تمّ نفيهم إليها. كما أصلّي من أجل عشرات الملايين من الشعب الإيراني الذين يعيشون في المنفى وهم في قلب بلادهم، إنني أصلّي لأجل الأمهات في العائلات المنكوبة، أصلّي لأجل شبابنا الذين يتخبّطون في الخطأ والذين يعيشون بدون أمل في المستقبل، أصلّي من أجل أولئك الذين يبكون من فقدان شخص عزيز لديهم، أصلّي من أجل الملايين من العاطلين عن العمل والذين هاموا ضائعين والذين يتألّمون في صمت والذين يعيشون تحت رحمة الإرهاب. ما أصلّي في النهاية من أجل كل أولئك الذين ما زالوا لا يستطيعون إبصار الحقائق وتمييزها من الأكاذيب التي يسمعونها، **إلهي أيها العظيم والقوي إنني آمنت بك طيلة حياتي فاحفظ بلادنا واحفظ شعبنا.**

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

